

تمت تصحيحه وادخلته للتوزيع
في يوم النور الموافق ١٥/١١/١٤٠٧
فقدور عليه وسلم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القري
كلية اللغة العربية



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٢٤٧

تجريد الأثر العربي

الشرع العربي

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب

أحمد محمد موسى حمار السهمي

٠٠٠٢٢٢٨



إشراف
الأستاذ الدكتور
عبد البصير عبد الحسين

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

" شكر وتقدير "

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد : فيقول صلى الله عليه وسلم : " لايشكر الله من لايشكر الناس " (1) ومن هذا المنطلق أرى لزاما على أن أعترف بالجميل والفضل لأهله ... فأتقدم بالشكر والتقدير لجامعة أم القرى الفتية التي أتاحت لي الفرصة للدراسة فيها .. والاستفادة من منابر العلم بها وعلى رأسها معالي مديرها الدكتور راشد الراجح ... ثم أشكر كلية اللغة العربية التي شرفت بالانتماء اليها ... وعلى رأسها سعادة عميدها الدكتور عليان بن محمد الحارمي فقد كان لايبألو جهدا ولا يدخرو سعا في دفع طلابه الى الأمام ... ومساعدتهم في جميع متطلباتهم ... فجزاه الله عنهم خير الجزاء ... وان أنسى لا أنسى من له الفضل بعد الله سعادة أستاذي المخلص الدكتور عبد البصير عبد الله حسين ، فقد كان ردا لي في كل معضلة ... واني لأقولها صادقا: لقد كان خير موجه ومرشد لي في هذا البحث ... وكم أفدت من علمه الغزير، ومنهجه الفذ في اعداده ... أسأل الله أن يشيبه حسن الثواب لقضاء ما أولاني ايأاه من اهتمام ومتابعة ...

كما أشكر سلفا أصحاب السعادة أعضاء لجنة المناقشة الموقرين ، سائلا الله العلى القدير أن ينفعني بحسن توجيهاتهم وملاحظاتهم القيمة ... وأشكر كل من أسدى الي نصحا أو وجهة نظر من أساتذتي الكرام ، وزملائي الأوفياء والله الهادي الى سبيل الرشاد .

===

(1) الحديث في مسند أحمد : ٢٤٦/٣ ، وسنن أبي داود : ٢٥٥/٢ .

الْقَدَمَةُ

اللهم انا نحمدك ونستغفرك ،ونتوب اليك ونعوذ بك من فتنة
القول كما نعوذ بك ،من فتنة العمل ،ونعطي ونسلم على عبدك ورسولك
محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

وبعد :

فقد كان مما لفت نظري وشد انتباهي ، ان معظم الدارسين للأدب

العربي في الاندلس في القديم والحديث ،يلتقون عند امرين :

الامر الاول : وضع هذا الادب في مقابل الادب العربي في المشرق

وكأننا امام ادبين مستقلين ،لامام ادب عربي واحد ،ومن ثم يرتبون

على هذه النظرة المنهجية الخاطئة ،احكاما فنية مغلوطة .

الامر الثاني : النظر الى الادب العربي في الاندلس على انه

مجرد صدى للأدب العربي في المشرق ،وهي مقولة مترتبة بالطبع

والوضع على المقولة الاولى ،التي تكاد لكثرة ترديدها تأخذ طابع

المسلمات .

حتى القلة القليلة من الباحثين الذين يأخذون جانب الدفاع

عن الادب العربي في الاندلس في القديم والحديث ينطلقون في دفاعهم

من نفس النظرة المنهجية الخاطئة التي تستند اليها الطائفة

الاولى ،ومن ثم يبالغون في اضعاف طابع الاستقلال عليه ،ويتلمسون له

ملامح متميزة ،ويضيفون اليه من المناقب والمزايا ماشاء لهم

حماسهم وكرمهم .

والواقع ان الادب العربي في الاندلس ليس تابعا للادب العربي في المشرق وليس مستقلا عنه لسبب يدهى جدا هو انه جزء من الادب العربي ... لا يوصف بالتبعية أو الاستقلال ...

ولذلك فان هذه الدراسة المتواضعة التي اتقدم بها الى جامعة أم القرى الفتية لاتنفي عن الادب العربي في الاندلس تأثره بالادب العربي في المشرق، ومع هذا ترفض منهج الطائفة الاولى بشقيها في القديم والحديث ... ولاتنكر عليه حقه الطبيعي في النمو والتجدد والابتكار، ومع هذا ترفض منهج الطائفة الثانية بشقيها في القديم والحديث .

انها تحاول ان تطرح القضية في ظل مفهوم جديد تفع به الادب العربي في الاندلس في سياقه المحتوم من الادب العربي العام بحسبانه جزءا منه .. تربطه به وحدة لانفصام لها، يحرسها الدين واللغة، وتقاليده الفن ..

وفي ضوء هذا المفهوم اخترت لاطروحة الماجستير المقدمة لقسم الدراسات العليا بكلية اللغة العربية، قضية طالما اشتد الخلاف حولها ... وهي قضية التجديد بل الابتكار في هذا الادب، وجعلت مجال البحث في فن النشر منه، فكان عنوان الرسالة " تجديدات الاندلسيين في النشر العربي " . واضعا في الاعتبار ان النشر الفنى في الادب العربي في الاندلس جزء لا يتجزأ من فن النشر في الادب العربي العام .

وقد اقتضت طبيعة الدراسة ان يجيء البحث في : مدخل، وثلاثية

ابواب، وخاتمة .

اما المدخل : فقد وقفته على معالجة قضية " الادب العربى فى
الاندلس بين الاتباع والابتداع " .

وقد اقتضت منى معالجة هذه القضية ان اتتبع جذورها تاريخيا
من يوم ان اطلق كافى الكفاة ابو القاسم اسماعيل صاحب —
عباد الوزير الخطير لمؤيد الدولة، قالت المشهورة : " هذه بضاعتنا
ردت الينا " تعليقا على موسوعة (العقد) الادبية الجليلة لصاحبها
الاديب المثقف الاندلسى العظيم ابن عمر احمد بن محمد بن عبد ربه
وطارت مقولة صاحب فى ارجاء العالم الاسلامى كل مطار، يدعمها
مكانة الرجل الادبية ومنصبه المرموق ... وجعلت تتردد فى اسواق
الادب ومحافل الثقافة ... حتى التقطها الحسن بن محمد بن الربيب
القيروانى ... ثم ابو يحيى بن المعلم الطنجى ... واستغلاها
استغلالا منكرا فى اذكاء الاحقاد الثقافية بين العدوتين ... وجعل
يرميان الاندلسيين فى شئون الفكر والادب بالقصور والاهمال ...

وهنا انتفض العالم الجدل على بن سعيد بن حزم غاضبا .. فكتب
رسالة فى فضل اهل الاندلس يرد بها على ابن الربيب .. وانبرى
اسماعيل بن احمد الشقندى فكتب رسالة حارة فى اظهار فضل الاندلس
واشهار محاسن اهلها يرد بها على ابن المعلم

وقد انقشعت هذه المعركة الحادة عن اتجاه خطير، هو الاحتكام
الى شىء بالغ الخطورة فى الدراسة الفكرية والفنية ... اضـر
بقضايا الادب والفكر اضرارا بالغا، ذلك هو الانحياز الى العصبية
الاقليمية عند الغالبية العظمى من الدارسين المتقدمين ... وكان
من اوضح هذه الآثار تقسيم الادب العربى الى مشرقى واندلسى .

اما فى العصور الحديثة والمعاصرة، فقد استبدل الدارسون
للادب العربى فى الاندلس الاقليمية العلمية بالعصبية الاقليمية
محتكمين الى نظرية الناقد الفرنسى " هيبوليت تين " التى تعتمد
فى منهج الدرس الادبى على مقولات ثلاث : الجنس، والزمان، والمكان .
ومن المفارقات العجيبة، ان الدارسين المحدثين حين يعالجون قضايا
الادب العربى فى المشرق يحتكمون الى مقولة " الزمان " فيقسمونه
الى العصور المعروفة : الجاهلى، والاسلامى، والاموى، والعباسى
والدول المتتابعة، والحديث .

اما حين يعالجون قضايا الادب العربى فى الاندلس فيحتكمون الى
مقولة : " المكان " .

وهكذا تبرز من جديد قضية الادب الاندلسى بازاء الادب المشرقى .
العصبية الاقليمية فى القديم، والاقليمية العلمية فى الحديث
مسئولتان عن تشويه الدراسات فى الادب العربى بعامة، والادب العربى
فى الاندلس بخاصة ...

لقد نسى هؤلاء الدارسون ان الادب العربى فى الاندلس والادب
العربى فى العراق والشام، ومصر، والجزيرة العربية سواة ... وكما
لا يصح ان يقال : ادب عراقى وادب شامى، وادب مصرى ... لا يصح
كذلك ان يقال : ادب اندلسى ... لان التقاليد الفنية التى تحكم
كل هذه الفروع واحدة ...

انه ادب عربى .. وكفى

واية ذلك انه اذا تلالأ نجم ادبى كبير فى اى من هذه الاقاليم
فان سناه لا يلبث ان ينعكس فى سائر الاقاليم . واذا ظهر جنس ادبى

جديد فى اى منها ... فان صداه لايلبث ان يتردد فى سائرهما ..
وامامنا المثل الشاخص فى " فن التوشيح " فقد نجم فى الاندلس ...
وكتبت " نوتته " الموسيقية فى مصر ، وذاع امره فى بقية الاقاليم .
ونحن مع ذلك لانكر اثر البيئة المكانية فى الادب ، ولكننا
ننكر ان اثرها هو الشئ الحاسم فيه ... فقد تؤثر فيه تأثيرا
قشريا خارجيا قد لايتعدى الموضوعات والاعراض ، اما التأثير
الجوهري الداخلى فهو وقف على التقاليد الفنية وحدها التى
تتجاوز حدود الجنس والزمان والمكان .

وامامنا الآن الادلة الواضحة : فالمذهب الادبى اليوم يظهر فى
اقصى الارض فلا يلبث ان يتردد صداه فى سائرهما ... بل انه قد ينتفضى
امره تماما فى موطن ظهوره ، ولكنه يزدهر فى مواطن اخرى نائية
عنه ... ذلك ان الادب يتغذى من الادب لامن شئ خارج عنه ...
اذن فالادب العربى فى الاندلس ليس تقليدا للادب العربى فى
المشرق ... بل هو جزء منه ...

وفى ضوء هذا المفهوم الواضح اخترت ثلاثة اعمال ادبية من
(فن النشر) فى الاندلس ، لابرز ملامح التجديد ، بل الابتكار فيها
ولوضعها فى مكانها الفنى الملائم فى السياق العام للادب العربى
ككل .

وقد وقفت على معالجة كل عمل من هذه الاعمال بابا مستقلا .

الباب الاول :

وقد اخترت له قصة تعالج تجربة خيالية، عنوانه :

(رحلة ابن شهيد فى ارض الجن) او (رسالة التوابــــــــــــــــع

والزواابع) .

وقد قسمته الى ثلاثة فصول :

الفصل الاول : (ابن شهيد بين ادباء الجن ونقادهم) .

وقد وقفت هذا الفصل على تناول القضايا الآتية :

(أ) شياطين الشعراء .

(ب) توابع الكتاب .

(ج) نقاد الجن .

(د) ادباء حيوان الجن .

الفصل الثانى : (البناء الفنى لقصة التوابع والزوابع) .

وقد وقفت هذا الفصل على تناول القضايا الآتية :

(أ) الوسائل الفنية المستخدمة فى القصة .

(ب) المصادر الملهمه بالقصة .

(ج) بين " التوابع والزوابع " و " رسالة الغفران " .

(د) خيال ابن شهيد .

الفصل الثالث : (قيم نقدية لابن شهيد) .

وقد وقفت هذا الفصل على تناول القضايا الآتية :

(أ) الادب المتجدد .

(ب) اختلاف الذوق الادبى باختلاف العصور .

(ج) علاقة التكوين النفسى بالتكوين الجسدى واثر ذلك فى الادب .

- (د) الموهبة والمعرفة .
- (هـ) السرقات الادبية .
- (و) اللفظ والمعنى .
- (ز) وحدة العمل الادبي .

الباب الثانى :

وقد اخترت له عملا فنيا يحتضن تجربة عاطفية ،عنوانه :

- اعترافات ابن حزم العاطفية (او (طوق الحمامة))

وقد قسمته الى ثلاثة فصول :

- الفصل الاول : (الحب قبل الطوق وبعده) .

وقد وقفت هذا الفصل على تناول القضايا الآتية :

- (أ) مؤلفات قبل (طوق الحمامة) .
- (ب) مؤلفات بعد (طوق الحمامة) .
- (ج) اثر السالفين فى (طوق الحمامة) .
- (د) اثر (طوق الحمامة) فى الخالفين .

الفصل الثانى : (تجارب ابن حزم الذاتية وتحليله النفسى لعاطفة

- الحب وشخصيات المحبين)

وقد وقفت هذا الفصل على معالجة القضايا الآتية :

- (أ) تجارب ابن حزم الشخصية .
- (ب) تجارب يرويها عن غيره من الثقات .
- (ج) تحليله النفسى لعاطفة الحب .
- (د) تحليله النفسى لشخصيات المحبين .

الفصل الثالث : (الملامح الفنية والفكرية فى " طوق الحمامة ") .

وقد وقفت هذا الفصل على معالجة القضايا الآتية :

- (أ) ملامح مشتركة بين " طوق الحمامة " وغيره .
- (ب) ملامح ينفرد بها " طوق الحمامة " عن غيره .
- (ج) مفهوم نظرية " الحب " عند ابن حزم .
- (د) مناقشة آراء المستشرقين حول الحب عند ابن حزم .
- (هـ) الوسائل الفنية فى " طوق الحمامة " .
- (و) خصائص أسلوب ابن حزم بوجه عام .

الباب الثالث :

وقد اخترت له قصة تحتضن تجربة ذهنية عنوانه :

(مغامرة الفكر بين رياض الفن) او قصة (حى بن يقظان)

لابن طفيل .

وقد قسمته الى ثلاثة فصول :

الفصل الاول : (قصة حى بن يقظان ونظائرها .

وقد وقفت هذا الفصل على معالجة القضايا الآتية :

- (أ) نظائر سبقت (قصة حى بن يقظان) لابن طفيل .
- (ب) نظائر كتبت بعدها .
- (ج) موازنة بين (حى بن يقظان) لابن سينا و (حى بن يقظان) لابن طفيل .
- (د) نظائر واقعية : تاريخية ، ومعاصرة .
- (هـ) خيال ابن طفيل .



الفصل الثانى : (حى بن يقظان) فى جزيرة المجهول .

وقد وقفت هذا الفصل على معالجة القضايا الآتية :

- (أ) الرحلة البحرية للطفل الرضيع (حى) فى التابوت .
- (ب) (حى) على شاطئ المجهول .
- (ج) الظبية الظئر .
- (د) (حى) وتجاربه فى الكون والحياة .
- (هـ) لقاء (حى) مع (ابسال) .
- (و) رحلة (حى) فى رفقة (ابسال) الى جزيرة (سلامان) .
- (ز) حياة التأمل .

الفصل الثالث : (قصة حى بن يقظان بين الفن والفكر) .

وقد وقفت هذا الفصل على معالجة القضايا الآتية :

- (أ) ماهو فن، وماهو فكر فى رائعة ابن طفيل .
- (ب) العناصر القرآنية فى بناء القصة .
- (ج) (المعرفة الحسية) فى القصة : (منهجها ، ومصدرها) .
- (د) (المعرفة الحدسية) فى القصة (منهجها ومصدرها) .
- (هـ) موقف الاسلام من المعرفة الحدسية .

خاتمة :

وقد وقفتها على تسجيل نتائج البحث .

والحمد لله فى الاولى والآخرة .

مدخل

« الأدب العربي في الأندلس بين الأتباع والإبتداع »

(١)
حدثوا : ان المصاحب بن عباد حين تصفح كتاب العقيد
لابى عمر احمد بن محمد بن عبد ربه قال مستخفا : " هذه بضاعتنا

(١) ترجمته فى يتيمة الدهر(٣/١٩٢)، معجم الادباء (٦/١٦)، بغية
الوعاء (ص ١٩٦) .

ويضم كتاب " اخلاق الوزيرين " لابي حيان جملة كبيرة من اخباره
وقد الف فيه الشيخ محمد حسن ال ياسين كتابا ونشر عددا من
اشاره، وهناك مجموعة من رسائله حققها الدكتوران عبد الوهساب
عزام ، وشوقى ضيف ، القاهرة سنة ١٣٦٦هـ، اما اخباره السياسية
ففى الكتب التى تناولت تاريخ بنى بويه، ينظر ابن خلكان
• (٢٨٢/١)

(٢) ترجمته ، واخباره فى تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضى رقم
(١١٨)، وجذوة المقتبس للحميدى رقم (١٧٢)، وفى " بغية
الملتقى " للضبي رقم (٣٢٨) و " مطمح الانفس " لابن خاقان
(ص ٥٨)، وفى معجم الادباء لياقوت (٤/٢١١ - ٢٢٤)، وفى " وفيات
الاعيان " (١/٣٢ - ٣٣)، وفى " المطرب " لابن دحية (ص ١٥١) وما
بعدها .. واقرأ حياته مفصلة فى كتاب " ابن عبد ربه وعقده " .
لجبرائيل جبور (بيروت سنة ١٩٣٣م) .

ردت اليينا، ظننت ان هذا الكتاب يشتمل على شىء من اخبار بلادهم فاذا هو يشتمل على اخبار بلادنا .. ولا حاجة لنا به " (٣) ... يقصد ان صاحب (٤) العقد) عيال فى موسوعته الادبية الكبيرة على مجهودات المشاركة .. وانه لم يقدم فى هذا الميدان جديدا .

ومن الحق ان كتاب " العقد " يعتبر زبدة ماوعته مؤلفات الاصمعى ، و ابى عبيدة ، والجاحظ ، و ابن قتيبة ... وغيرهم مما لا حاجة للمصاحب بن عباد به .. ولكنه كان حريبا به .. وهو صاحب السذوق المثقف ، والذهن المترف ان يستوقفه ما يميز به هذا الكتاب الغنى الأنيق : من جمال فى التبويب ، وروعة فى الترتيب ، و خلاصة فلسفى الاخراج .. مما جعله بين المؤلفات عقدا .. وفى المنهج فريدا .
على انه لم يدر فى خلد كفى الكفاة ان ابا عمر انما السلف كتابه الجليل .. وحشد فيه ما حشد من كنوز العرب فى الشعر والنثر والخبر والامثال والحكم .. وعلوم الانساب .. والعروض والطب .. والموسيقى .. بل وغرائب المترجمات عن الفرس والهنود ، والاغريق من ضروب الحكمة ، وافانين العظمت .. ليكون فى المقام الاول ، زادا طيبا ، ومرجعا مقنعا لطلاب المعرفة ولشداة الادب فى ارض الاندلس .
هذا الى ان ابا القاسم المصاحب بن عباد .. لو كان يعلم

(٣) معجم الادباء (٤/٢١٤ - ٢٨٥) .

(٤) ذكر هذا الكتاب فى المراجع القديمة باسم " العقد " واول من اضاف اليه كلمة " الفريد " الابشيهى فى كتابه " المستطرف " ، انظر (ابن عبد ربه وعقده) د . جبرائيل جبور (ص ٤٧ - ٥٠) و انظر كتاب " الادب الاندلسى " د . احمد هيكل (ص ٢٥٨ - ٢٥٩) .

ان كتاب (العقد) سيصبح آخر المطاف واحدا من الاصول القليلة
والامهات المعتمدة . . . والتي لن يستغنى عنها باحث او دارس لآداب
لسفة العرب في مغرب الارض ومشرقها سواء ٦ بسوا ٦ . . . لتروى فـسـى
الامر كثيرا قبل أن يطلق قائلته المشهورة .

ولو كان يعلم ايضا ان هذه الموسوعة الغالية الثرية ستؤدى
للخالفين من طلاب المعرفة في هذه الامة بعض ماضع من تـبـسـرات
السالفين من الرواد . . . اذا لغالى في تقديرها، واستقبلها بمـسـا
تستحقه من تجلة وتوقير . . .

والعجب العجيب ان صاحب بن عباد تجاهل ان (عقد) ابى عمر
ليس كله بضاعة مشرقية وان فيه تاريخا لبعض من خلفاء بنى امية
في الاندلس . . . كما ان فيه جملة سالحة من شعر ابى عمر نفسه
الذى تحدى به اشعار المشاركة، وزاحم في بعض فنونه صريح الغوانس
مسلم بن الوليد . . . ترى . . . هل كان موقف صاحب من العقد ومـصـاحـبه
يتصل من قريب او بعيد بموقف المتنبي من ابن عبد ربه . . . ؟

رووا : ان ابا الطيب لقي ابا الوليد بن عسال الاندلسى
في مسجد عمرو بن العاص . . . وبعد حديث جرى بينهما قال المتنبي
الا انشدنى لمليح الاندلس - يقصد ابن عبد ربه - فأنشد بعضا من
رقائق شعره ، فلما اكمل الاندلسى انشاده ، استعاده ابو الطيب ، ثم

(٥) العقد (٤/٤٨٨ - ٥٠٠) ت/ أحمد أمين وآخرون ، دار الكتاب

العربي ، بيروت (١٤٠٣ هـ) .

(٢) العقد (٥/٣٩٨ - ٤٠٠) .

(٧)

صفق بيديه ،وقال : يابن عبد ربه . . . لقد تأتيتك العراق حبوا . .

فهل كان لاجاب المتنبي شعر ابن عبد ربه . . ثم لتلقيبه

اياه بمليح الاندلس صلة بموقف ابن عباد من العقد وصاحب العقد ؟

نحن نعلم سلفا نوع المشاعر التي كان يضمها كافي الكفاية

لاحمد بن الحسين . . ومشهور ذائع بين المتأدبين ماقاله عنه فسى

(٨)

كتابه اللادع (الكشف عن مساوي شعر المتنبي) .

وليس من شك في انه من حقنا ان نتوقف امام هذا كله . .

تلك هي ابرز معلمة في تاريخ الادب العربي ، وضعت خطا فارقتا

بين المشاركة والاندلسيين . . وجعلت تعمق نوعا من الحساسية القائمة

بين مشرق العرب ومغربهم . . وربما ما تزال تعمل عملها حتى

(٩)

اليوم في نفوس المثقفين .

على كل حال لقد نجحت مقولة الصاحب بن عباد وكتب لها

البقاء . . وجعلت تفعل افعالها بين اهل الادب يتلقفها الخلف عن

السلف . . . حتى اصبحت تهمة تخلف الاندلسيين عن اهل المشرق قضية

شبه مسلمة . . والادهي من ذلك ان اهل المغرب المصاقبين لعسرب

الاندلس قد استقرت هذه المقولة بينهم . . وجعلوا يعيرون عرب الاندلس

(٧) ابن خلكان (٢٣٠/١) .

(٨) وفيات الاعيان (٢٣٠/١) .

(٩) يرجع الى مقالات نشرتها مجلة الدوحة التي تصدر بقطر لثلاثة

من كتاب المغرب من امثال عبدالكريم خليفة ،وعباس الجراري

ومحمد مزالي وطائفة من كتاب المشرق من امثال رجاء النقاش

ومحمد جابر الانصاري وفهمي هويدي سنة ١٩٨٥ - ١٩٨٦ م . ومسع

الاسف فقد توقفت هذه المجلة المهمة .

وينسبون اليهم التقصير في مختلف شئون التفكير ... وظلت مشاعر
 الغيرة، والتنافس تغذى هذه القضية بين العدوتين ... حتى تحرك
 ابو على بن الربيب القيرواني، فكتب الى الوزير ابن المغيرة عبـد
 الوهاب بن حزم، رقعة يوجه فيها اللوم الى اهل الاندلس .. ويتهم
 فيها اهل العلم من اهلها بالتقصير ... ويشير الى مقولة صاحب
 ابن عباد السالفة عن كتاب " العقد " ... حيث يقول :

" انى فكرت فى بلدكم اهل الاندلس ... مع كثرة علماءه
 ووفور ادبائه، ثم هم مع ذلك فى غاية التقصير، ونهاية التفریط
 من اجل ان علماء الامصار دونوا فضائل اعيانهم، وقلدوا الكتب مآثر
 اقطارهم .. فأبقوا لهم ذكرا فى الغابرين، ولسان صدق فى الآخرين
 وعلماءكم مع استظهارهم على العلوم، كل امرئ منهم قائم فى ظله
 لا يبرح، وثابت على كعبه لا يتزحزح، يخاف ان صنف ان يعنف، ... لم
 يتعب نفسا احد منهم فى مفاخر بلده، ولم يستعمل نقسا فى فضائل
 ملوكه، ولا بل قلما بمناقب كتابه ووزرائه، ولا سود قرطاسا بمحاسن
 قضاته وعلمائه، على انه لو اطلق ماعقل الاغفال من لسانه، وبسوط
 ماقبض الاهمال من بيانه، لوجد للقول مساقا، ولم تفق عليه المسالك
 هنالك، ولكن هم كل واحد منهم ان يطلب شأو من تقدمه من رؤساء

(١٠) الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة لابن بسام (ق ١ ج ١ ص ١٣٥) ت :

احسان عباس .

(١١) ترجمته فى الصلة (ص ٣١٦)، الجدوة (ص ٢٧٣)، النبية رقم (١١١) ،

المغرب (ص ١٥٧)، المظمح (ص ٢٢)، النفع (١/٦١٦ - ٦١٨ - ٦٢٠) .

العلماء ليحوز قصب السبق ... فاذا ادرك تلك البغية، وجاءته بعدد
المنية دفن علمه معه، ومات ذكره وانقطع خبره ...
فان قلت انه كان ذلك من علمائكم، والفواكتبا لكنها لم تصل
اليانا، فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق، لانه ليس بيننا وبينكم الا روحة
راكب، او دلجة قارب، لو نفت بلدكم معدور لاسمع بلدنا من فـى
القبور، فضلا عن فى الدور والقصور، وتلقوا قوله بالقبول، كما
تلقوا ديوان ابن عبد ربه الذى سماه " العقد " على انه يلحقه
فيه بعض اللوم، اذ لم يجعل فضائل بلده، واسطة عقده، ومناقـب
ملوكه يتيمة سلكه، لكنه اكثر وطول، واخطأ المفصل واطال الهـز
بسيفه غير مقصـل، وقعد به ما قعد باصحابه من ترك ما يعينهم، واغفال
ما يهـمهم، فارشد اخاك ارشدك الله ان كان عندك فى ذلك الجليـة
وبيدك فصل القضية " (١٢)

وواضح من مضمون هذه الرسالة ان ابن الربيب يشن هجوما على
اهل الاندلس ... ويتهمهم بالاهمال والتقصير ... ويحاول ان يجعل
من مقولة صاحب سندا له ...

وينبرى له ابوالمغيرة عبدالوهاب بن حزم ... فيرد عليه
برقعة يتهمه فيها بالتحامل، والظلم والابتعاد عن النصفة والعدل ...
ومما جاء فيها :

" سألت سؤال العالم ... وبحثت بحث اليقظان المتغافل
وادعيت الحيرة، وانت اهدى فى تلك الفلا، من قارط القطا، لتعلم

ابن المخطيء والمصيب، وكيف الجواب والمجيب، والله يوفق من
المراجعة لما يرضيك، ويكون وفق امانيك وما جهل انى ابتهل على
نفسى بهذا الدعاء، لمن اسر حسودا فى ارتغاء ٠٠٠ وغفرا غفرا لهذا
العقوق ٠٠٠ وما اشبهنا بالغريبة التى خيرها يدفن وشهنا
يعلن، يتعب احدنا نفسه، ويرهق حسه، ونتائج فكره محجوبة
وبناة صدره غير مخطوبة، وقد جاهرتنا وحقك بالظلم مجاهرة اننا
اعجب كيف انقاد كريم طبعك لها، وانا اعلم ان عندكم لنا توالييف
تطبيرون بها ٠٠٠ ثم ختم رقعته بذكر جملة من توالييف اهل الاندلس" (١٣)

ويظهر ان مراجعة ابى المغيرة عبدالوهاب بن حزم لابي على بن
الريب لم تقنع ابن عمه العالم الجدلى الاذيب: ابا محمد على بن
احمد بن سعيد بن حزم (١٤) فاندفع يؤلف رسالة مستفيضة يذكر فيها
فضائل الاندلس ومآثر اهلها، واحصاء علماءها من المعاصرين والسابقين
وذكر اسماء توالييفهم وتحديد الموضوعات التى كتبوا فيها من فقه
وتفسير وحديث وجدل وتاريخ وخطط، وانساب، واخبار، ولغة وشعر
وفلسفة، وطب، وهندسة وحساب مع المقارنة، بين علماء الاندلس وعلماء
المشرق ٠٠ يجنح فيها من طرف خفى الى تفضيل علماء الاندلس وادبائه
على نظرائهم من المشاركة بحيث تخرج من رسالته تلك التى يسوق
الحديث فيها مساق اهل المنطق والجدل فى اقامة الحجج والبراهين
وبسط المقدمات المعتمدة على التحليل، والتعليل المفضية الى

(١٣) الذخيرة (ق ١ ج ١ ص ١٣٦ - ١٣٩) ٠

(١٤) سنعرف به ونذكر ترجمته فى الباب الثانى من هذا البحث.

نتائج يرصدها رصدا بحيث تخرج وفق هواه ... فاذا بالاندلس مسن
احسن الاقاليم ان لم يكن احسنها قاطبة ، واذا بجوها من افضل
الاجواء وموقعها من خير المواقع ... واذا باهلها من اذكى
الناس ... وعلمائها من ارض العلماء ، وادبائها من اذكى ادباء
الارض حسا ، وابرعهم تعبيرا ..

وهكذا يبدأ ابو محمد دفاعه عن اهل الاندلس في رسالته بعبارات
تنم عن فحوى مقصوده منها محدد اهدفه بقوله : " ... وفي وصول
كتابي على هذه الهيئة حيثما وصل كفاية لمن غاب عنه من اخبار
تأليف اهل بلدنا مثلما غاب عن هذا الباحث الاول ... " (١٥)

ثم يقول : " وانك وان كنت المقمود والمواجه فانما المراد
من اهل تلك البلاد ممن نأى عنهم علم ما استجلبه السائل الماضى
وماتوفيقى الا بالله ... " (١٦)

ثم يندفع ابو محمد في سرد فضائل اهل الاندلس فيقول :

" فاما مآثر بلدنا فقد الف في ذلك احمد بن محمد الـرـازى
التارىخى كتباجمة ، منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الاندلس ومراسيها
وامهات مدنها ، واجنادها الستة ، وخواص كل بلد منها ، ومافيه مما
ليس في غيره .. وهو كتاب مريح مليح " (١٧)

(١٥) انظر نفح الطيب (١٦٠/٣) ط دار صادر .

(١٦) انظر نفح الطيب (١٦٠/٣) .

(١٧) انظر نفح الطيب (١٦١/٣) .

ثم ينتقل بعد ذلك الى بيان فضل اهل الاندلس وما هم عليه من رفعة المنزلة وعلو الشأن ... ويذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح بلاد الاندلس، ووصف اهلها بصفات الملوك على الاسرة مستشهدا بحديث لام حرام بنت ملحان زوج ابي الوليد عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنهما، ويؤكد ابن حزم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما عنى بذلك اهل الاندلس، محاولا بذلك ان يضيف على الاندلس نوعا من القداسة .. ويستمر ابن حزم فى رده على ابن الربيب القيروانى مبينا له ان اكثر بلاد العرب قد قصر اهلها فى بيان فضائلها فيقول : " والذى نعاها علينا الكاتب المذكور لو كان كما ذكر لكننا فيه شركاء لكثر امهات الحواضر، وحلائل البلاد، ومتسع الاعمال فهذه القيروان بلد المخاطب لنا ما اذكر انى رأيت فى اخبارها تأليفا غير المعرب عن اخبار المغرب وحاشا تأليف محمد بن اسحق الوراق فانه الف للمستنصر رحمه الله تعالى فى مسالك افريقية وممالكها ديوانا ضخما، وفى اخبار ملوكهم كتبها جمة، وكذلك الف ايضا فى اخبار تيهرت ووهران، وتونس، وسلجماسنة والبصرة وغيرها .. تأليف حسانا، ومحمد هذا اندلس الاصم والفرع آباؤه من وادى الحجارة ومدفنه بقرطبة وهجرته اليها .." (١٨)

وان كانت نشأته بالقيروان ...

فابن حزم يريد ان يبين انه ليس اهل الاندلس الذين قصر وافى تخليد مآثر بلدهم فحسب وانما هناك بلدان كثيرة لم يعرف عنها

تأليف ... بل ان الذى كتب تاريخ بلدان الاسلام فى افريقية اندلسى
الاصل .

ثم يستمر ابو محمد فى سرد مآثر بلده وعلماؤها ويقنن بان
الاقاليم الاندلسية بغيرها ... مبتدئا ببلدته ومدينته المشهورة
قرطبة فيقول : " واما فى قسم الاقاليم فان قرطبة مسقط رؤوسنا
ومعقد تماثنا مع سر من رأى فى اقليم واحد، فلنأمن الفهم والذكاء
ما اقتضاه اقليمنا، وان كانت الانوار لاتأتينا الامغرية عن مطالعها
على الجزء المعمور" (١٩) ثم يقول عن اهلها : " فكان اهلها

من التمكن فى العلوم، والنفاد فيها عند من ذكرنا وقد صدق ذلك
وابانته التجربة، فكان اهلها من التمكن فى علوم القياسات
والروايات، وحفظ كثير من الفقه، والبصر بالنحو والشعر، واللغة
والخبر، والطب والنجوم بمكان رحب الفناء" (٢٠) ثم تطرق للحديث
عن القيروان وبغداد التى كانت حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة
والمحلة التى سبق اهلها الى حمل الوية المعارف والتدقيق فى
تصريف العلوم، ورقة الاخلاق، والنباهة، والذكاء، ووحدة الافكار
ونفاذ الخواطر - كما ذكر ابن حزم - الى ان قال : " وما اعلم
فى اخبار بغداد تأليفا غير كتاب احمد بن ابى طاهر . واما سائر
التواريخ التى فيها اهلها فلم يخصوا بلدتهم بها دون سائر
البلاد" (٢١)

(١٩) المصدر السابق (ص ١٦٤ - ١٦٥) .

(٢٠) المصدر السابق (ص ١٦٤ - ١٦٥) .

(٢١) المصدر السابق (ص ١٦٥) .

وعن البصرة التي يقول عنها انها عين المعمورة يقول
" وما اعلم في اخبار البصرة غير كتاب عمر بن شبة، وكتاب لرجل
من ولد الربيع بن زياد المنسوب الى ابي سفيان . . . في خـطـط
البصرة وقطائعها " .^(٢٢) وعن الكوفة قال : " ولا اعلم في اخبار الكوفة
غير كتاب عمر بن شبة " .^(٢٣) الى ان قال : " واما الجبال، وخراسان
وطبرستان . . . وتلك الممالك الكثيرة الضخمة فلا اعلم في شيء منها
تأليفا قصد اخبار ملوك تلك النواحي، وعلمائها، وشعرائها . . .
واطبائها . . . " .^(٢٤)

ثم ينتقل ابن حزم الى ذكر اهل العلم في الاندلس في مجالس
التأليف . " فيذكر في تفسير القرآن الكريم كتاب ابي عبدالرحمن
بقي بن مخلد . . . واصفا اياه بأنه الكتاب الذي لم يؤلف مثله
ولاتفسير محمد بن جرير الطبري، ولا غيره . . . " .^(٢٥)

وفي الحديث النبوي الشريف . . . يذكر مصنفنا لصاحب هذا التفسير
رتبه على اسماء الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، وشرح منهجه فيه
بأنه روى فيه عن الف وثلاثمائة صاحب ونيف، ثم رتب احاديث كل
صاحب على اسماء الفقه وابواب الاحكام، فهو كما يقول : " مصنف

(٢٢) المصدر السابق (ص ١٦٨ - ١٦٩) .

(٢٣) المصدر السابق (ص ١٦٨ - ١٦٩) .

(٢٤) المصدر السابق (ص ١٦٨ - ١٦٩) .

(٢٥) المصدر السابق (ص ١٦٨ - ١٦٩) .

(٢٦) ومسنند ٠٠٠ ويصف صاحبه بأنه ثقة ضابط ،متقن فى هذا المصنف ،مسـنـ حيث جودة شيوخه ،لانه روى عن مائتى رجل واربعة وثمانين رجـلا ليس فيه عشرة ضعفاء ،وسائرهم اعلام مشاهير ٠٠٠٠ ولابى عبدالرحمن هذا ايضا مصنف فى فضل الصحابة ،والتابعين ومن دونهم ٠٠٠ وبسـان هذا المصنف اربى فيه على مصنف سعيد بن منصور وغيره ٠٠٠ واصبحت (٢٧) تآليف هذا الامام كما يقول ابو محمد ،قواعد للاسلام لانظير لها ٠٠٠ وانه كان متحيزا لا يقلد احدا ،لانه كان ذا خاصة من احمد بن حنبل رضى الله عنه ٠٠٠" . (٢٨)

ثم اشاد بعد بجهودهم فى احكام القرآن ،والسنة النبوية ،وفى الفقه على مختلف مذاهبه ٠٠٠ وعدد من مصنفاتها ماشاء الله لسه ان يعـد .

واما تصانيفهم فى اللغة فيذكر " الكتاب البارع الذى الفه اسماعيل بن القاسم يحتوى على لغة العرب ٠٠٠٠ وله ايضا كتساب اسمه المقصور والممدود ،والمهموز ،لم يؤلف مثله فى بابـه (٢٩) وكتاب الافعال لمحمد بن عبدالعزيز المعروف بابن القوطية بزيادات ابن طريف ويصفه " بأنه لم يؤلف مثله فى بابـه " (٣٠) .

-
- (٢٦) المصدر السابق (ص ١٦٩)
 - (٢٧) المصدر السابق (ص ١٦٩)
 - (٢٨) المصدر السابق (ص ١٧١)
 - (٢٩) المصدر السابق (ص ١٧٢)
 - (٣٠) المصدر السابق (ص ١٧٢)

وذكر أيضا في هذا المجال كتابا لابي علي اسماعيل بن القاسم
يبارى به كتاب الكامل لابي العباس المبرد . . . ويثنى على هذا
الكتاب قائلا : " ولعمري لئن كان كتاب ابي العباس اكثر نحوا
(٣١)
وخبرا فان كتاب ابي علي اكثر لغة وشعرا . . . " .

وينتقل ابو محمد الى الحديث عن جهود الاندلسيين في الشعر
فيقول : " ومما الف في الشعر كتاب عبادة بن ماء السماء في اخبار
شعراء الاندلس ، كتاب حسن . . . وكتاب الحداثق لابي عمر احمد بن
فرج ، عارض به كتاب الزهرة لابي بكر محمد بن داود رحمه الله تعالى
وابو عمر اورد مائتى باب ، في كل باب مائة بيت ، ليس فيها باب
تكرر اسمه لابي بكر ، ولم يورد فيه لغير اندلسي شيئا ، واحسن
الاختيار ، واجاد فبلغ الغاية ، واتى الكتاب فردا في معناه . . . ثم
يقول " ومنها - اى مما الف في الشعر - كتاب التشبيهات من
اشعار اهل الاندلس جمعها ابو الحسن علي بن محمد بن ابي الحسين
الكاتب وهو حى بعد . . . ومما يتعلق بذلك شرح ابي القاسم
(٣٢)
الافليلي لشعر المتنبي ، وهو حسن جدا . . . " .

وفي التاريخ : تحدث عما احرزها الاندلسيون من باع طويل في
تدوين الاخبار . . . وفي مقدمة ذلك تواريخ احمد بن محمد بن موسى
الرازي في مجالات اخرى كالطب ، والفلسفة ، وغير ذلك مما يعد من
(٣٣)
جهود اهل الاندلس .

(٣١) نفس المصدر السابق (ص ١٧٢) .

(٣٢) نفس المصدر السابق (ص ١٧٣) .

(٣٣) نفس المصدر السابق (ص ١٧٣) .

وفى آخر هذه الرسالة : يعلل ابن حزم سبب ذكره لهذه التأليف ...
وأنها مستحقة للذكر لكونها تدخل تحت الأقسام السبعة التي لا يؤلف عاقل
- كما يقول - إلا في أحدها : وهي إما شيء لم يسبق إليه باختراعه ، أو شيء
ناقص يتمه ، أو شيء مستغلق يشرحه ... أو شيء طويل يختصره ، أو شيء
متفرق يجمعه ، أو شيء مختلط يرتبه ... أو شيء أخطأ فيه مؤلفه
يصلحه ... " (٣٤) .

... ثم يتحدث أبو محمد عن مكانة الأندلس بصفة عامة بالنسبة لما
جاورها من البلدان ، فيقول : " وبلدنا هذا على بعده من ينبوع العلم
ونأيه من محلة العلماء ، فقد ذكرنا من تأليف أهله ما ان طلب مثلهم
بغارس والاهواز ، وديار مضر ، وديار ربيعة ، واليمن والشام ، أعوز وجود ذلك
على قرب المسافة في هذه البلاد من العراق التي هي دار لهجرة الفهم
وذويه ، ومراد المعارف وأربابها ... " (٣٥) .

ثم يقارن في آخر المطاف بين بعض رجال الفكر والأدب من أهل
الأندلس بغيرهم ممن يوجد في البلدان الأخرى ، فيقول : " ونحن اذا ذكرنا
أبا الأجر جعونة بن الصمة الكلابي ، في الشعر لم نباه به إلا جريرا
والفرزدق لكونه في عصرهما ، ولو أنصف لاستشهد بشعره فهو جار على مذهب
الأوائل لأعلى طريقة المحدثين ... واذا سمينا بقى بن مخلد لم نباه به
إلا محمد بن اسماعيل البخارى ومسلم بن الحجاج النيسابورى ، وسليمان بن
الإشعث السجستاني واحمد بن شعيب النسائي ... ويذكر أيضا في الشعر

(٣٤) نفس المصدر السابق ص ١٧٦ .

(٣٥) المصدر السابق ص ١٧٧ .

أحمد بن دراج القسطلی، ويعتبره من فحول الشعراء... اذ هو كما يقول
لايتأخر عن شأو بشار وحبيب والمنتنبی " ٠ (٣٦)

وقى البلاغة : يذكر أحمد بن عبد الملك بن شهيد، وأنه له من التصرف
فى وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لسانى
عمرو وسهل... أى عمرو بن مسعدة وسهل بن هارون " ٠ (٣٧)

... وبعد مضي أكثر من قرنين من الزمان على رسالة أبى محمد ابسن
حزم فى الرد على ابن الربيب يأتى على بن موسى بن سعيد فيكتب تكلمة
لرسالة ابن حزم السالفة الذكر، يستدرك فيها مافاتة فى زمانه وما استجد
بعد عصره من علماء ومؤلفين مع ذكر مؤلفاتهم، وموضوعات بحوثهم التى
حوت من الدراسات ما لم يكن قد وجد فى عصر ابن حزم :

من ذلك ما ألف حول القرآن الكريم مثل كتاب " الهداية " من تأليف
العالم الزاهد أبى محمد مكى بن أبى طالب... الى تأليف أخرى فى
اعراب القرآن بلغت نحو سبعة وسبعين تأليفاً .

ثم ذكر ما ألف فى الحديث، وأصول الدين، وأصول الفقه... وذكر
كتبا لأبى الوليد بن رشد، وتوالمف لأبى حيان الكبير... وكتبا أخرى
فى النحو واللغة والشعر... (٣٨)

ولاشك أن استدراك ابن سعيد أو تذييله على رسالة ابن حزم يعد
احصاءً دقيقاً لمؤلفات الاندلسيين حتى الثلث الشانى من القرن السابـع

(٣٦) المصدر السابق ص ١٧٧ .

(٣٧) المصدر السابق ص ١٧٨ .

(٣٨) النسخ ١٥١/٣ - ١٥٢ . وكذلك ص ١٧٩ - ١٨٦ .

الهجرى ٠ (٣٩)

على أن دائرة ربح هذه المعركة بين أدباء الاندلس، وبين من رماهم
بالتقصير والاهمال لم تقف عند هذا الحد ... بل مالبت أن احتدمت
الحرب من جديد بين أبى الوليد اسماعيل بن محمد الشقندى المتوفى
(سنة ٦٢٩هـ) وبين أبى يحيى بن المعلم الطنجى اثر محاوره جرت بينهما
فى مجلس أبى يحيى بن زكريا صاحب مدينة سبته .

فأنشأ أبو الوليد الشقندى رسالة حارة الاسلوب مونة العبارات فى
اظهار فضائل الاندلس وابرار محاسن أهله، وتخليد آثارهم فى ثقافتهم
العرب ٠ (٤٠)

ومن الحق أن نقول : ان هذه الرسالة تعد خير ماكتب فى هـ
القضية اذ هى من ناحية تعتبر أثرا أدبيا شديد الروعة من حيث
الاسلوب ... ومن ناحية أخرى تعتبر سجلا حافلا بمفاخر الاندلسيين فى الفكر
والاجتماع والتاريخ .

يبدا أبو الوليد رسالته مطاولا ومفاخرا، واضعا أندلسه الحبيب فى
قنة عالية لا يصل اليها بر العدو الا فىقول :
" الحمد لله الذى جعل لمن يفخر بالاندلس أن يتكلم ملء فيه
ويطلب ماشاء فلا يجد من يعترض عليه ، ولا من يشنيه ، اذ لا يقال للنهار :

(٣٩) يرجع الى رسالة ابن سعيد فى " مجموع رسائل الاندلس واهلها "
ص ٢٢ - ٢٨ وفى نفح الطيب ج ٣، ص ١٥١ - ١٥٢، وكذلك من ص ١٧٩ - ١٨٦ .
(٤٠) يرجع الى رسالة الشقندى ص ٥٠ وما بعدها فى " مجموعة رسائل
فضائل الاندلس واهلها "، وكذلك النفح، ج ٣، ص ١٨٦ وما بعدها .

يامظلم ،ولالوجه النعيم : يا قبيح ... أحمده على أن جعلنى ممن أنشأتسه
وحبانى بأن كنت ممن أظهرته ،فامتد فى القخر باعى ،وأعاننى على الفضل
كرم طباعى .

أما بعد فإنه حرك منى ساكنا ،وملأ عينى فارغا ،فخرجت عن سجيئى فى
الأعضاء مكرها الى الحمية والاباء ،مناع فى فضل الاندلس أراد أن يخرق
الاجتماع ،ويأتى بما لم تقبله النواظر ،والاسماع ،وان يفضل بر العدو على
بر الاندلس ،فرام أن يفضل على اليمين اليسار ،ويقول : الليل أضوأ ممن
النهار ... فيامن نفخ فى غير ضررم ،ورام صيد البراة بالرخم ،كيف تتكثر
بما جعله الله قليلا ،وتتعزز بما حكم الله أن يكون ذليلا ،ماهـذ
المباهة التى لاتجوز ،وكيف تبنى أمام الفتاة العجوز ؟..

أقن حياك أيها المفرد بالنعيب ... المتحيب الى الغوانى بالمشيب
الخضيب ،أين غرب عقلك ،وكيف نكس على عقبه فهمك ولبك ؟..
أبلغت العصية من قبلك أن تطمس على نورى بصرك ولبك ...؟

ثم ينتقل بعد ذلك الى المطاولة بملوك الاندلس ،وابداء مزاياهم
الحضارية والعقلية ،والاخلاقية والنفسية فيقول :

" أما قولك الملوك منا ،فقد كان الملوك منا أيضا : ان كان الآن كرسى
جميع بلاد الغرب عندكم بخلافة بنى عبد المؤمن ... فقد كان عندنا بخلافة
القرشيين ...

وكان من حسنات ملكهم المنصور بن عامر ... الذى بلغ فى بلاد
النصارى غازيا الى البحر الاخضر ... وقد قيل فيه من الامداح وألف من
الكتب ما سمعت ،وعلمت حتى قصد من بغداد ،وعم خبره أقاصى البلاد ... وقد سمعت
ما كان من الفتيان الصامرين : مجاهد ومنذر ،وخيران ... وسمعت من الملوك

العربية : بنو عباد، وبنو صمادح، وبنو الافطس، وبنو ذى النون، وبنو هود
كل منهم قد خلد فيه من الامداح، مالو مدح به الليل لصار أضوأ مسن
الصباح، ولم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادى النواسم بين الرياض
وتفتك فى أموالهم فتكة البراض ...

وكان لهم من الحنو على الادب، مالم يقيم به بنو حمدان فسسى
حلب ... وكانوا هم وبنوهم ووزراؤهم صدورا فى بلاغتى النظم والنشـر
مشاركين فى فنون العلم، وآثارهم مذكورة، وأخبارهم مشهورة، ... وبالله الا
ما سميت لن بمن تفخرون ؟ ...

سقموت الحاجب ؟ أم بمالح الرغواطى ؟ ...

ويطيب لأبى الوليد الشقندى أن يبرز كرامة أهل الفكر وابعاهم
فى مواجهة رغبات الملوك وطموحاتهم ... بأرض الاندلس ... فيقص خبـر
عالم أندلس أراد منه أحد الملوك أن يجعل أحد كتبه منسوبا اليه
فى التأليف على أن يهبه لقاء ذلك مالا كثيرا، فيرفض هذه الصفقة
ويرفع العلوم فوق قدر الذهب والدنانير ... فيقول مفاخرا :

" ومن أعظم ما يحكى من المكارم التى لم نسمع لها أختا : أن أبـا
غالب اللغوى ألف كتابا، فبذل له، مجاهد العامرى، ملك دانية، ألف
دينار، ومركوبا، وكسى، على أن يجعل الكتاب باسمه ... فلم يقبل ذلك
أبو غالب، وقال : كتاب ألفته لينتفع به الناس، وأخذ فيه همتى
أجعل فى صدره اسم غيرى، وأصرف الفخر له ...
لا أفعل ذلك ...

فلما بلغ ذلك مجاهد استحس أنفته، وهمته، وأضعف له العطاء، وقال :

(ورد اسمة أيضا سقمود، وسقوت : وهو : سقوط البرغواطحي المتغلب على
مدينة سبتة، ومنه أخذها يوسف بن تاشفين) أنظر نوح الطيب، ج ٣، ص ١٩١.

هو في حل من أن يذكرني فيه ، لانصده عن غرضه ... " .

ثم ينتقل بالحديث الى المفاضلة بين العلماء ، ويخاطب أبا يحيى بن المعلم قائلا : " وانك وان تعرضت للمفاضلة بين العلماء فأخبرني : هل لكم في الفقه مثل عبد الملك بن حبيب الذي يعمل بأقواله الى الآن ، ومثل أبي الوليد الباجي ، ومثل أبي بكر بن العربي ، ومثل أبي الوليد ابن سنن رشد الاكبر ، ومثل أبي الوليد بن رشد الاصغر ... نجوم الاسلام ، ومصابيح شريعة محمد عليه السلام " . (٤١)

ويشيد في حديثه بأبي محمد بن حزم حيث يقول : " وهل لكم فـ... الحفظ مثل أبي محمد بن حزم الذي زهد في الوزارة والمال ، ومال السـ... رتبة العلم ، ورآها فوق كل رتبة ...

ثم يتحدث بعد ذلك عن ابن عبدالبر ، وأبي بكر بن الجد حافظ الاندلسي وذكر أهل اللغة وعلى رأسهم ابن سيده صاحب " المحكم " وكتاب " السماء والعالم " ... وعنه يقول : " الذي ان أعمى الله بصره فما أعمى بصيرته ... " .

وفي النحو : ذكر أبا محمد بن السيد ، وتصانيفه .. وابن الطراوة وجهوده في النحو الى أن قال : " وأبو علي الشلوبين الذي بين أظهرنا الآن ، وقد سار في المغارب والمشارك ذكره ... " .

ويفاخر أبو الوليد ببعض رجال الاندلس ممن برعوا في علم النجوم والفلسفة والهندسة ، ومنهم : المقتدر صاحب سرقسطة ... ويذكر فـ... الطب ابن طفيل صاحب رسالة حي بن يقظان ، ثم يذكر بني زهر . ثلاثتهم على

نسق أبا العلاء ، وابنه : عبد الملك ثم ابنه أبا بكر .

ويذكر ممن برع في التاريخ : ابن حيان ، صاحب " المتين " و " المقتبس "

ومن أهل الأدب : ذكر من رؤساء علم الأدب ابن عبد ربه صاحب

" العقد " . (٤٢)

ويفاخر بصاحب الذخيرة فيقول : " وهل لكم في الاعتناء بتخليد مآثر

فضلاء اقليمه ، والاجتهاد في حشد محاسنهم مثل ابن بسام صاحب الذخيرة

وهب أنه كان يكون لكم مثله فما تصنع الكيسه في البيت الفارغ . . . " . (٤٣)

وفي بلاغة الاندلسيين في النثر يقول ، وهل لكم في بلاغة النثر كالفتح بن

عبد الله الذي ان مدح رفع ، وان ذم وضع ، وقد ظهر له من ذلك في كتاب القلائد

ما هو اعدل شاهد ، ومثل : ابن ابي الخصال في ترسيه ، ومثل ابي الحسن سهل

ابن مالك الذي بين اظهرنا الآن في خطبه . . . " . (٤٤)

ويذكر من الملوك الشعراء المعتمد بن عباد ، ويعرض نماذج من شعره

الرائع . . .

ويذكر من الملوك العلماء المظفر فيقول متحديا : " وهل لكم ملك ألف

في فنون الآداب كتابا في نحو مائة مجلدة ، مثل المظفر بن الافطس ملك

بظليوس ، ولم تشغله الحروب ، ولا المملكة ، عن همة الادب . . . " . (٤٥)

(٤٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٤٣) المصدر السابق ص ١٩٣ .

(٤٤) المصدر السابق ص ١٩٣ .

(٤٥) نفس المصدر ص ١٩٣ .

ويذكر من الوزراء الشعراء ابن عمار الذي سار شعره في الأفق

" أشرد من مثل ، وأحب الى الاسماع من لقاء حبيب وصل " . (٤٦)

كما يذكر من هؤلاء الوزير الذائع الصيت ابن زيدون ولاسيما فـ

نونيته المشهورة، التي يقول عنها : " انه لم يقل مع طولها فن النسيب

أرق منها " . (٤٧)

كما يذكر ابن وهبون ويقارنه بأبي الطيب المتنبي . . . ويفاخر

ببديهته الحاضرة في ارتجال الشعر من غير أن يذهب الارتجال باحسانه

واجادته . . .

ويتحدث عن ابن دراج القسطلي الذي قال فيه الثعالبي : " هـ

بالمقع الاندلسي كالمتنبي بصقع الشام " (٤٨)

ثم يذكر له بقعة أبيات في مدح الحاج المنصور، يقول عنها الشقندي :

" وأنا أقسم بما حازته هذه الابيات من غرائب الآيات ، لو سمع هـ

المدح سيد بنى حمدان لسلايه عن مدح شاعره الذي ساد كل شاعر

ورأى أن هذه الطريقة أولى بمدح الملوك من كل ماتفنن فيه كل ناظم

وناشر . . . " (٤٩)

ثم يتحدث أبو الوليد عن أبي جعفر اللماضي ، وتشبيهاته الغريبة . . .

وأبي حفص بن برد وتعبيراته العجيبة وولادة بنت المستكفي ، ومداعباتها

لصاحبها ابن زيدون . . . " (٥٠)

(٤٦) نفس المصدر ص ١٩٣ .

(٤٧) نفس المصدر ص ١٩٤ .

(٤٨) نفس المصدر ص ١٩٥ .

(٤٩) نفس المصدر ص ١٩٥ .

(٥٠) نفس المصدر ص ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٨ .

ثم يجول جولة ببلاد الاندلس مفاخرا بما حباها الله به من محاسن
 مما يميمت - كما يقول - الحسود كمدا ٠٠٠ وأخذ يتحدث عن اشيلية واعتدال
 هوائها، وحسن مبانيتها، وما قيل في نهرها الاعظم من أشعار ٠٠٠ مقارنسا
 اياه بنيل مصر، فيقول: " وأخبرني شخص من الاكياس دخل مصر وقد سألته
 عن نيلها أنه لا يتصل بشطيه البساتين والمنازه اتصالها بنهر اشيلية
 وكذلك أخبرني شخص آخر دخل بغداد، وقد سعد هذا الوادى بكونه لا يخلو من
 مسرة ٠٠٠ " (٥١)

ثم ذكر قرطبة ووصفها بأنها كرسى المملكة في القديم، ومركز العلم
 ومنار التقى ومحل التعظيم والتقديم ٠٠٠ وبها استقر ملوك الفتح
 وعظماؤه ٠٠٠ ووصف أهلها بأنهم أشد الناس محافظة على العمل بأصح
 الاقوال المالكية حتى كانوا لا يولون حاكما الا بشرط ألا يعدل في الحكم عن مذهب
 ابن القاسم ٠٠٠ ثم وصف بعد ذلك جيان وقرطبة، وذكر بعض شاعراتها مثل
 زهون القلاعية، وزينب بنت زياد، وحفصة بنت الحاج، وقد اشتهرت بالظسرف
 والادب ٠٠٠ يقول عنها: " وناهيك بها في الظرف والادب، وهل ترى أظرف
 منها في جوابها للوزير الحسيب الناظم الناثر أبي جعفر بن القاشد
 الاجل أبي مروان بن سعيد ٠٠٠ وأخيرا تحدث عن بقية مدن الاندلس: مالقة
 ومرسية، وبلنسية، وميورقة، وختم هذه الرسالة بحمد الله والصلاة على
 رسوله صلى الله عليه وسلم ٠٠٠ (٥٢)

(٥١) المصدر السابق ص ٢١٢ .

(٥٢) المصدر السابق ص ٢١٤ - ٢١٨ .

هذا وتجدر الإشارة الى أن رسالتى ابن حزم والشقندى واجهتا من يظعن فى الاندلسيين مواجهة مباشرة، وان رسالتيهما لم تكونا موجّهتين الى ابن الربيب وابن المعلم فحسب، ولكنهما كانتا موجّهتين الى كسل من يردد مقولة الصحاب بن عباد فى مشرق الارض ومغربها ... وهناك جملة من التوايف الاندلسية كان اتجاهها نفس اتجاه رسالتى أبى محمد، وأبى الوليد : أى الدفاع عن الفكر الاندلسى، والثقافة الاندلسية ... وسلكت نفس المنهج فى ذكر الملوك والوزراء، والكتاب والشعراء والعلماء وابراز ماحبا الله به أقاليم الاندلس من موقع متميز، وأجواء معتدلة، وخصوصية فى الارض ، وكثرة فى العمران، ورغد فى العيش ... وما الى ذلك ... غير أنها لم تكن مباشرة فى المواجهة ... وان كانت الخصومة، والتحدى تطل من بين سطورها .

ولعل أهم كتاب يمثل ذلك موسوعة أبى الحسن على ابن بسام الشنترينى

المتوفى سنة ٥٢٢هـ المسماة "الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة" .

ومما يدل على الهدف الذى كان يسعى اليه من وراء تأليف كتابه الجليل، وبذل الجهد المفضى فى الحشد والجمع والحفظ والعمل الدائب تلك الصرخة الحادة المغيظة التى باح بها فى مقدمة كتابه اذ يقول : " الا أن أهل هذا الافق أبوا الا متابعة أهل المشرق يرجعون الى أخبارهم المعتادة رجوع الحديد الى قتادة حتى لو نعق بتلك الافاق غراب أو طمن بأقص الشام والعراق ذباب، لجثوا على هذا صنما، وتلوا ذلك كتابا محكما ... وأخبارهم الباهرة، وأشعارهم السائرة مرمى القسيه، ومنأخ الرذية، لا يعمر بها جنان ولا خلد، ولا يصرف فيها لسان، ولا يد، فغاضنى منهم ذلك وأنفت مما هنالك، وأخذت نفس بجمع ما وجدت من حسنات دهرى، وتتبع

محاسن أهل بلدى وعصرى غيرة لهذا الافق الغريب أن تعود بدوره أهله
وتصيح شمادا مضمحلة ٠٠٠ " (٥٣)

ثم يأتى الوزير الكاتب أبو نصر الفتح بن خاقان بن محمد بسسن
عبدالله القيسى (ت ٥٢٩هـ) فألف كتابيه المعروفين : قلائد العقيان فى
محاسن الاعيان ، ومطمح الانفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الاندلس .
وقد قسم كتابه الاول اقساماً أربعة :

- القسم الاول : تحدث فيه عن الرؤساء ، وأبنائهم ومستعذب أبنائهم .
 - القسم الثانى : خصه للوزراء والكتاب والبلغاء .
 - القسم الثالث : ذكر فيه أعيان القضاة ، وأعلام العلماء السراة .
 - القسم الرابع : فى بدائع نبيها الادباء ، وروائع فحول الشعراء .
- وقد حوى كتابه أربعاً وستين ترجمة ٠٠٠ وقد اقتصرت ترجماته على
أعيان القرن الخامس الهجرى ، والمعاصرين له من القرن السادس ٠٠٠ وقد
مزج فى كتابه هذا بين التاريخ والادب ٠٠٠ وقد سجل فى هذا الكتاب
أروع ما أنتجته قرائح الرؤساء والوزراء والعلماء والادباء من نشر رصين
ونظم رائع .

أما كتابه الثانى مطمح الانفس ، فقد سرد فيه عن الوزراء ٠٠٠ وتناسق
درر الكتاب والبلغاء ، ومحاسن اعلام العلماء ، وأعيان القضاة والفهماء ٠٠٠
ومحاسن الادباء النوابغ والنجباء ، وقد أعلن فى هذا الكتاب عن غرضه من
هذا التأليف ٠٠٠ فاذا هو يلتقى فى الهدف مع أبى الحسن على بن بسسن
صاحب الذخيرة الأنف الذكر ٠٠٠ حيث يقول الفتح :

" وأبقيتها لذوى الآداب ذكرا، ولأهل الاحسان فخرا، يساجلون بهـ"

أهل العراق، ويحاسنون بمحاسنها الشمس عند الاشراق " . (٥٤)

ويجىء على بن موسى بن سعيد الذى كان سادس ستة كتبوا فى فضائل
أهل الاندلس كتابا شاملا ذلك هو كتاب " المغرب فى حلى المغرب " الذى
أتمه وراجعه أبو الحسن على بن موسى آخر أفراد هذه الاسرة . . . جعل هسذا
الكتاب سيرا وتراجم لرجال الاندلس ممن برزوا فى مجال العلم والادب منذ
بداية العصر الاموى حتى نهاية عصر الموحدين . . . وهو بمثابة الرد على
كل من أراد النيل من أهل الاندلس، ويعد مكملا للسلسلة الادبية التى
سبقته فى هذا المضمار .

بعد هذه الجولة المتأنية فى متابعة هذه القضية، نستطيع أن نقول
ان العصبية الاقليمية كانت وراء كثير من الاحكام الادبية والفكرية فى
تقويم الادب العربى فى الاندلس، ظهر ذلك فى موقف صاحب بن عبـ
من عقد ابن عبد ربه . . . إذ أنه بادر برده جملة من غير أن يعطى الامر
حقه من الدرس والتحقيق . . .

ولو تروى قليلا لوجد فى " العقد " جديدا فى منهج تأليفه . . . وفى
عرض بضاعة أندلسية صحيحة، تتمثل فى شعر ابن عبد ربه . . . وفى أخبار
تاريخية. أندلسية انتظمتها أرجوزة أبى عمر فى الخليفة الاموى العظيم
عبدالرحمن الناصر .

وظهر ذلك فى موقفى ابن الريب، وابن المعلم . . . حيث أطلقـ

(٥٤) مطمح الانفس ومسرح الشانس، للفتح بن خاقان ص ١٤٩، ت: محمد على

شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، سنة ١٤٠٣ هـ .

أحكاما سريعة عامة ... يتهمان فيها مفكرى الاندلس بالتقصير والاهمال
فى الوقت الذى كانت فيه العدو الافريقية عيالا على الاندلس فى شئون
الفكر والادب .

وظهر ذلك فى موقف ابن حزم فى رده على ابن الربيب ، فقد كانت
الاندلس فى رأيه المثل الاعلى فى كل شئ : أقاليمه أفضل الأقاليم ...
وعلمائه أنبل العلماء ... وأهله أزكى البشر ... وأدباؤه خير الأدباء ..
بل حاول أن يفضى على الاندلس بعامية شيكا من القداسة .

وظهر ذلك أيضا بطريقة أكثر مغالاة فى موقف الشقندى من مناظرة
ابن المعلم : اذ لم يدع شيكا فى الاندلس الا أشاد به ، ولم يترك شيئا
فى العدو الافريقية الا سخر به ... حتى ان الرجل المجاهد الزاهد
يوسف بن تاشفين لم ينج من لسانه .

وظهر ذلك أيضا فى الكتب المدونة من أمثال : ذخيرة ابن بسام
وقلائد الفتح بن خاقان ومطمحه ... ومغرب ابن سعيد ، فهذه الموسوعات
الجليلة لم تخل من عصبية غالية تطل بين الحين والآخر ، فرارا من تهمة
التقليد .

بل لقد تطورت العصبية فى الاندلس الى نوع من الشعبوية ، يظهر ذلك
فى الرسالة التى كتبها أبو عامر بن غرسة الى ابن الخراز (٥٥)
حقا ان هناك مؤلفات حاولت أن تجمع بين أدباء المشرق وأدباء
المغرب والاندلس فى صعيد واحد ، مثل صنيع أبى منصور عبد الملك الثعالى

(ت ٤٢٩ هـ) فى موسوعته العظيمة " يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر " .
وقد احتذى عليه فى هذا المنهج أبو الحسن البأخرزى (ت ٢٤٧ هـ) فى
كتابه الجليل " دمية القصر، وعصرة أهل العصر " .

ثم سار على طريقتهما العماد الاصفهانى الكاتب (ت ٥٩٧ هـ) فى
موسوعته الخطيرة " خريدة القصر، وجريدة العصر " وتبعهم آخرون .
ولاشك أن هذا المنهج يدل على شعور معتدل بوحدة الادب العربى فى
مشرق الأرض ومغربها

ولكن أبا منصور الشعالبى رغم ذلك كله لم تلبث العصبية الاقليمية
أن تطل برأسها فى يتيمة، ولكن هذه المرة بعيدا عن الاندلس، وبالتحديد
على العراق .

فقد عقد أول باب فى كتابه عنوانه هكذا " فضل شعراء الشام على
شعراء سائر البلدان " ويستهل به بقوله : " لم يزل شعراء عرب الشام
وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها فى الجاهلية
والاسلام " .

ويستدل على ذلك معللا بقرب أهل الشام من خطط العرب وبعدهم من
الاماجم .

وتلك عصبية اقليمية جعلت رجلا فى مثل مكانة أبى منصور يسوق
حكما عاما يقدم فيه شعراء الشام على شعراء سائر البلدان ثم
إذا أراد أن يبين السبب فى ذلك جعل المفضول عليهم شعراء العراق خاصة
ونسى سائر البلدان ثم يذكر أن قرب العراق من بلاد فارس هو السبب
فى ضعف شعرائه متجاهلا قرب الشام من بلاد الروم وأن له ما يقرب

العراق من بلاد فارس من تأشير . (٥٦)

وقد حدا حدو أبي منصور في اليتيمة ابن بسام في الذخيرة، فلم يقصرها على أدباء الاندلس، بل جعل لأدباء المشرق نصيبا : ذكر عددا من الوافدين على الاندلس من أدباء المشرق، وعددا من الأدباء غير الوافدين . ولكنه عندما بدأ الحديث عن أدباء المشرق الوافدين، لم تلبس العصبية الاقليمية أن تهب ريحها حيث يقول : " ولم آت بهذه الفرقة من أرباب هذا الفن متعززا من ذلة ولا مستكثرا من قلة، ولا لأنى لم أجد من أعيان وزرائنا وكتابنا من هو أبعد غاية ولا أبهر آية ... ولكنهم أسندوا الى أعلامها، وترددوا بين جميمها، وجمامها ... فصاروا من أهلها بالوفادة عليها، وخطع أوطانهم اليها " .

أجل تلك مبررات ذكرهم في موسوعته ولاشء وراء ذلك ...

أما حين يذكر في كتابه نفرا من أدباء المشرق غير الوافدين يبرر ذلك بقوله :

" وقد أثبت أيضا آخر هذا القسم طرفا من كلام أهل المشرق ... وان كانوا لم يطروا على هذا الافق، حدو أبي منصور الشعالي ... فانه ذكر في يتيمة نفرا من أهل الاندلس " . (٥٧)

أجل ... ولولا أن أبا منصور فعل ذلك مع أدباء الاندلس ... فكان ابن بسام بكل تأكيد كان لايفعل ذلك مع أدباء المشرق . هي العصبية الاقليمية، هنا وهناك، ولا فرق ...

(٥٦) اليتيمة ١٢/١ - ١٣، مقدمة محيي الدين لليتيمة، ص ٩، ط ١ عام ١٣٦٦هـ .

مطبعة حجازى، القاهرة .،

(٥٧) الذخيرة ق ٤ ج ٧، ص ٧ - ٨ .

ذلكم هو موقف السالفين من هذه القضية ...

فما هو موقف الخالفين منها ؟

عند التأمل فى دراسات هؤلاء الخالفين من الباحثين المحدثين والمعاصرين

نجدهم ينطلقون فى بحوثهم حول الادب العربى فى الاندلس من واقع نظرية

الناقد الفرنسى (تين) التى تعالج درس الآداب العالمية وفق منهج

موضوعى يتسم بطابع الحتمية ... وترجع فى مضمونها الى ثلاثة عوامل

تتركز على أساسها خصائص الشعوب الثقافية وهى :

عامل الجنس ...

وعامل الزمان ...

وعامل المكان ...

هذه العوامل جعلت أكثر الدارسين المعاصرين يجزم بأن الادب فى

الاندلس ما هو الا مدى للادب فى المشرق ، لم يبتكر الاندلسيون فيه جديدا

ومن هؤلاء الباحث الكبير الراحل الاستاذ أحمد أمين صاحب كتاب ظهور

الاسلام ، الذى خصص جزءا منه لدراسة الادب فى الاندلس ... وقد ذهب الى

أن هذا الادب ما هو الا مدى خافتا للادب العربى فى المشرق ، يتبين ذلك

من فحوى كلامه الذى يقول فيه : " وأياما كان شعراء الاندلس لم يفلحوا

كثيرا فى استقلالهم عن المشرق ، وابتكارهم وتجديدهم ... ولو أغمضنا

أعيننا وجهلنا قائل القصيدة ، أهو مشرقى أم أندلسى لم نكد نحكم حكما

صحيحا جازما على الشاعر أمغرى هو أم مشرقى ، ولذلك كثيرا ما تنسب

الابيات الى أندلس ، وينسبها بعينها بعضهم الى مشرقى لعدم التمييز

الواضح حتى عند الخبراء ، وربما كان مصداق ذلك ما حكى أن الشاعر الاندلسى

الملقب بالغزال ، وجد في بغداد في جماعة من المثقفين فأنشدهم شعرا لنفسه وادعى أنه لابي نواس لعظم قدر أبي نواس عندهم فصدقوه ، ثم قال لهم : انها لي ، ولو كانت شخصية الاندلسي واضحة في شعر أهلها ، لصعب نسبة أبيات أندلسية الى شاعر مشرقى " (٥٨)٠٠٠ ثم يقول : " وغاية ما عندهم من فروق: (١) أن الطبيعة الاندلسية الجميلة مكنتهم من أن يقولوا كثيرا في شعر الطبيعة ، وهذا لم يكن معدوما في المشرق فان الصنوبري مثلا وهو الشاعر الحلبي خلف ديوانا كله تقريبا في ذلك " .

٢- أن لهم أحيانا أخيلة ذهنية ولعبا بالمعاني يكاد يكون خاصا بهم وقد يفوقون فيه المشاركة ٠٠٠ ثم يقول أيضا :

" ولئن دمج الادب الجاهلى الادب المشرقى ، فالادب المشرقى دمج الادب الاندلسى ، وكان الظن أن يؤثر الادب الاسبانى والفرنسى أيضا أشسرا غير تأثير الادب الفارسى واليونانى في المشرق ، ولكن حدث أن تأثر الاندلسيون بالمشرق أكثر من تأثرهم بالاسبانيين لوحدة اللغة والدين" (٥٩) ذلك ماجعل الاستاذ أحمد أمين يحكم على الاندلسيين بأنهم " كانوا يحسون مركب النقص بالنسبة لادباء المشرق فكملوه بمجاراتهم بدعوى التفوق عليهم ، ولكنهم لم يتفوقوا ٠٠٠ الى أن قال : " والظاهر أن تيسار المشرق كان قويا حتى استحوذ على أدب المغرب ولم يسمح له بالخروج عنه وكان شأن الأدب في ذلك شأن الفقه والتصوف واللغة والفلسفة وسائر فروع العلم ٠٠٠ نذكر هذا بعد أن قرأنا كثيرا من آثار الاندلسيين وقد

(٥٨) انظر ظهر الاسلام ١٠٤/٣ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ط ٥ .

(٥٩) المصدر السابق نفس الصفحة .

دخلنا فى بحث الموضوع ونحن نعتقد أننا قادمون على شيء جديد مبتكر
 فإذا نحن أمام ثروة كبيرة مقلدة، وقد حدث لنا هزيمة أخرى عندما درسنا
 الأدب المصرى وكنا نظن أن المصرية ستتضح فى فروع العلوم والآداب، وأنا
 سنكون أمام شخصية تنتج من الأدب أنواعا جديدة، غير التى أنتجها العراق
 فلم نر بعد الدرس هذا الرأى اللهم الامسحة خفيفة عارضة كالمسحة التى
 رأيناها فى الاندلس، ولعل الزمن يظهر هذا لمن بعدنا أكثر ممــــا
 ظهر لنا ٠٠٠" (٦٠)

وينطلق الاستاذ بطرس البستاني من نفس منطلق أحمد أمين فى كتابه
 "أدباء العرب فى الاندلس" حيث يقول: "تأثر أهل الاندلس المشرقيين
 فى النشر كما تأثروهم فى الشعر، فترسموا خطهم فى أساليب الانشــــاء
 وألوان التعبير، وجاروهم فى نظام الدواوين واستيزار الكتاب والشعراء
 وتعدد أغراضهم وفنونهم تعدادها عند أولئك ٠٠٠" ثم يقول بعد ذلك:
 "واستهوهم الشعر الجاهلى فحفظوه ورددوه، واستفادوا من بلاغته ٠٠٠ وانصرف
 منهم طائفة الى تصنيف المجاميع الأدبية ٠٠٠" (٦١) وضرب أمثلة لهم
 بابن عبد ربه وعقده، وابن بسام صاحب الذخيرة ناعيا عليهم جميعا تأثرهم
 بأدب المشاركة ٠٠٠ فلم يظهر لهم أدب مستقل معادل لبيئتهم المستقلة .
 وممن سار فى نفس هذا الاتجاه المشرق الإسبانى " جارشيا جومــــت"
 صاحب كتاب " الشعر الاندلسى "والذى صرح فيه قائلا: " ولقد كان الشعر
 العربى فى الاندلس فى ذلك الحين صدى خافتا لما كان يتردد فى جوانب
 المشرق القمى من شعر، ولكن أصوله ثبتت فى التربة الاندلسية ٠٠٠" . ثم

(٦٠) نفس المصدر ٢٣٠/٣ .

(٦١) ادباء العرب فى الاندلس وعصر الانبعث - بطرس البستاني، ص ١٨٥ .

يقول : " واننا لنرى في شعر أولئك الآخرين كيف انتقل الشعر رويدا رويدا من المنهج التقليدي الاتباعي القديم الى نهج المحدثين من شعراء البلاط ، وان بعضهم قد نسج على منوال شعراء الجاهلية فجعلوا شعرهم على ما فيه من فحش - دعوات الى الحرب ونقائض لخصومهم ... " ثم يقول : " وقد ظهرت تجديديات وابتكارات لانجد ما يشبهها في الشعراء القديـم ، منها : نظم الراجيز التاريخية التي اعتمد عليها " خليـسان ريبيرا " ليقول بوجود ادب قصصى اندلسي ... ومنها : اختراع الموشحات الذي كان له فيما بعد صدى بعيد ... " (٦٢)

ونضيف كاتباً معاصراً يعتبر رأيه أقرب الى آراء الاساتذة أحمد أمين وزملائه هو الدكتور شوقي ضيف الذي درس النثر كفن له مذاهب وقوانين مطردة ، ولقد كان الظن به أن يحتكم الى المنهج الفني في دراسة النثر في الاندلس ولكنه ما لبث أن حاد عنه الى الطريق الآخر حيث يقول : " ومهما يكن فان عرب الأندلس لم يفتيدوا شيئاً واضحاً في حياتهم العلمية عن طريق الاندلس نفسها ، بل جل ما افادوه اتاهم من المشرق اذ نقلوا الثروة العلمية المشرقية الى بلادهم بكل ما فيها من فقه ، ودين ، ولغة ، ونحو وفلسفة ، وطب ... " ويردد مثل هذا الكلام في كثير من الصفحات التأسيسية كتبها متحدثاً فيها عن هذا الادب ... ثم يذكر أن الاندلس " تندفع نحو تقليد المشرق علمه وأدبه ، وكان هذا الاندفاع طابع الاقاليم العربية فهي جميعاً تتجه نحو الام بغداد ، تتغذى منها ... " واذن فهو يؤكد كلامه هذا أن الاندلس في قضية التأثير كغيره من الاقاليم الاخرى ، ثم يعود فيقول :

(٦٢) الشعر الاندلسي تأليف جارثيا جومث . ترجمة الدكتور حسين مؤنس ص ٢٥

٢٧ ، سلسلة الالف كتاب (ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية

" ونحن لاننكر أثر الاقليمية من حيث هو فدائما توجد في كل اقليم صفات تميز أدبه بعض التمييز من أدب الاقاليم الاخرى ؛ ولكن ينبغي ألا ينزلق من ذلك الى القطع بأن الاقاليم العربية أوجدت لأنفسها أدبا متخالفة بتخالفاها ، فان ذلك انما ينزلق اليه من لم يقرأ شيئا من آداب هذه الاقاليم ، فتراه يعتمد في حكمه على الحدس والتخمين كأننا بازاء مسألة ميتافيزيقية ، أما الذين يكفون عقولهم عن مثل هذه الفروض لاجئين الى الحقائق الحسية الصحيحة يستمدون منها أحكامهم ، وآراءهم فانهم يعرفون أن جملة النماذج التي كونها الادب العربي في أي اقليم من أقاليمه لا تختلف اختلافات واسعة عن النماذج الاساسية لهذا الادب التي كونها فسي الشرق " (٦٣) .

وهذا الكلام جيد من حيث أنه سجل الظاهرة الادبية بأمانة ودقة فسي الاندلس وفي سائر الاقاليم العربية الاخرى ووصل الى أن الاندلس فسي هذه القضية لا تختلف عن غيرها في شيء فالكل يستمد في الاساس أصول ثقافته وزاده الفكري من بغداد وليت أستاذنا وقف عند كلامه هذا ، لكنه أراد من أهل الاندلس وحدهم دون سائر العرب أن ينحووا واصلهم من المشرق جانبا ، وهذا لعمرى شيء عجيب غريب لا يتفق مع طبائع الاشياء اذ أن للحركة الثقافية في الآداب والفنون قوانين تطرد في الناس جميعا لا تفرق بين أندلسي وغير أندلسي .

أما الاستاذ أحمد ضيف رحمه الله فهو يشيد في كتابه " بلاغة العرب في الاندلس " ببراعة أدباء تلك البلاد ، ومكانتهم في الادب العربي فيقول : " كان لعرب الاندلس أدب رائع وشعر بليغ ، ونثر بديع ، وسعة فسي الخيال ، وقدرة على الابتكار ، وكانت دولة الادب هناك في عز مجدها ، وأزهى عصورها ، وساحتها غاصة بالشعراء ، والكتاب في كل فن من فنون البيان أو مذهب من مذاهب البلاغة فكان لهؤلاء الكتاب والشعراء أثر عظيم

فى اللغة العربية وآدابها، ولاسيما ما ابتكروه من أنواع المعانى والخيال
فى النظم والنثر "٠٠٠" (٦٤) .

ثم يقول : " على أن شعر الاندلس يمتاز فى جملة من الشعر العربى
بما فيه من المعانى المبتكرة الجميلة، التى كان يعالجها الشعراء هناك
من الوضع البديع، والكلام الرشيق والذوق النقى، والافتنان فى اساليب
الخيال، ولأنه يدل على حياتين، ويرسم صورتين من أحوال العربى : فبينما
ترى الشاعر يصبو الى ذكر بلاده الاولى من حياته البدوية، تجده يذكر
الرياض والبساتين والازهار، والانهار، والمياه الجارية، وظلال الاشجار والنسيم
الليل والآراء العامة والخاصة وأحوال الاجتماع والعبادات "٠٠٠" (٦٥) كمظهر
لحياته الجديدة . ثم يتحدث عن الحياة العقلية فى الاندلس فيقول : " وقد
نمت مواهب العرب فى أسبانيا كما ينمى النبات الصالح للحياة فى
الارض الطيبة، وظهر أثر ذلك فى العلوم والفنون، كما ظهر فى أنواع
البلاغة من شعر ونثر مما لم يكن عند سواهم، ذلك لما كان لهم من النشاط
والجد والمشاركة على البحث والتنقيب، والعمل على فهم ما تركه الساس
قبلهم من علوم عقلية أو نقلية، ومن صناعات وفنون، فكان لهم أثر فى كل
شء اطلعوا عليه فألفوا، ودونوا، واخترعوا، مما لا يكاد يحصى، حتى
ان الحركة العقلية لديهم لم يكن لها مثيل فى زمنهم لأنها كانت نتيجة
جهود العقول والقرائح عند العرب جميعا "٠٠٠" (٦٦)

(٦٤) انظر بلاغة العرب فى الاندلس، احمد ضيف، ص (د)، ط ١ سنة ١٣٤٢ هـ .

(٦٥) انظر نفس المصدر ص ٣٦ .

(٦٦) انظر نفس المصدر ص ٩ .

ويتحدث الاستاذ احمد ضيف عن ارتباط العربي بشعره أينما حل فعندما نزل بلاد الاندلس الجميلة بذر بذوره الاصيله فيها ٠٠٠ وتعهده غرسها هناك ، فنمت في تلك الارض الخصبة ، فكانت كالزهرة الطيبة العرف ، لقحت بأصل آخر نضير الطلعة فظهر فيها أرج الطيب ، ونضارة اللون ، ذلك مثل الشعر العربي في بلاد الاندلس ٠٠٠ " (٦٧) ثم يقول : " جاء الشعر ببلاد الاندلس بصيغته الاولى البدوية ، ومالبت أن أخذ صيغة جديدة ، باتساع التصور ، واختلاف المناظر ، والاطلاع على كثير من العلوم والآراء والميول الى مزج الحركة العقلية بالحركة الاجتماعية ، فتشمل كل مظاهر الافكسار ومرافق الحياة ٠٠٠ ولكن كثيرا ما كان الشعراء يرجعون في أساليبهم وأفكارهم الى الأساليب ، والأفكار البدوية ٠٠٠ لان العرب من أشد الأمم عصبية وحنينا الى وطنهم وعيشتهم الاولى ٠٠٠ " . (٦٨)

ثم يؤكد الصلة الحميمة التي تربط الشعر في الاندلس بالشعر في بغداد وغيرها فيقول : " والذي يقرأ الشعر الاندلسي يجده أبا للشعر في بغداد ، بل في بلاد العرب نفسها من حيث الصفات ، والموضوعات التي كانت عند القدماء ٠٠٠ " . (٦٩)

هذه نماذج من مواقف الدارسين العرب وبعض المستشرقين ممن يدينون الادب العربي في الاندلس لما بينه وبين الادب العربي في المشرق . من صلات

(٦٧) المصدر السابق ص ٣٥ .

(٦٨) المصدر السابق ص ٣٥ .

(٦٩) المصدر السابق ص ٣٥ .

واشجة ... على اختلاف بينهم فى درجات المغالاة والاعتدال . (٧٠)

وهناك دراسات أخرى معاصرة تأخذ جانب الدفاع عن هذا الأدب محاولة أن تبرز له شخصية مستقلة ... وتدفع عنه تهمة التقليد والاتباع للأدب العربى فى المشرق ... منطلقة فى طريقة البحث من نفس المنطلقات المنهجية التى تمثل وجهة النظر المقابلة . (٧١)

(٧٠) وانظر فى هذا الاتجاه أيضا :

- الادب الاندلسى (موضوعاته وفنونه) الدكتور مصطفى الشكعة - دارالعلم للملايين - بيروت ١٩٧٥ م .
- الادب العربى فى الاندلس - الدكتور عبدالعزيز عتيق - دارالنهضة العربية - بيروت - ط : ثانية .
- وتاريخ الادب الاندلسى (عصر سيادة قرطبة) الدكتور احسان عباس - دار الثقافة - بيروت .
- وتاريخ الادب الاندلسى (عصر الطوائف والموحدين) الدكتور احسان عباس - دار الثقافة - بيروت .
- وتاريخ آداب العرب ج٣ مصطفى صادق الرافعى - دار الكتاب العربى - بيروت ١٩٧٤ م .
- وتاريخ الادب العربى - احمد حسن الزيات - دار الثقافة - بيروت .
- وتاريخ الفكر الاندلسى - انخل بالنشيا - ترجمة الدكتور حسين مؤنس - النهضة المصرية ١٩٥٥ م .
- ادب الاندلس وتاريخها - ليفى بروفنسال - ترجمة الدكتور عبدالهادى شعيرة - المطبعة الاميرية ١٩٥١ .
- (٧١) الادب الاندلسى (من الفتح الى سقوط الخلافة) الدكتور احمد هيكل - دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .
- الادب الاندلسى بين التأثير والتأثير ، الدكتور محمد رجب البيومى .

بعد عرضنا لآراء هؤلاء الجلة الفضلاء من الدارسين المحدثين والمعاصرين لأدب العرب في بلاد الأندلس نلاحظ أنهم اعتمدوا جميعاً على أبحاثهم على نظرية الناقد الفرنسي " هيبوليت تين " (٧٢) بمقولاتها الثلاث : الجنس والزمان والمكان كما سبق أن أشرنا وأنهم ألحوا كثيراً على عنصر المكان أو الإقليم ، وغلب ذلك على تحليلهم وتقويمهم لهذا الأدب ... لذلك يمكن تسمية اتجاههم هذا بالاقليمية العلمية ، ماثلة بهذا الوضع إزاء العصبية الإقليمية التي غلبت على دراسات السالفيين .

ومعنى هذا أن الأدب العربي في الأندلس يجب أن يكون تعبيره عن البيئة واضحة ... ويجب أن تبرز شخصيته الإقليمية المستقلة ومن ثم تصبح له تقاليد الفنية الخاصة به ...

ولكنهم نظروا في هذا الأدب طويلاً ... فوجدوا أنه في معظمه محكوم بتقاليد فنية عريقة تربطه ربطاً محكماً بالأدب العربي في المشرق ... ومن هنا حكم عليه معظمهم بالتقليد ، والمحاكاة والصدى الخافت ... وحكموا على الأدباء في هذه البلاد بأنهم باهتوا الشخصية ... ضعيفوا

(٧٢) انظر شرح نظرية "تين" ونقدها بالتفصيل في كتاب الأدب المقارن للدكتور محمد غنيمي هلال ص ٥٥ - ٦٣ (بيروت - دار العودة والشفافة) وانظر : النقد الحديث ، لنفس المؤلف .
وانظر نظرية الأدب - تأليف رينيه ويلييك ، ترجمة محيي الدين صبحي ١٩٧٢م - دمشق .

وانظر الأدب وفنونه - د. عز الدين اسماعيل - القاهرة .

وانظر الأدب وفنونه - محمد مندور - القاهرة .

الملكات ... يوشرون سهولة الاتباع على صعوبة الابتداع ...
وقد نسي هؤلاء الاجلاء فى غمرة التحليل، والتعليل، وحرارة تطبيق
هذا الاتجاه أن الادب فى الاندلس جزء لا يتجزأ من الادب العربى ... ومن ثم
فان التقاليد التى تحكم الادب فى مصر والشام والعراق والجزيرة العربية
وبلاد ماوراء النهرين هى نفس التقاليد التى تحكم الادب فى الاندلس .
بل ولم يفظنوا الى أنه اذا ظهر تقليد فنى جديد فى الادب العربى
بالاندلس فلا بد أن يتسلل منها الى العراق والشام ومصر والجزيرة العربية
وبلاد ماوراء النهرين ... وأمامهم فى ذلك المثل الشاخص : هو فـن
الموشحات ... الذى نجمت تقاليده بأرض الاندلس، وكتبت نوتته الموسيقية
بمصر، وذاع أمره فى سائر الاصقاع ... ولأن المعيار الذى ارتكزوا عليه
فى درس هذه القضية ليس دقيقا ... فان آراءهم بدأ يظهر فى أثناء عرضها
التناقض ... وتختل فيها نصاعة المنطق، ينظر أحدهم الى مقولـة
"البيئة" فيصدر حكمه بالتقليد والمحاكاة والصدى الخافت، والشخصية
الادبية التى تفقد الاستقلال ... ولكنه ينظر الى الواقع المائل الذى ينطق
بوحدانية اللغة، والثقافة والدين بين مشرق العرب ومغربهم، فيتخاذل ويتقهقر
عن حكمه الاول ...

ويبدو ذلك أوضح ما يبدو عند الاستاذ أحمد أمين (٧٣) والدكتور

شوقى ضيف (٧٤) ...

(٧٣) ظهر الاسلام ٣/١٠٤، ٢٣٠٠

(٧٤) الفن ومذاهبه فى النشر العربى ص ٣١٧، ٣٢٠

أما الاستاذ الراحل أحمد ضيف رائد الدراسات فى هذا الحقل ، فقد وعى منذ البداية أن للأندلسيين بيئتين :

احدهما : اقليمية • والثانية : روحية أو ثقافية •
أما البيئة الأولى : فتلهمهم التجديد فى الموضوعات ، وبخاصة فى مجال الطبيعة والاجتماع •

وأما البيئة الثانية : فهى موجودة هنالك بعيدا فى الوطن ———
الأم بالشرق الذى تجمعهم فيه وبأدبائه تقاليد روحية وثقافية وفنية
واحدة • (٧٥)

ومجمل القول فى هذه القضية أن العصبية الاقليمية التى سيطرت على
نظرة معظم السالفين مشاركة ومغاربة وأندلسيين ... والاقليمية العلمية
التى تسيطر على مناهج الباحثين فى الأزمنة الحديثة والمعاصرة ...
كلتا النظرتين قد لوحظ فيهما عنصر الاقليمية باطراد بالنسبة
للأندلسيين قديما وحديثا •

أما فى القديم فقد كان الأدب العربى ينقسم الى قسمين : أدب المشرق
وأدب المغرب ... وغالبا ما كان يقصد بالمغرب الأندلس خاصة •
كان أدب المشرق يشمل العراق وبلاد ماوراء النهرين والشام ومصر
والجزيرة العربية ... وكان أدب المغرب يقصد به بلاد الأندلس ثم العدوة
الافريقية وتونس •

وأما فى العصور الحديثة والمعاصرة حين سيطرت نظرية " تــــــن " بموقلاتها الثلاث على مناهج الدراسة الأدبية لوحظ أن مقولة الزمان كسان

عليها المعول في التقسيمات الأدبية بالمشرق ... وكان اول من وضع هذه التقسيمات الاستاذ حسن العدل المدرس بدار العلوم العليا بمصر متأثرا في ذلك بالمستشرقين الالمان . (٧٦)

وهكذا استقر تقسيم الأدب العربي في المشرق الى عدة عصور : الجاهلي فالاسلامى ... فالاموى ... فالعباسى ... فعصر المماليك والاتسراك ... فالعصر الحديث ...

أما في المغرب والاندلس ... فيغلب على الدراسة الأدبية التعويل على عنصر المكان ... وهكذا تبرز الاقليمية، وتتأكد من جديد ... ويظهر في الحقل الادبى ما يسمى " بالادب الاندلسى " . وبذا يوضع الادب الاندلسى دائما بإزاء الادب فى المشرق ... وكأنهما أدبان لأدب واحد ...

وعندما يلاحظ الدارسون المشابه الفنية بين الادب فى الاندلس والادب فى المشرق يصيرون مستنكرين : انظروا هذا هو الادب الاندلسى ليس الا صدى خافتا لأدب المشرق .

وجدير بالذكر أن نسجل هنا فى هذا الموطن بالتحديد ، أن من بيّن المتقدمين من مؤلفى العرب من لحظ طغيان العصبية الاقليمية على الاحكام الأدبية ... فأنكر الانحياز الى عنصر (المكان) فى تقويم الادب العربى فى الاندلس ، ذلكم هو أبو القاسم على بن منجب بن سليمان المشهور

(٧٦) يرجع الى كتاب أدبيات اللغة العربية للأستاذ حسن العدل .

وكتاب الوسيط فى الادب العربى ، للأستاذ احمد الاسكندرى وزميله .
وتاريخ الادب العربى لاحمد حسن الزيات ص ٤٤ ، دار الثقافة - بيروت

بابن الصيرفي المولود بالقاهرة سنة ٤٦٣هـ والمتوفى بها سنة ٥٥٠هـ . (٧٧)
فقد ألف كتابا أسماه (المختار من شعر شعراء الاندلس) يقول في
مقدمته :

" ومن جعل الحق مقصوده، والانصاف مطلوبه، علم أن الفضائل ليست
مخصصة ببعض الامكنة ... على أن الاقليم الرابع وان كان أفضل من غيره
فذلك لا يوجب سلب الفضيلة عما سواه، ولا عدم الحسنة فيما عداه ... وهذا لمن
تأمله واضح، ولمن تدبره جلى ... ولقد وقفت للعصريين من شعراء الاندلس
مالعذر في جحد احسانه، ولا حجة في ترك استحسانه " . (٧٨)

وهكذا يرفض ابن الصيرفي الاحتكام الى عنصر (المكان) شجبا للعصبية
الاقليمية .

والجدير بالدارس المعاصر أن يرفض أيضا الاحتكام الى (عامسـل
المكان) تجنباً لتعسف الاقليمية العلمية .

ومع ذلك فنحن لاننكر أثر البيئة في الادب ... ولكن ننكر أنهما
العامل الحاسم فيه ... أجل للبيئة أثرها ... ولكنه الاثر الخارجى ...
للاثر العضوى الداخلى ... أثر فى العرض ... وليس أثرا فى الجوهر ...
فقد تمد البيئة الاديب بالموضوع أو بمادة الصورة ... أما قوانيـن
الادب الفنية ... وتقاليد الجمالية فلا دخل للبيئة فيه ... ذلك أن

(٧٧) معجم الادباء ٦٩/١٥ لياقوت الحموى .

وقيات الاعيان ١/٢٧/٢٠١٧٧/٣٠٣٣٤/٤٠٣٧٤ ابن خلكان .

(٧٨) المختار من شعر شعراء الاندلس ص ٩٥ لابن الصيرفي - تحقيق الدكتور

عبدالرزاق حسين (دار البشير) عمان ١٩٨٥ م .

الادب يتأثر بالادب ... والفن يتغذى من الفن ... وكما لايجدى الانسان
دم من غير فصيلته ... فكذلك الادب لا يؤثر تأثيرا عضويا فيه شيء خارج
عن معدن الادب ... (٧٩)

ان تطور التقاليد الفنية رهن بظهور الاديب العظيم المبدع السذى
يعمل عمله فى التجديد والاضافة ... فلا تلبث أن تؤخذ عنه ، وتتردد فى
الافاق منه ... سواء ظهر هذا العبقرى فى أقصى المشرق أو فى أقصى
المغرب .

واذن فليس هناك أدب أندلسى ... ولكن هناك أدب عربى فى الاندلس ...
ومن ثم فان من يتصدى لدراسة قضية من قضايا الادب العربى فى
الاندلس ... عليه أن يدرسه فى سياق الادب العربى العام .

فان وجد اتباعا فعليه أن يرصده ثم يرجعه الى أصوله الفنية ...
وان وجد ابتداعا فعليه أن يضعه فى مكانه من الادب العربى ككل ...
أما هذا البحث فقد اختار للدراسة الادبية قضية من قضايا فلسس
النشر من الادب العربى فى الاندلس آخذا فى الاعتبار أنه جزء لا ينفصل عن
فن النشر فى الادب العربى على اطلاقه ... ومن ثم فانه ليس من الغريب فى
ظل هذا المنهج أن يتسلل الى الاندلس أثر الاتجاهات الفنية من النشر فى
المشرق متمثلة فى هؤلاء العمالقة : عبدالحميد ، وابن المقفع ، والجاحظ

(٧٩) انظر الدراسة الادبية - د. مصطفى ناصف ص ٩٣ - ١٢٧ . مطبعة السدار
القومية - القاهرة .

ومحاضرات الدكتور عبدالصير عبدالله حسين ، ص ١ - ٣ (بالآلة الكاتبة)

وابن العميد والبديع والحريرى ، والقاضى الفاضل ٠٠٠ (٨٠) فتظهر فسسى
آثار ابن برد الاكبر وابن برد الاصغر، وابن زيدون، وأبى مروان الجيسرى
وابن بسام ، والفتح بن خاقان، وأبى طاهر السرقسطى وأبى مروان ابن حيان
وابن الخطيب ٠٠٠ كما ظهر تأثيرهم فى جملة من كتاب المشرق : فى مصر
والشام ، والعراق ، سواء بسواء ٠ (٨١)

* * * * *

وقد اخترت للدراسة الفنية من ميدان " فن النشر " فى الاندلس ثلاثة
أعمال أدبية متميزة يمثل كل واحد منها تجربة فنية متميزة للتدليل على
تجديدات الاندلسيين فى فن النشر العربى ككل ٠٠٠ آخذا فى الاعتبار

(٨٠) انظر : تاريخ الادب العربى ٦٧/٣ - ١٦٥، ط١ ، القاهرة تأليف السباعى

بيومى ٠

وانظر : تطور الاساليب النثرية - تأليف أنيس المقدسى ، بيروت ١٩٣٥م،

ص ١٤٦ - ص ٢٩٩ ٠

وانظر : نشأة الكتابة وتطورها - تأليف د. حسين نصار ٠

وانظر : تاريخ الادب العربى ج٣ ٠ ت : محمود مصطفى ٠

وانظر : الفن ومذاهبه فى النشر العربى - شوقى ضيف : ص ١١٣، ١٣٤، ١٥٤،

٢٠٥، ٢٢٨، ٢٩٢، ٣٦٨ ٠

وانظر : بلاغة الكتاب فى العصر الحديث - د. نبيه حجاب ص ١٣ - ٩٧

القاهرة ، ط ١ ٠

(٨١) انظر : الفن ومذاهبه فى النشر العربى ، ٣٨٩ - ٣٩٠ ٠

وانظر : الادب العربى فى الاندلس - د. عبدالعزيز عتيق ، ص ٤٢٩ - ٤٣٦ ٠

وانظر : النشر الاندلسى فى عصر الطوائف والمرابطين ، تأليف د. حازم

عبدالله خضر ص ٥١٥ - ٥٢٥ ، العراق (دار الحرية) ١٩٨٠م ٠

وانظر : تاريخ الادب الاندلسى - عصر الطوائف والمرابطين ص ٢٨٠ - ٢٣٦

ط/ احسان عباس ٠

وانظر : الادب الاندلسى - د. مصطفى الشكعة ص ٥١٥ - ٥٩٣ ، دار العلم

للملايين - بيروت ١٩٧٥م ، ط ٣ ٠

أن هذه التجديدات لاترجع فى تطورها الفنى الى عوامل اقليمية ... ولكنها
ترجع الى السياق العام للادب العربى باطلاقه ...

أما العمل الادبى الاول : فيعالج " تجربة خيالية " وقد اختار لها
صاحبها عالم ما وراء الحس وهو " رحلة ابن شهيد فى عالم الجن " . أو رسالة
" التوايح والزوايح " الموسومة بـ " شجرة الفكاهة " .

وأما العمل الثانى : فيعالج " تجربة عاطفية " وقد اختار لها
صاحبها قالب الحكايات القصيرة مبعثرة كبقع الضوء فى اطار عام جاف من
التقسيمات المنطقية والتفصيلات الفرعية وهو " اعترافات ابن حزم
العاطفية " أو كتاب " طوق الحمامة " .

وأما العمل الثالث : فيعالج " تجربة ذهنية " وقد اختار لها صاحبها
قالب القصة الرمزية محاولا أن يزاوج فيها بين الفكر والفن ، وهى " قصة
حى بن يقظان " .

وفى ضوء هذا المنهج ... بتوفيق من الله ... نكون قد نجونا من
عسف العصبية الاقليمية ، وبعدنا عن حيث الاقليمية العلمية ... ووضعنا
القضية فى اطارها الفنى الصحيح .

الباب الأول

رحلة ابن شهيد في أرض الجن
أو

قصة «التوابع والنوابغ»

الفصل الأول

ابن شهيد بين أدباء الجن ونقادهم

قبل أن نستعرض أحداث "رسالة التوايح والزوايح" لابن شهيد (1)

(1) أبو عامر أحمد بن مروان : عبد الملك بن مروان بن أحمد بن عبد الملك بن محمد بن عيسى بن شهيد الأشجعي... من ولد الوضاح بن رزاح الذي كان مع الضحاك بن قيس الفهري يوم مرج راهط، ولد في بيت أبيه بقرطبة سنة ٣٨٢ هـ في أيام المنصور بن أبي عامر... كانت لعائلته صلة واشجة بأسرة الحاجب الحاكم الفعلي للاندلس... مدح المؤتمن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور... وصحب أبا عامر ابن المظفر بن المنصور... كان ولاؤه للامويين ولكنه لم يكن موفور الحظ معهم خلا عبد الرحمن المستظهر الذي استوزره... واتصل بالحموديين، ولكنه كان سيء الحظ معهم فسجن في أيامهم خلا يحيى بن حمود الذي قربه وشجعه على الهجرة من قرطبة الى مالقة... كان له نخبة من الخلفاء مثل أبي محمد بن حزم وأبي المغيرة بن حزم... كما كان فده عصبة من الكاشحين مثل ابن فتح وابن عباس... له من التهانيف البديعة : " كشف الدرك وايضاح الشك " و " حانوت عطار " و " التوايح والزوايح " ... وقد ضاع الاولان.

أما شعره : فقد جمعه المستشرق " شارل بلا " ... ثم المستشرق " يعقوب زكي " توفي بقرطبة سنة ٤٢٦ هـ ودفن بجانب صديقه أبي الوليد الزجالي بوصية منه ... انظر ترجمته في :

- ١ - وفيات الاعيان - لابن خلكان - ت / احسان عباس - دار صادر ١٩٦٨م - ١ / ١١٦ .
- ٢ - جذوة المقتبس - للحميدى - الدار المعربية للتأليف والترجمة ص ١٣٣ .
- ٣ - بغية الملتبس - للغبي - دار الكتاب العربي رقم ٤٣٧ ، ص ١٩١ .
- ٤ - الذخيرة - لابن بسام - ت / احسان عباس - دار الثقافة ، بيروت ١٩١/١ .
- ٥ - المغرب - لابن سعيد - ت / شوقي صيف ، ط ٣ ، دار المعارف ، ١٧٨/١ =

يحسن أن نقدم بين يدي ذلك خلاصة موجزة لنشأة فن القصص بالمعنى العام عند العرب لنضع هذه القصة في مساقها التاريخي من الأدب العربي، فنقول :

عرفت العرب القصص غير المدون منذ فترة مبكرة، وقد وصل هذا الفن إلى الأجيال المتعاقبة عن طريق الرواية الشفوية... فقد كانت مجالس الخلفاء والولاة الميدان الطبيعي الذي ينفق فيه... لاهتمامهم بأخبار من سبقهم، وحرصهم على معرفة تجارب غيرهم... ولعل طبقة الوعاظ أسبق

-
- ٦ - مطمح الانفس - لفتح بن خاقان - دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة
ط ١، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٣هـ، ص ١٦ .
- ٧ - اعتاب الكتاب - لابن الأبار، ص ٧٤ .
- ٨ - المطرب - لابن دحية - ت / الأبياري، وحامد عبدالمجيد، المطبعة الأميرية، ١٩٥٤م، ص ١٤٧ .
- ٩ - معجم الأدباء - لياقوت - دار أحياء التراث، الطبعة الأخيرة
٢١٨/٢ - ٢٢٠ .
- ١٠ - الوافي بالوفيات - للصفدي، ص ٧ .
- ١١ - الورقة، ص ٧ .
- ١٢ - يتيمة الدهر - الشعالي - ت / محيي الدين عبدالحميد
ط ١، ٣٥/٢ .
- ١٣ - المسالك - لابن فضل الله العمري، ٢٨/١١ .
- ١٤ - نوح الطيب - للمقري - ت / احسان عباس - دار صادر - بيروت
١٥٦/١ وما بعدها .
- ١٥ - وله ذكر في بدائع البداية، و شرح الشريشي .
ومن المراجع الحديثة : تاريخ الأدب الاندلسي - عمر سيادة قرطبة
احسان عباس، ط ٢، ص ٢٧ .
- رسالة التوابع والزوابع - ت / بطرس البستاني - دار صادر، ١٢٨٧هـ .

الناس الى اصطناع هذا الفن اذ كانوا يجلسون الى الخلفاء ويوجهون لهم
النصائح الارشادية يتخللها بعض القصص التي تحتوى على أخبار الممتازين
من الاسلاف ... نجد بعضا من هذه الاخبار فى كتب ابن قتيبة والجاحظ
وغيرهم (٢)

وقيل : ان أول من قص من الصحابة الاسود بن سريع ... ثم كان
أول من قص من التابعين بمكة عبيد بن عمير الليثى ، وقد جلس اليه
عبد الله بن عمر وسمع منه وكان ذلك داعية الى اقبال الناس ورغبتهم فى
استماع القصص لمكان ابن عمر من الدين والورع ، وقد أقرته على ذلك
عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، ولم تنكر عليه .

ثم صار القصص مما يلقي فى المسجد ، وقد خص له بمسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة حلقات كحلقات الدروس .

ورحم الله الحسن البصرى المتوفى سنة ١١٠هـ فقد كان يهتم بهـذا
القصص الدينى ، ويتخذ منه وسيلة لنصح الخلفاء وارشادهم ... وقد كان
رأس طبقة القصص فى القرن الثانى . (٣)

ثم دونت بعض الاقاصيص المترجمة عن الهند وفارس امثال " كلياسة
ودمنة " و " ألف ليلة وليلة " التي يغلب عليها طابع الخرافة والطرافة
فأعجب بها الناس ، ولعبت دورا كبيرا فى امتناع قرائها مما جعلها

(٢) انظر تاريخ آداب العرب - الرافعى ج ١ ، ص ٣٨٢ .

وانظر : الادب فى موكب الحضارة الاسلامية - د . الشكعة ، ص ٥٦٤ .

(٣) انظر المصدرين السابقين .

تذيع وتشيع حتى وصلت الى اوروبا وتأثر بها كتاب القصص هناك . (٤)

اذا فالقصص بمعناه العام قديم قدم الانسان نفسه ، ولكن لم يؤثّر عن عرب الجاهلية قصص يذكر، اللهم الا ما لا يخلو منه مجتمع أيا كانت درجته من البدائية أو التحضر من أقاصيص قصيرة تتضمن خرافات وأساطير وتعوزها العناصر الاساسية للقصة ولا يرجع ذلك الى طبيعة العقلية العربية بقدر ما يرجع الى الظروف الثقافية السائدة ، فقد ضرب هؤلاء بسهم فسي الشعر فأبعدوا المرمى ، وقد طفى هذا الوعاء الثقافي على الأوعية الأخرى حتى قيل بحق " الشعر علم قوم لم يكن علم أمم منه " (٥) .

ولذلك لما نزل القرآن الكريم يقص على الناس نبأ من قبلهم ، نظراً كفار قريش الى تراث العرب فلم يجدوا فيه ما يمكن أن يتسم بسميّة القصص حتى يلهو الناس به عند سماع القرآن فاتجهوا الى قصص الفرس ظناً منهم أنها قد تنجح في أداء هذا الغرض . . . فالقصص اذا من نتاج الثقافة العربية الاسلامية التي بدأت منذ القرن الهجري الاول . . . والقرآن الكريم أسهم اسهاماً عظيماً في بذر البذور الاولى لهذا الفن في التربة العربية بما اصطنعه من أساليب القصص والحوار . . . وحكاية أخبار الامم السالفة ، وموقفهم من الانبياء والرسل صلوات الله عليهم . (٥)

ثم جاء بديع الزمان الهمداني فوضع في باب القصص مقامات

-
- (٤) انظر المصدرين السابقية ، وكذلك الادب المقارن - غنيمي هلال .
 (٥) ينسب هذا القول الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، انظر : طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام الجمحي ، ص ١٠ ، من نص ابن سلام .
 (٥) انظر : تأثير القصص العربي - د. عبد الحكيم حسان - محاضرات كليسة اللغة العربية - جامعة أم القرى لعام ١٤٠٣/١٤٠٤ هـ .

المشهورة فوطد اركان هذا الفن فى أدب العرب ، وقد سبق بديع الزمان ابن سينا
دريد الذى مهد له الطريق ويسر له سبل الاجادة فى هذا الحقل الادبى
البكر ٠٠٠ ومن هنا يعتبر الربع الاخير من القرن الرابع الهجرى هو
بداية انشاء القصة على نحو متميز على يد هذا الكاتب الموهوب ابى
الفضل الملقب ببديع الزمان ٠ (٦)

ثم يبرز بالافق الغربى بالاندلس نجم ابى عامر أحمد بن شهيد
فيؤلف قصة مفارقة فى الطريقة لمقامات البديع مجانية لمنهج القصص فى
كليلة ودمنة أو ألف ليلة وليلة ٠٠٠ تلك هى قصة " التوايح والزوايح "
أو " شجرة الفكاهة " وقد كتبت فى الربع الاول من القرن الخامس الهجرى
وهى قصة خيالية تدور أحداثها فى عالم ماوراء الطبيعة ٠٠٠ تحكى رحلة
ابى عامر فى عالم الجن ٠٠٠ والتقاءه بشياطين الشعراء السابقين ٠٠٠
فناقشهم وناقشوه ، وأنشدهم وأنشده وعرض أثناء ذلك بعض آرائه فى النقد
والادب ، وكثيرا من أشعاره ، ونثره كما نقد خصومه ، ودافع عن فنه ، وانتزع
من ملهمى الشعراء والكتاب الاقدمين شهادات بتفوقه ، وعلو كعبه فى
الادب ، كل هذا مع بث الفكاهات ، ونثر الطرائف ، وايراد الدعايب ٠٠٠
ونستطيع أن نقول انها أول قصة فى أدبنا العربى تدور أحداثها فى عالم
ماوراء الحس ، وسنعرف ذلك من خلال عرض احداث القصة فى الصفحات القادمة
ان شاء الله تعالى ٠ (٧)

(٦) انظر مقدمة شرح مقامات الحريري للشريشى ، وزهر الاداب ص ٣٠٦ ٠

(٧) ينظر فيما سبق :

١ - مقدمة شرح مقامات الحريري للشريشى ٠

٢ - زهر الاداب للحصرى ص ٣٠٦ ط/٤ وتعليق زكى مبارك عليه ٠ =

.....

-
- ٣ - الادب الاندلسى ، د. الشكعة ص ٦٤١ .
- ٤ - انظر النشر فى عصر الطوائف والمرابطين ص ٢٢٦ ، ٢٩٥ .
- ٥ - الادب المقارن - غنيمى هلال ص ٢٢٨ .
- ٦ - كتاب الادل الاندلسى من الفتح حتى سقوط الخلافة ، احمد هيكل
ص ٣٧٨ .
- ٧ - تاريخ آداب العرب - للرافعى ج / ١ ، ط / ٤ .
- ٨ - تأثير القصص العربى ، د. عبدالحكيم حسان ، مقال نشر فى مجلة
محاضرات كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، لعام ١٤٠٣ / ١٤٠٤
١٩٨٣ / ١٩٨٤ م .

يبدأ أبو عامر - قبيل بدء قصته - بتوجيه الخطاب الى من يكتنيه
 "أبا بكر" فذكر له متحدثا عن نفسه : كيف تعلم ونبغ ، وحذق العليوم
 والآداب ... حتى أوتى الحكم صبيا وهز يجذع نخلة الكلام فاساقت عليه
 رطبا جنيا ... مما جعل صاحبه "أبا بكر" المخاطب يتعجب منه ... ويقسم
 أن له تابعة تنجده ... وزابغة تؤيده ... لأن ما أحرزه من المعسار
 والآداب يفوق قدرة الانس ... ويقره أبو عامر على هذا الظن ... واندفع
 يفسر له جلية الخبر فيقول : "أما وقد قلتها أبا بكر فأصغ أسمعاك
 العجب العجائب ثم انبرى يحدثه بأنه كان له هوى كلف به ... فاتفق أن مات
 من يهواه ... فأراد رثاءه ... فأنشده ما أنشد من الابيات ثم ارتج عليه
 وأفحم ... فجاءه المنقذ فى هيئة فارس وقف بباب المجلس يمتطى فرسسا
 أدهم وصاح بأبى عامر أعجزا يافتى الانس ... فقال : لا وأبيك، للسلام
 أحيان، وهذا شأن الانسان ... ثم أكمل له البيت قال أبو عامر : فأثبتت
 اجازته ... وقلت له من أنت ؟ قال : أنا زهير بن نمير من أشجع من
 الجن ... وجرت بينهما محاوراة لطيفة أخبره خلالها برغبته فى اصطفاؤه ...
 فسر أبو عامر بذلك ورحب به قائلا : " صادفت قلبا اليك مقلوبا، وهوى
 تحوك مجنوبا ... ثم تحدشا حيننا ... وأعطاه أبياتا ، ينشدها حال
 ارادته اياه ، فيحضر ، ثم أوشب الادهم وغاب عنه .

ويستمر ابن شهيد يحدثنا عن لقاءاته مع زهير الجنى الذى

مافتىء يأتية كلما أنشد أبياته .

ففى يوم من الايام تذاكرا معا أخبار الخطباء والشعراء ، وما كسان

يألفهم من التوايع والزوايع ... وطلب مقابلة من اتفق منهم فاستمهل

زهير حتى يأخذ الاذن من شيخهم، فانصرف ثم عاد مأذونا له ... ويركب
 أبو عامر خلف زهير على متن جواده فطار بهما الجواد يجتاب الجسس
 فالجو ... ويقطع الدوفالدو ... حتى دخلا أرض الجن، فاذا هي أرض ليس
 كأرضنا، وتعطرا من نسيم جو ليس كجونا، متفرع الشجر، عطر الزهر، وأخبره
 صاحبه بأنه قد حل أرض الجن، وما عليه إلا أن يختار من يريد من التوابح
 فطلب أن يبدأ بصاحب امرئ القيس .

وكان هذا يقطن واديا من الأودية له دوح تتكسر أشجاره، وتترنسم
 أطياره ... فاستدعاه زهير قائلا : " عتيبة بن نوفل، بسقط اللوى بين
 الدخول فحومل ويوم دارة جلجل الامعرضت لنا وجهك، وأنشدتنا من شعرك
 وسمعت من الانس وعرفتنا كيف اجازتك له ؟ فتجلى لهم فارس على فرس شقراء
 كأنها تلتهب ... فتبادلا الانشاد حتى انتهيا بفوز أبي عامر واجازته
 لسه .

ويتجه أبو عامر مع صاحبه قاصدين عنتر بن العجلان صاحب طرفة حتى
 انتهيا الى غيفة شجرها شجران ... وبدت لهما عين معينة تسيل، ويبدور
 ماؤها فلكيا ولا يحول، نادى زهير عنتر بن العجلان، بخولة، وما قطعت معها
 من ليلة، الا ما عرضت لنا وجهك ... وهنا يتجلى لهما راكب جميل الوجوه
 قد توشح السيف، واشتمل عليه كساء خز، وبيده خطى ... فرحب بهما ... ثم
 تناشدا الشعر، فأنشد أبو عامر شعرا رائعا ... مما أذهل عنتر فصاح به
 لله أنت وأجاره .

ويسائل زهير صاحبه: الى من تتوق نفسك بعد من الجاهليين؟، فقال له

كفانى من رأيت أصرف وجه قصدا الى صاحب أبي تمام .

وبيننا هما كذلك اذا بفارس كأنه الاسد على فرس كأنها العقاب يهدر
صوته بشعر حماسي؛ يقول أبو عامر : فاستريت منه فقال له زهير : لا عليك
هذا أبو الخطار صاحب قيس بن الخطيم .

ثم قابلاه وحياه زهير، وعاتبهما كيف يحاد عن أبي الخطار، ولا يخطـر
عليه ؟ فاعتذر اليه بكونه صاحب قنص ... لا يريدان مشغلته .
فطلب أبو الخطار من أبي عامر أن يثـد وهدده ان لم يجد ... ولكن
أبا عامر أنشده أبياتا رائعة جعلته يتبسم ويثنى على حسن تخلصه
وقال له : اذهب فقد أجزتك .

وتستمر الرحلة حتى وصلا الى شجرة غينا، يتفجر من أصلها عيـن
كمقلة حوراء ... وكان يقطنها عتاب بن جينا، صاحب أبي تمام ، فنـسـاداه
زهير : بعمره والقمر الطالع ، وبالرقعة المفكوكة الطابع الا ما أريتـنا
وجهك ! يقول : فانفلق ماء العين عن وجه فتى كفلقة القمر، ثم اشتـق
الهواء صاعدا اليـنا من قعرها حتى استوى معنا ... وحياهم ، فأخـذ
أبو عامر يسأله : ما الذي أسكنه قعر هذه العين ؟ فأجاب بقولـه
حياتي من التحسن باسم الشعر ولا أحسنه .

فصاح أبو عامر : ويـلي منه ، كلام محدث ورب الكعبة . ثم استنشـده
فأنشد أبو عامر بعضا من رثائه ، فأعجب به ونصحه بقوله : " ان كنت ولا يـسد
قاعلا ، فاذا دعيتك نفسك الى القول فلاتكـد قريحتك ، فاذا أكملت فجمـام
ثلاثة لأقل ونقح بعد ذلك .. وما أنت الامحسن على اساءة زمانك . يقـول
أبو عامر : فقبلت على رأسه ، وغاص في العين .

ثم يواصل أبو عامر وصاحبه رحلتها يقطعان الفيافي والوديان

قاصدين دير حنة ليلتقى بحسين الدنان صاحب أبي نواس . . . وفى طريقهما
تجاوزا قصرا عظيما أمامه ميدان للخيول تتطارد فيه . . . فسأل أبو عامر
لمن هذا القصر ، فقال زهير : لطوق بن مالك صاحب البحترى ، وكنيته
أبو الطبع . فرغب أبو عامر فى مقابلته ، فناداه زهير ، فاذا هو فتى على
فرس أشعل وبيده قناة . . . فخاطبه زهير بقوله : انك لمؤتمنا . . . فقال : لا
صاحبك أشمخ مارنا من ذلك لولا أنه ينقمه . فرد أبو عامر : أبا الطبع على
رسلك . ان الرجال لاتكالمبالغزان . . . ثم تناشدا . . . وعندما أنشد أبو
عامر : غضب ابو الطبع وكأنما غشى وجهه قطعة من الليل ، وكر راجعا الى
ناورده دون أن يسلم . . . ولكن زهير لم يتركه ، بل صاح به : أأجرتـه ؟
فقال : أجرتـه ، لابورك فيك من زائر ، ولابورك فى صاحبك أبى عامر !

ويستمران فى رحلتهم الى جبل دير حنة قاصدين حسين الدنان ، فيقول
أبو عامر : فشق سمعى قرع النواقيس ، فصحت من منازل أبى نواس ورب الكعبة !
وماعلامات هذا الدير ياترى ؟ انها الكنائس والحانات ، ويدخل زهير
قائلا : سلام على أهل دير حنة ، فأقبلت نحوهم الرهابين مشددة بالزنانيير
قد قبضت على العكاكيز ، بيض الحواجب واللحى اذا نظروا الى المسـرء
استحيا ، مكثرين للتسبيح ، عليهم هدى المسيح ، فقالوا : أهلا بك يازهير
من زائر وبصاحبك أبى عامر . وطلبا مقابلة حسين الدنان صاحب أبى
نواس . . . فاعتذروا اليهما بأنه لفى شرب الخمرة منذ أيام عشرة ، وما نراكما
منتفعين به .

ولكنهما أصرا على مقابلته فدخلا بيتا قد اصطفت دنانه ، وعكفت غزلانه
وعلى فرجته شيخ طويل الوجه والسبلة ، قد افترش اضغاث زهر واتكأ على

زق خمر ٠٠٠ فصاح به زهير : حياك الله ياأبا الاحسان فرد عليهم بكلام
لايعقل لغلبة الخمر عليه ٠٠٠ فقال زهير لصاحبه : اقرع أذن نشوتـــــــــــــــــه
باحدى خمرياتك فصاح أبو عامر ميتشد واصفا للخمرة حتى أيقظه من حبائل
نشوته قائلا : أشجعي ؟ واستدعي ماء قراحا فشرب منه وغسل وجهـــــــــــــــــه
وأفاق واعتذر اليهما من حاله ٠٠٠ يقول أبو عامر : فأدركتني مهابتـــــــــــــــــه
لمكانه من العلم والشعر ٠٠٠ فتناشدا شيثامن الخمريات . فلما أنشدد
أبو عامر أبياتا جيدة فى ذلك وأخرى غزلية فى امرأة مرت أمامه وفترت
مسرعة خشية ان يشبب بها .

فلما نظرها قال فيها هذه الابيات التى أعجب بها صاحب أبــــــــــــــــى
نواس ، وأخذ يرقص ويردها ، وعندما أفاق قال : هذا والله شيء لم نلهمـــــــــــــــــه
نحن . ثم استداننى فدنوت منه فقبل بين عيني ، وقال : اذهب فانك مجاز .
وينحدر أبو عامر وصاحبه من الجبل ليختم جولته مع الشعراء بحارشة
ابن المفلس صاحب أبى الطيب ٠٠٠ فقال له زهير : اشدد له حيازيمــــــــــــــــك
وعطر له نسيمك ، وانثر عليه نجومك ٠٠٠ يقول أبو عامر : فأمال عنســــــــــــــــان
الادهم الى طريق ، فجعل يركض بنا وزهير يتأمل آثار فرس لمحناها هنــــــــــــــــاك
فقلت له : ماتتبعك لهذه الآثار ؟ قال : هى آثار فرس حارثة بن المفلس
صاحب أبى الطيب ، وهو صاحب قنص ٠٠٠ ثم اتجها اليه فاذا هو فارس عــــــــــــــــلى
فرس بيضاء ، كأنه قضيب على كتيب وييده قناة قد اسندها الى عنقه ، وعلى
رأسه عمامة حمراء قد أرخى لها عذبة صفراء ٠٠٠ فحياه زهير ، فأحسن الــــــــــــــــرد
ناظرا من مقله شوساء ، قد ملئت تيتها وعجبا ٠٠٠ يقول أبو عامر : فعرفــــــــــــــــه
زهير قصدى ، وألقى اليه رغبتى ، فقال : بلغنى أنه يتناول ٠٠٠ قلــــــــــــــــت

للضرورة الدافعة، والا فالقريحة غير صادعة، والشفرة غير قاطعة، قال:
 أنشدني، وأكبرته أن أستنشه ٠٠٠ وأنشد أبو عامر فلما انتهى ٠٠٠ قال
 حارثة لزهير: إن امتد به طلق العمر، فلا بد أن ينفث بدر، ومأراه
 إلا سيحتضر بين قريحة كالجمر، وهمة تضح أخمسه على مفرق البدر، فقلت: هـ
 وضته على صلعة النسر! فاستضحك إلى وقال: اذهب فقد أجزتك به—
 النكتة، فقبلت على رأسه وانصرفنا .

وبعد أن قضى أبو عامر وقتا ممتعا مع الصفوة التي اختارها من
 الشعراء الفحول الذين شاع ذكرهم في الأدب العربي، لما لهم من قوة
 شاعرية ٠٠٠ وقدرة بيانية فائقة فأصبح بعضهم صاحب مدرسة مستقلة في
 عالم الشعر ٠٠٠ رغب في حوض تجربة أخرى مع من اتفق من الكتاب، ليختبر
 قدرته النثرية، ويقارنها بما عند هؤلاء مبرزا قوة نثره كما أبرز قوة
 شعره ٠٠٠ ويطلب من صاحبه أن يميل به إلى الخطباء - يقصد الكتاب -
 فيقول: فركضنا حيناً طاعنين في مطلع الشمس، ولقينا فارساً أسر السبي
 زهير خبره وانقطع عنا ٠٠٠ وكان هذا السر؛ هو إخباره بأن الخطباء
 قد اجتمعت في مرج وهمان على بعد فرسخين من مكانهما ٠٠٠ وسبب اجتماعهما
 أنهم اختلفوا على الفرق بين كلامين لبعض فتيان الجن . وانتهيا إلى
 المرج فإذا هما بناد عظيم قد جمع كل زعيم ٠٠٠ فسلم زهير على فرسان
 الكلام ٠٠٠ فرحبوا مشيرين بالنزول ٠٠٠ وتراكم الجمع مقدمين لزهير
 وصاحبه ٠٠٠ وكلهم ينظر إلى شيخ أصلع جاحظ العين اليمنى على رأسه
 فلنسوة بيضاء طويلة ٠٠٠ ذلك هو عتبة بن أرقم صاحب الجاحظ، وكنيته

أبو عيينة . فقام زهير ليعرف الحاضرين بصاحبه أبي عامر ويبيِّن
رغبته فى مقابلة صاحب الجاحظ، وصاحب عبد الحميد الذى كان يجلس الــــى
جواره . يقول أبو عامر : ان صاحب الجاحظ استدناه وأخذ فى الكلام معه
فصمت أهل المجلس، وقال له : انك لخطيب، وحاكك للكلام مجيد، لولا أنســــك
مغرى بالسجع ، فكلامك نظم لا نثر .

فهمس أبو عامر فى نفسه " قرعك الله بقارعتة ، وجاءك بمماثلتــــه "
ثم قال له : ليس هذا أعزك الله ، منى جهلا بأمر السجع ولكنى عدمست
ببلدى فرسان الكلام ، ودهيت بغياوة أهل الزمان فأردت أن أحركهم
بالازدواج فأنكر صاحب الجاحظ ذلك منهم قائلًا : أهذا على تلســــك
المناظر وكبر تلك المحابر وكمال تلك الطيالس ؟

ويجيب أبو عامر : نعم انها لحاء الشجر، وليس ثم ثمر ولا عيبــــق
فقال له : صدقت . انى أراك قد ماثلت معى ثم سأله عن كلامهم
فأجاب أبو عامر : ليس لسيويوه فيه عمل ولالفرهيدى اليه طريــــق
ولاللبيان عليه سمه ، انما هى لكنة أعجمية يؤدون بها المعانى تأديــــة
المجوس والشيط . فصاح : انا لله ، ذهبت العرب وكلامها لارمهم ياهــــذا
بسجع الكهان، فعسى أن ينفعك عندهم ويظير لك ذكر فيهم يقول
أبو عامر : فقال الشيخ الذى الى جانبه ، وقد علمت أنه صاحب عبد الحميد
ونفسى مرتقية الى مايكون منه : لا يغرنك منه ، أبأ عيينة ، ماتكف لــــك
من المماثلة ، ان السجع لطبعه وماأراه الامن اللكن ، والافمــــا
للقصاحة لاتهدر، ولا للأعرابية لاتومض ؟

يقول أبو عامر : فقلت في نفسي : طبع عبدالحميد ومساقيه
ورب الكعبة ! ويدخل معه في هذا الحوار :

قال أبو عامر : لقد عجلت ، أبا هبيرة - وكان قد عرف كنيته ممن
زهير - ان قوسك لنبح ، وان ماء سهمك لسم ، أحمارارميت أم انسانا
وقعقه طلبت أم بيانا؟ ... ويشدد أبو عامر قائلا : ان البيان لمعيب
وانك منه لفي عباة تتكشف عنها أستاه معانيك، تكشف است العنز عن
ذنبها ... الكلام عراقى لاشامى . انى لأرى من دم اليربوع بكفيك ، وألمح
من كش الضب على ماضفك ... يقول أبو عامر : فتبسم الى وقال : أهكذا
أنت يا أطيلس تركب لكل نهجه ، وتعج اليه عجه ؟ فقلت : الذئب أطلس
وان التيس ما علمت ... فصاح به أبو عيينة : لاتعرض له وبالحرا أن تخلص
منه ، فقال أبو عامر : الحمد لله خالق الأنام فى بطون الانعام . فسال
انها كافية لو كان له حجر ... قال أبو عامر : فبسطانى وسألانى
أن أقرأ عليهما من رسائلى ، فقرأت رسالتى فى صفة البرد ، والنار والحطب
فاستحسنها ... ثم قرأ عليهما بعد ذلك رسالته فى الحلواء ، فأثنى
عليها ... ثم بثهما شكواه من معاصريه ممن يجحدونه مكانته ، وخص منهم
أبا محمد وأبا القاسم وأبا بكر يقول أبو عامر : فأما أبو محمد

فانتفى على لسانه عند المستعين ، وساعدته زرافة من الناس .

وأما أبو بكر فأقصر ، واقتصر على قوله : له تابعة تؤيده ...

وأما أبو القاسم فمكانه من نفس مكين ، وحبه بفؤادى دخيل ، على

أنه حامل على ، ومنتسب الى ... يقول أبو عامر : فصاحا - يقصد صاحب

الجاحظ وصاحب عبدالحميد - يا أنف الناقة بن معمر يريدان صاحب أبي القاسم الافليلي، وهو جنى أشمط ربعة وارم الانف يتظالم فى مشيته كاسرا لطرفه، وزلو: يا لأنفه، وسألاه عن أبي عامر : فأجاب قائلا : فتى لــــم أعرف على من قرأ ... يقول أبو عامر : فقلت لنفسى : العما مــــن العصية ... وأخذت للكلام أهيته، وليست للبيان برته، فقلت وأنا أيضا لــــم لأعرف على من قرأت ... فغضب أنف الناقة وقال : ألمثلنى يقال هذا ؟ فقال أبو عامر : فكان ماذا ؟ قال أنف الناقة : فطارحنى كتــــبــــب الخليل .

قال أبو عامر : هو عندى فى زنبيل ... قال أنف الناقة : فناظرنى على كتاب سيويه . قال أبو عامر : خريت الهرة عندى عليه ، وعلى شرح ابن درستويه .

فقال أنف الناقة : دع عنك ، أنا أبو البيان .

قال أبو عامر : لاه الله . انما أنت كمغــــنن وسط، لايحسن فيطرب ولايسء فيلهى ... قال أنف الناقة : لقد علمنيه المؤدبون .

قال أبو عامر : انما هو من تعليم الله تعالى حيث قال : " الرحمــــن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان " ... ودخلا فى مبارزة وجــــدال عنيف ، وأخذ أبو عامر يصف له كل ماطلب منه ، مبينا قدرته فى الوصف .

وكان بين الحاضرين فتى ينظر الى أبي عامر، بطرفه قائلا :

تحيل على الكلام لطيف ، وأبيك . فقال أبو عامر : وكيف ذاك ؟ قال:

أوما علمت أن الواصف اذا وصف شيئا لم يتقدم الى صفته ولاسلط الكــــلام

على نعتة ، اكتفى بقليل الاحسان ، واجتزى بيسير البيان ؟ لأنه لم يتقدم وصف يقرن بوصفه ، ولا جرى مساق يضاف الى مساقه . وهذه نكتة بغدادية —
أنى لك بها يافتى المغرب ؟

فقال أبو عامر لصاحبه : من هذا ؟ قال زهير : زبدة الحقب ، صاحب بديع الزمان ... فتحمس أبو عامر لمبارزته قائلا : يازبدة الحقب اقترح لى ، فطلب منه أن يصف جارية فوصفها ، ثم وصف له الماء .. فلمسها انتهى أبو عامر ، ضرب زبدة الحقب الأرض برجله فانفجرت له عن مثنى برهوت ، وتدهدى اليها ، واجتمعت عليه ، وغابت عينه ، وانقطع اثره ... يقول أبو عامر : فاستضحك الاستاذان من فعله — يقصد صاحب الجاحظ وصاحب عبدالحميد — واشتد غيظ أنف الناقة على ... ورجع الى مبارزته مرة ثانية ، فنشبت بينهما معركة شعرية . فاز فيها أبو عامر ... مما جعل الحاضرين يشفقون عليه ... وتركه متجها الى فتى كان الى جانبه قصد شمر له عن ساعد ، وقال لأبى عامر : وهل يضرب قريحتك أو ينقص بديهتك لو تجافيت لانف الناقة ، وصبرت له ؟ فانه على علته زير علم ، وزنبيل فهم وكنف رواية ... فقال أبو عامر لصاحبه : من هذا ؟ قال : هـ أبو الاداب صاحب أبى اسحق بن حمام جارك ... فقال أبو عامر : يا أبا الاداب وزهرة ريحانة الكتاب ، رفقا على أخيك بغرب لسانك ، وهل كان يضرب أنف الناقة ، أو ينقص من علمه ، أو يفل شفرة فهمه ، أن يبصر لى علسى زلة تمر به فى شعر أو خطبة ، فلا يهتف بها بين تلاميذه ، ويجعلها طرفسدة من طرافيده .؟ قال زبدة الحقب : ان الشيوخ قد تهفو أحلامهم فسسى النندرة ، قال أبو عامر : انها المرة بعد المرة .

وأخيرا يفصل الاستاذان : عتبة بن أرقم وأبو هبيرة في هذه القضية
قائلين له : انا لنخبط منك ببدا حيرة، وتفتق أسماعنا منك بعيسرة
وماندرى أنقول : شاعر أم خطيب . قال أبو عامر : الانصاف أولى والصدع
بالحق أحجى، ولا بد من قضاء، فقالا : اذهب فانك شاعر خطيب .

وهكذا لقد أوقع أبو عامر كل الحاضرين في حيرة ... فينفذ الجميع
والابصار اليه شاخصية ، والاعناق نحوه مائلة .

وينتقل أبو عامر من مجالس الشعر والنثر الى مجالس النقد ...
وهاهو ذا يتجه مع صاحبه الى نقاد الجن ... وكان حديثهم عمـ
تعاورته الشعراء من المعانى ، ومن منهم زاد فأحسن الاخذ، ومن قصر ...
فأنشد أحد الحاضرين بيتا للافوه الاودى ... وينشد آخر أبياتا للنايفة ...
وأنشد آخر أبياتا لابى نواس ... وينشد آخر أبياتا لصريع الغواني ...
وينشد آخر بيتين لابي تمام ... وكانت كلها فى وصف الطير، تتبع الجيش
طمعا فى جثث القتلى ... ثم يتقدم أحد نقاد الجن يسمى شمر دل السحابى
فينتقص كل هذه الاشعار ... ويسمها بالتقصير ... ويقدم عليها جميعا
شعرا لابي الطيب انشأه فى نفس الغرض السالف الذكر ... وهنا يتبرى له
جنى من مهرة النقاد فيرفض تقديمه شعر أبي الطيب ... ويقدم عليه شعرا
قيل فى نفس الغرض انشأه فاتك بن الصقعب (يقصد به أبا عامر) .

فاهتز المجلس لقوله وعلموا صدقه ... فذهل أبو عامر وسأل زهيراً
من فاتك بن الصقعب ؟ قال .: يعنى نفسه ويحتج أبو عامر قائلاً : فهـ
عرفتنى شأنه منذ حين ؟ انى لارى نزعات كريمة ... ويقوم أبو عامر

ويجلس اليه جلسة المعظم له، فاستدار نحوه ودار بينهما حوار حـ————
المعاني التي أجاد فيها الشعراء^١ وسأله أبو عامر : أى منها سبقه الى
الاحسان فيها غيره ؟ فأجاب فاتك بن الصقعب بقوله : معنى قول الكندي
وأشدد بيتا لامرئ^٢ القيس : فرد عليه أبو عامر قائلا : أعزك الله
هو من العقم .

ثم تدور بين أبي عامر وبين هذا الجنى الناقد محاوراة حول الاخسـ
بين الشعراء^٣ ومتى يبدأ الشاعر فى الاخذ^٤ من تهمة السرقة، فقال الجنى :
إذا اعتمدت معنى قد سبقك اليه غيرك فأحسن تركيبه وأرق حاشيته
فاضرب عنه جملة ، وان لم يكن منه بد ففى غير العروض التي تقدم لها
ذلك المحسن ، لتنشط طبيعتك ، وتقوى منتك .

ثم اندفع أبو عامر يعرض على الجنى بعض معارضاته لشعر المتنبي
فزاد اعجاب فاتك بن الصقعب به مما جعله يصيح صيحة منكرة من صياح
الجن كاد ينزع لها فوه^٥ اد أبى عامر يقول أبو عامر :

وكان بنجوة منا جنى كأنه هضبة لركانته وتقبطه ، يحدق فى دونهم
يرمينى بسهمين نافذين ، وأنا ألوذ بطرفى عنه ، وأستعيذ بالله منه ، لأنه
ملا عينى ونفسى . فقال لى : انتهيت ؟ وقد استخفه الحسد : على من
أخذت الزمير ؟ قلت : وانما أنا نفاخ عندك منذ اليوم . قال : أجـ
أعطا كلاما يرعى تلاع الفصاحة ، ويستحم بماء العذوبة ، والبراعة ، شديد
الأسر ، جيد النظام ، وضعه على أى معنى شئت ، قلت : كأى كلام ؟ قال : ككلام
أبى الطيب ، وأخذ ينشد أبياتا للمتنبى فقلت له : أى ماء لو كان

من حمامك واستهلت به عيون غمامك!، ثم استقدمت فأنشدته ... وينشده أبو عامر نماذج من أشعاره في تلك المعاني التي ذكرها لأبي الطيب ... وأنشد نماذج أخرى لأبيه ولأخيه ولعمه ولجده ولجد أبيه ... قال الجنى : والذى نفس فرعون بيده، لا عرضت لك أبدا، انى أراك عريقا فى الكلام ... ثم قـل واضمح، حتى ان الخنفساء لتدوسه ، فلا يشغل رجليها، فعجب أبو عامر منه وسأل زهيرا ... من هذا الجنى ؟ فقال له : استعذ بالله منه ، انه ضرط فى عين رجل فبدرت من قفاه، هذا فرعون بن الجون، فقال أبو عامر : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ! فتبسم زهير وقال : هو تابعة رجل كبير منكم قال أبو عامر : ففهمتها عنه .

ثم ينطلق أبو عامر فى صحبة زهير قاصدين أهل الآداب من حيسـوان الجن . يقول أبو عامر : مشيت يوما أنا وزهير بأرض الجن ... اذ أشرفنا على قرارة غناء تفتتر عن بركة ماء، وفيها عانة من حمر الجن وبغالهم قد أصابها أولق، فهى تصطك بالحوافر، وتنفخ من المناخر، وقد اشتد ضراطها وعلا شحيجها ونهاقها، فلما بمرت بنا أجفلت الينا وهى تقول : جاءكم على رجليه ! .

فارتعت لذلك، فتبسم زهير وقد عرف القصد، وقال لى : تهيأ للحكم فلما لحقت بنا بدأتني بالتفدية، وحيثنى بالتكنية، فقلت : ما الخطب حمى حماك أيتها العانة وأخصب مرعاك؟ قالت : شعران لحماروبغل من عشاقنا اختلفنا فيهما، وقد رضيناك حكما . قلت : حتى أسمع . فتقدمت الى بغلة شهباء، عليها جلها وبرقعها لم تدخل فيما فيه العانة من سوء

العجلة ، وسخف الحركة ، فقالت : أحد الشعرين لبغل من بغالنا . . . والآخر
لديكين الحمار . . . ، فقلت : والله ان للبروث رائحة كريهة ، وقد كان أنف الناقة
أجدر أن يحكم في الشعر . فقالت : فهمت عنك ، وأشارت الى العائسة
أن دكينا مغلوب ، ثم انصرفت قانعة راضية .

ويجربى بين أبي عامر وبين البغلة هذا الحوار اللطيف :

البغلة : أما تعرفنى أبا عامر ؟

أبو عامر : لو كانت ثم علامة . . .

فأماطت لثامها . والخال على خدها .

أبو عامر : بغلة أبا عيسى ؟

يقول أبو عامر : فثباكيننا طويلا وأخذنا في ذكر أيامنا .

فقالت البغلة : ما أبقث الايام منك ؟

أبو عامر : ماترين . . .

البغلة : شب عمرو عن الطوق ، فما فعل الاحبة بعدى ، أهم على العهد ؟

قال أبو عامر : شب الغلمان ، وشاخ الفتيان ، وتنكرت الخلان ، ومــــ

اخوانك من بلغ الامارة ، وانتهى الى الوزارة .

البغلة : تتنفس الصعداء قائلة : سقاها الله سبل العهد . وان حالوا

عن العهد ، ونسوا أيام الود ثم توصى أبا عامر قائلة : بحرمة الادب ، الاما

أقرأتهم منى السلام .

أبو عامر : كما تأمرين وأكثر .

على أن نهم أبا عامر لا يقف عند حد في التزود بالعلــوم

والآداب ... ولا يريد أن يغادر مجلس حيوان الجن حتى يشبع هذا النهم ... فهما
هو ذا يقف أمام اوزة بيضاء شهلاء ، تقطن في البركة المجاورة لسهه ...
ويصفها أبو عامر بقوله :

" ... وكانت في البركة بقربنا اوزة بيضاء شهلاء في مثل جثمان
النعامة ، كأنما ذر عليها الكافور ، أو لبست غلالة من دمقس الحريــــــــــــر
لم أر أخف من رأسها حركة ، ولا أحسن للماء في ظهرها صبا ، تشنى سالفتهــــــــــــا
وتكسر حدقتها ، وتلولب قمحدوثها ، فترى الحسن مستعارا منها ، والشكــــــــــــل
مأخوذا عنها ، وقد صاحت بالبغلة : لقد حكمتم بالهوى ورضيتم من حاكمكم
بغير الرضا .

فقال أبو عامر لزهير : ما شأنها ؟ قال : هي تابعة شيخ من مشيختكم .
تسمى العاقلة ، وتكنى أم خفيف ، وهي ذات حظ من الادب ، فاستعد لها .
فقال أبو عامر : أيتها الاوزة الجميلة ، العريضة الطويلة ، أيحســــــــــــن
بجمال حدقتيك واعتدال منكبيك ، واستقامة جناحيك ، وطول جيدك ، وصفــــــــــــر
رأسك مقابلة الضيف بمثل هذا الكلام ، وتلقى الطارئ الغريب بشبــــــــــــه
هذا المقال ؟ وأنا الذي همت بالاوز صيابة ، واحتملت في الكلف عني كل مقالة
وأنا الذي استرجعتها الى الوطن المألوف ، وحببتها الى كل غطريــــــــــــس
فاتخذتها السادة بأرضنا ... واستهلك عليها الظرفاء منا ، ورضيــــــــــــت
بدلا من العصافير ، ومتكلمات الزرازير ، ونسيت لذة الحمام ، ونقار الديوك
ونطاح الكباش .

يقول أبو عامر : فدخلها العجب من كلامي، ثم ترفعت وقد اعترتها هـــــــــــــ
خفة شديدة في مائها، فمرة سايحة، ومرة طائرة، تنغمس هنا وتخرج هناك
قد تقبب جناحها، وانتصبت ذناياها، وهي تطرب تطريب السرور، وهــــــــــــ
الفعل معروف من الاوز عند الفرخ والمرح ٠٠٠ ثم سكنت وأقامت عنقه هــــــ
وعرضت صدرها، وعملت بمجدا فيها، واستقبلتنا جائية كصدر المركب . فقالت
أيها الغار المغرور :

- كيف تحكم في الفروع وأنت لاتحكم الاصول ؟ ما الذي تحسن ؟
- أبو عامر : ارتجال شعر واقتضاب خطبة ، على حكم المقترح والنسبة .
- الاوزة : ليس عن هذا أسألك .
- أبو عامر : ولا بغير هذا أجابك .
- الاوزة : حكم الجواب أن يقع على أصل السؤال، وأنا انم هـــــ
- أردت بذلك احسان النحو و الغريب اللذين هما أصل الكلام، ومادة البيان .
- أبو عامر : لاجواب عندي غير ما سمعت .
- الاوزة : أقسم أن هذا منك غير داخل في باب الجدل .
- أبو عامر : وبالجدل تطلبينا، وقد عقدنا سلمه ، وكفينا حريمه
وان مارميتك به منه لانفذ سهامه، وأحد حرايه، وهو من تعاليم اللـه
عز وجل، عندنا في الجدل في محكم تنزيله .
- الاوزة : أقسم أن الله ما علمك الجدل في كتابه .
- أبو عامر : محمول عنك أم خفيف ، لا يلزم الاوز حفظ أدب القرآن
قال الله عز وجل في محكم كتابه حاكيا عن نبيه ابراهيم عليه السلام

" ربي الذي يحيى ويميت قال : أنا أحيى وأميت " . فكان لهذا الكلام من الكافر جواب ، وعلى وجوبه مقال ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم ، لما لاحته الواضحة القاطعة ، رماه بها وأضرب عن الكلام الاول ، قال : " فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت الذي كفر " وأنا لأحسن غير ارتجال شعر واقتضاب خطبة ، على حكم المقترح والنصبة .

يقول أبو عامر : فاهتزت من جانبيها ، وحال الماء من عينيهما وهمت بالطيران ، ثم اعترها ما يعترى الاوز من الالفة وحسن الرجعة فقدمت عنقها ورأسها البينا تمشى نحونا رويدا ، وتنطق نطقا متداركها خفيا ، وهو فعل الاوز اذا أنست واستراحت ، وتذلت على أنى أحب الاوز وأستظرف حركاتها ، وما يعرض من سخافاتهما .

ثم تكلمت بها مبسبا ، ولها مؤنسا حتى خالطتنا وقد عقدنا سلمها وكفينا حربها ، فقلت : يا أم خفيف ، بالذى جعل غذاك ماء ، وحشا رأسك هوا ، ألا أيما افضل : الادب أم العقل ؟

الاوزة : بل العقل .

أبو عامر : فهل تعرفين فى الخلائق أحمق من اوزة ، ودعيني من مثلهم

فى الحبارى ؟

الاوزة : لا .

أبو عامر : فتطلبى عقل التجربة ، اذ لاسبيل لك الى عقل الطبيعة

فاذا أحرزت منه نصيبا ، وبوعت منه بحظ ، فحينئذ ناظرى فى الادب . . . فانصرفت

وانصرف أبو عامر وصاحبه . (٨)

* * *

وبعد هذه الجولة الرائعة في أرض الجن مع أبي عامر وتابعتـــــــــــــــــه
زهير . . . وهم يتنقلون بين شياطين الشعراء وتوابع الكتاب والنقـــــــــــــــــاد
وحيوان الجن . . . وقد عرفنا شعرهم . . . واستمتعنا بنقدهم - وبعـــــــــــــــــد
أن نلتقط أنفاسنا - نحب أن نسجل عقب هذه الرحلة طائفة من الملحوظات
وهي :

أن أبا عامر في لقاءاته كان يظهر التوقير والاكبار لامرئ القيسس
وأبي تمام وأبي نواس، وأبي الطيب والجاحظ، وكان يظهر الاستخفاف
بالبحثري وعبد الحميد وبيدع الزمان .

على أنه من الواضح أنه كان يخص أبا نواس فوق الاكبار والتقدير
بفيض من الاجلال والهيبة . . . والشوق والانس . . . والعواطف الحارة . . . ربما
لأن ابن شهيد كان أقرب في التكوين النفسى واللامح الشخصية اليه من
غيره ، وما ذلك إلا لاجتماعهما في حب حياة المجون، والاغراق في الملسسذات
الحسية والشهوات العارمة .

(٨) قمت بتلخيص القصة من كتاب (رسالة التوابع والزواج) ت الاستاذ

بطرس البستاني مقابلا بالاصل من الذخيرة م ١ ق ١ ص ٣٥١ وما بعدها .

ونلاحظ أيضا أن ابن شهيد كان يبخر علماء النحو واللغة حقهم من
الأكبار وربما كان ذلك يرجع الى طبيعته الفنية التي تكره القيود
والحدود ، وكذلك كراهيته لأصحابها ، ويظهر ذلك في محاوراته الساخرية
مع أنف الساقية ، صاحب عالم اللغة الكبير أبي القاسم الأفليلى ... ويظهر
ذلك أيضا في موقفه المتهكم من الأوزة الأدبية التي كانت تدافع عن
النحو والغريب ... حيث أشبعها سخرية وتهكما وايداء ... ثم وصمها
بالحماسة ... والجهل ...

الفصل الثاني

البناء الفني لفصلة «التوابع والزوابع»

قمة " التوايح والزوايح " (١) - كما أسلفنا القول - رحلة خيالية في عالم الجن قام بها أبو عامر في صحبه تابعه " زهير بن نمير" الذي يلهمه اشعاره ... وقد التقى خلال هذه الرحلة بشياطين الشعراء والكتاب من عمالقة الادب العربي القديم وانتزع منهم اعترافات بتفوقه في الكتابه وفن القريض ... كما اتعمل ببنقاد الجن في نواديهم ... بل وقابل أدباء من حيوانهم واستمع لآبيات من الغزل في مباراة أدبية طريفة بين بغل عاشق وحمار وامق ... اذن هذه القصة تنتمي الى جنس القصص الذي يتجاوز عالم الحس الى ما وراءه ... متخذاً مغامراته في عالم خيالي مسحور ... مبدعاً بناءه الغني من غرائب التصورات وعجائب المشاهدات .

و " التابغة في لغة العرب : الرثن من الجن ... والجنية تتبوع الانسان ... وتتبع الرجل بمعنى : تحبه ... والجنى يتبع المــــرأة أى يحبها ... والامل " تابع " ... وانما الحقوا به الهاء للمبالغة أو لتشجيع الامر عليه ارادة الداهية (٢) .

و " الزوايح " : الدواهي ... و " الزويعة " و " الزابغة " ریح تدور في الارض لا تقعد وجهها واحدا ... تحمل الغبار وترتفع الى السماء كأنها عمود .. أخذت من التزبع ... وسبيان الاعراب يكون الاعمار

(١) وتسمى أيضا " بشجرة الفكاهة " انظر الذخيرة ق ١ مجلد ١، ص ٣٥١ .

(٢) لسان العرب ٢٩/٨ ط : دار صادر - بيروت .

" أبا زوبعة" يقال فيه شيطان مارد ... و " زوبعة" اسم شيطان ... أو
 رئيس من رؤساء الجن ... ويقال أم " زوبعة" أيضا . (٢)

وقد تحدث العرب عن عالم الجن ... وروت المصادر مآثورات عن
 قبائل الجن وقراهم ... ولعل أشهر ما دار على ألسنتهم من ذلك تلك
 الحكايات التي أذاعوها عن " وادي عبقر" ذلك الوادي العجيب المليء
 بالسحر والغرائب ... حيث يلتقى الشعراء في أنحاءه بشياطينهم
 الملهمين ... فهناك " جهنم" تابعة الاعشى ... و " لافظ بن لاحظ" صاحب
 امرئ القيس ... و " هبيد" ملهم عبيد ... وبشر بن خازم ... و " هساذر
 ابن ماذر" تابعة زياد الذبياني ، الذي يقولون عنه " انه أشعر أهل
 الجن " ... و " عمرو " صاحب المخيل السعدى وهناك من " بنى الشيبان"
 جنى يلقي الى حسان ... و " مدرك بن واغم" صاحب الكميت ... و" سنقنساقي"
 تابعة " بشار" ... وحدث جرير أن مكتهلا من الشياطين يلقي اليه الشعر
 وذكر الفرزدق أن للشعر شيطانين : أحدهما يسمى " الهوير" وهو يلهم
 الشعر الجيد ... والثانى يسمى " الهوجل" وهو يلقي الشعر الفاسد ...
 وذكروا من شياطين الشعراء " مسحل بن أناة" وشيطان آخر يقال عنه : انه
 من أشعر قبيل الجن ... ويسمونه " الصلادم" (٤) ويذكر الجاحظ في كتابه

(٢) المصدر السابق . نفس الصفحة .

(٤) تاريخ آداب العرب ، الرافعي ٦١/٣ .

) وجمهرة أشعار العرب ص ١٩ - ٢٤ .

والاغاني لابي الفرج

وشياطين الشعراء للدكتور عبدالرزاق حميد ص ١٥ - ١٠ .

"الحيوان" أن من استعملات العرب لكلمة "شيطان" ما يريدون به الفطنة
وشدة العارضة ... فيكون استعمالهم لشياطين الشعراء ملحوظ فيه هكذا
المعنى ... وربما أخذوا هذا المعنى من الكهانة لأنها أقدم من الشعر
وقد كان لكل كاهن "نجي" يسمونه "الرئي أو التابع" . (٥)
وقد ذكرت المصادر أيضا حكايات أخرى عن الجن : " كقصة خنافر
الحميري الذي كان له صاحب من الجن من أهل الملاح والتقوى ... زعموا أنه
قد أرشده الى الاسلام ... (٦)

ولعل أهم أثر أدبي سبق ابن شهيد في توظيف الجن في عمل فنــــي
يمس قضايا الشعر والشعراء في الادب العربي هو " المقامة الابلسيــــة"
لبديع الزمان فهاهو ذا بطل المقامة يفقد ابله ... ويخرج في طلبهــــا
ويسعى في سبيل ذلك حتى تلقى به المقادير في واد ممرع ... غنمــــي
بالخضرة والازهار ... مبهج باشجاره الباسقة وثماره اليانعة ... وهناك
التقى بشيخ يجلس في ناحية ... وبعد أن أنس اليه سأله الشيخ فيمــــا
إذا كان يروى شيئا من أشعار العرب ... فأنشده شعرا لامرئ القيس، وعبيد
ابن الابرص ... وطرفة بن العبد فلم يهش الشيخ لذلك واندفع ينشد شعرا

(٥) تاريخ آداب العرب لمصطفى الرافعي ٦٠/٣ .
والحيوان للجاحظ

والبيان والتبيين للجاحظ

(٦) انظر : النقد الادبي الحديث ، احمد غنيمي هلال ، دار الثقافة
و دار العودة - بيروت - ١/٧/١٩٧٣ ، ص ٥٢٤ .

يدعى أنه له ... ولكن صاحبنا يكشف أنه لجريير ... ويصارع الشيخ بذلسك
فيحاول أن يتهرب منه ... ثم يطلب من الشيخ أن ينشده بعض شعر أبي نواس
نواس ... فيلقى عليه سينيته الخمرية الماجنة .

وهنا طرب الشيخ وشهق ، وزعق ... فقال له : قبحك الله من شيـخ
لأدرى أبانتحالك شعر جريير أنت أسخف أم بطربك من شعر أبي نواس ، وهـو
فويسق عيار ... ويكتشف أن الشيخ لم يكن الاشيطان جريير ...

ثم يغيب الشيطان زمنا ، ويلقاه صاحبنا ... فيقص عليه خبر ابله ...
فيناولة مسرجة ... وينصحه بدخول غار مظلم ... ويفعل ماطلب منه ...
فاذا بابله أمامه ... فيسوقها .

وبينما هو على هذه الحال ... اذا بأبي الفتح الاسكندري أمامه ...
فيقص عليه خبره مع الشيخ ...

وهنا يشير أبو الفتح الى عمامته قائلا : " هذه ثمرة بره ...

فيقول له : يا أبا الفتح ... شحذت حتى من ابليس ... (٧)

ويجب ألا ننسى قبل ذلك كله أن القرآن الكريم قد قص علينا
- وقصه الحق - كثيرا من أخبار الجن صالحهم وطالحهم ... وبخاصة
ابليس في طائفة من سور القرآن بل يجب ألا ننسى أن في القرآن الكريم
سورة اختصت بخير الجن وسميت بسورة " الجن " .

(٧) مقامات البديع ص ٥٣ ط ٢ محيي عبدالحميد ، ١٣٩٩ هـ دار الكتب .

وبيسير من التأمل فى قصة ابن شهيد نستطيع أن نقول : " انه قسسد
استوحى موضوعها من الثقافة العربية القديمة فى جاهلية العرب ، فأرض
الجن تعادل وادى عبقر ٠٠٠ و " التوابع والزوابع " هى نفس توابع
وادى عبقر وزوابعه ٠٠٠ وليس هناك فى هذه القصة من تأثيرات اسلامية
الاماكان من استشهاد ببعض آى القرآن الكريم ، وايراد بعض شعر الشعراء
أو نثر الكتاب الذين جاءوا بعد الاسلام .

أما ما سوى ذلك من أحداث ومشاهد ، وسرد قصصى .. فانه من عمــــل
خياله ولم ينسحب فى ذلك على أى عمل أدبى ألف من قبل .

وينبغى أن نصرح بأنه ليس هناك أدنى صلة بين التوابع والزوابع
المقامنة الابليسية ، فالموضوع غير الموضوع ، والأحداث غير الأحداث ٠٠٠ والهدف
غير الهدف ٠٠٠ والهيكل غير الهيكل ٠٠٠ ولا يلتقيان الا فى اسم الشيطان
وهو كلمة " تابعة " ونحن نعرف سلفا أن هذا الاسم معروف قبل أن يولمسسد
البديع .

ومن الخطأ الفاحش أن يظن ظان أو يتوهم متوهم أن هناك تشابهسا
بين فن المقامات بعامة وبين التوابع والزوابع ، فان فن المقامات محدد
القسمات واضح الشيات ٠٠٠ ولا يختلط أبدا برسالة ابن شهيد ٠٠٠

ان العمل الأدبى الوحيد الذى يستوقف الباحث فى هذا الميــــدان
هو (رسالة الغفران) لابى العلاء ، لأنها تشترك مع رسالة " التوابع والزوابع "
فى أنها رحلة ادبية الى ماوراء العالم المنظور ٠٠٠ ومن أجل ذلك
سنعالج هذه القضية آخر هذا الفصل ٠٠٠ والى ذلك الحين نستطيع

أن نقول مؤقتا ان قصة التوايح والزوايح لابن شهيد تعد أول عمل فني في الادب العربي يتجاوز عالم الحس الى ما وراءه .

هذا وقد ألف أبو عامر قصته هذه ليبرد على خصومه وحساده من أدباء الأندلس الذين جحدوا قدره حسدا من عند أنفسهم ... ولما ضاق به عالم الواقع هرب الى عالم الخيال ... وهناك استطاع أن ينتزع لنفسه شهادات بتفوقه واعترافات بامتيازته من أساطين الشعر، وجهابذة الكتاب ... بل ممن يلهم هؤلاء رواعهم وبداعهم من حر القول، وبديع القريض ... وهكذا رحل أبو عامر الى هذا العالم الغريب العجيب ... ليحقق في عالم الخيال ما لم يستطع تحقيقه في عالم الواقع ... وليشبع خصومه وحساده هزءا وسخرية وتهكما، وازراء ... وليشبع في نفسه غريزة الاستعلاء والفخار والمطاولة ...

وقد ذكر في قصته من هؤلاء الخصوم ثلاثة بكناهم، وكأنه قد ضاقت نفسه من التصريح بأسمائهم ... فحاول أن يذيبهم في غيرهم ممن يشتركون معهم في هذه الكنى ... وفي هذا النوع من التجهيل المصطنع شفاء لنفسه الموتورة ... وراحة لقلبه المغيظ ... وأول من ذكر من هؤلاء " أبسسو محمد" ولعله على بن سعيد بن حزم ... وقد كان معروفا بحدة اللسان حتى مع الاصدقاء .

وثانيهما : أبو القاسم ... والمقصود به الافليلي ... وهو الوحيد من بينهم الذي صرح باسمه في رسالته ... بعد أن أشبهه هزءا وسخرية ... وجعل له تابعا سماه " أنف الناقية" ... ويظهر أن أبا عامر

لما شعر أنه قد نجح في الانتقام منه بالفعل ... جعل التصريح باسمه
تتمة للتشنيع عليه .

وثالثهما : أبو بكر ... ولعله الكاتب المشهور بأشكمياط ... وهو
ممن رمى ابن شهيد بالسرقة الأدبية والتلصص ... واستباحة كنوز غيره ...
روى ابن بسام أنه عرضت على أبي بكر أشكمياط فصولا من نثر أبي عامر
فعلق عليها قائلا : " ففرحسان الآن أنه عشر عليها " .

فكتب اليه ابن شهيد غاضبا : " ما أغيرك أبا بكر ، على نظم ونثر ...
عرضت عليك الدر منظوما ، فقلت : نعم ما صنعت لو اخترعت ... وما أحسن
ما أطلعت لو ابتدعت ، معرضا بالتقصص ، ومشيئا إلى التلصص ... لأقطع
حبالك هاجرا ، ولأتركك ليلك شاهرا ... (٨)

وأما خصومه الذين لم يذكرهم في رسالته فمنهم : جعفر بن محمد بن
فتح ... الذي أوغر عليه صدر أبي القاسم الأفليلي .
يظهر ذلك من رسالة أبي عامر التي بعثها إلى أبي القاسم يشكو
فيها تغيره عليه فيقول : " بحثت عن طراً عليك من الأندال ، وحسب
بساحتك من الأعلاج فليل لي : ابن فتح ، فأنعمت البحث ، وأعملت لطائف
الكشف ، حتى صح عندي أنه كدر صفوك على ... وغير شريك لدى ، فقلبت
من هاهنا أتينا ، ومن هذه القوس اللثيمة رمينا وقصصنا مع هـذا

(٨) الذخيرة، ق/١، م/١، ص ٢٣٠، ٢٣١ .

ومقدمة الرسالة لبطرس البستاني ص ٣٠ .

العلج طويل ... " (٩)

ومنهم الوزير الكاتب خالد بن يزيد الذى حاول الايقاع بأبى عامر
فتنظم قصيدة فى هجاء الخليفة المستظهر بالله ونحلها ابن شهيد ليحلل
به غضب الخليفة ، ولكن لم تنجح مكيدته عند الخليفة لأن ابن شهيد كان
مقربا عنده محبا اليه . (١٠)

ومنهم أبو جعفر أحمد بن عباس وزير زهير المقلبي وكاتب ديوانه ...
وكان هذا الوزير متعاليا شديد الذهاب بنفسه ... مغرورا بسوء الخلق ...
يروى ابن بسام أنه كان ينتقص أبا عامر ... فى حال لم يكن يحسب
أن يكون مستمليا . (١١)

ومنهم أبو عبدالله بن الحناط الضير ... وقد كان كثير الانحساء
على أبى عامر ... جاحدا مكانه فى الشعر والنثر ... عابا عليه
الاسهاب والتطويل فامزا شخصيته بالزهو والخيلاء ...
يقول فى بعض رسائله " الاسهاب كلفة ، والايجاز حكمة ... وخواطر
الالباب سهام ، يصاب بها خواطر الكلام ، وأخونا أبو عامر يسهب نثرا
ويطيل نظما ، شامخا بأنفه ، ثانيا من عطفه متخيلا أنه قد أحرز السبق فى

(٩) الذخيرة ، ق ١ / م ١ ، ص ٢١٤ .

(١٠) الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢١٧ .

والبستاني ص ٣١ .

(١١) نفس المصدر ص ٢١٣ - ٢١٦ .

والبستاني ، ص ٣٤ .

الاداب ، وأوتى فصل الخطاب ، فهو يستقصر آساتيذ الأدباء ، ويستجهل شي—وخ

العلماء . (١٢)

هذا هو المناخ الادبى الذى كان يحيط بابن شهيد ، والذى كدر عليه
حياته السياسية والثقافية والاجتماعية والذى أقلقه كثيرا وأقضى
مضجعه وأدمى مشاعره وجعله يمتشق قلمه ويزعم الرحلة عن عالم
الانس مفضلا عليه عالم الجن مؤثرا العيش بين التوابع والزوابع
والآن يحسن أن نطيل التأمل فى قصته ونحاول أن نرصد الوسائـل
الفنية التى حاول أن يبرز بها ملامح شخصياته ويصور بها أحداثه—
والاسلوب الادبى الذى اصطنعه فى السرد .

• والوسيلة الفنية الاولى التى اصطنعها أبو عامر هى " الرمز" .

• فقد أبدع عدة رموز أدبية أضفها على شعراء قصته وكتابها .

وأول ما ترمز اليه " التوابع والزوابع " بصفة عامة بالنسبة الى
الشعراء والكتاب هو " الالهام " مؤكداً أن فنون الادب من شعر ونثر من
عطاء الموهبة وليست من كسب المعرفة .

ويركز ابن شهيد على هذا المبدأ تركيزا شديدا ويلح عليه
الحاحا متصلا وربما كان ذلك للدفاع عن نفسه فقد كان خصومسه
يتهمونه بأنه لم يجلس الى الاساتيذ ولم يطل النظر فى الكتب ، ولم

(١٢) الذخيرة م ١ ح ١ ص ٣٠٦ ، ٤٣٩ .

• والبستانى ص : ٣٦ .

يستوعب مافيها من علم ومعرفة . (١٣)

ولاشك أن مجرد تفكيره فى هذه الرموز يعد لفئة ذكية منه ... ولكن هذا لا يمنع من القول بأن هذه الرموز شديدة السذاجة ... فقد كانت شفاقة بحيث لاتحجب ماوراها ... ويمكن أن يرى المرموز اليه ——— خلالها رأى العين من غير بذل جهد عقلى كبير ... فهى الى التصريح أدنى منها الى التلميح .

وفى مقدمة مايقابلنا من هذه الرموز (زهير بن نمير) ... (١٤)

وحسبك أن تعرف أنه من أشجع من الجن ... لتدرك فى التو أن هــــــذا أبو عامر بشحمه ولحمه ... وربما كان أهم مايشير اليه هذا الرمز أن ابن شهيد أديب موهوب مستعد دائما للابداع لايلحقه الاجيال أبدا فما يكاد يطلب القول حتى تسعه القريحة ... فهو (قد أوتى الحكم صبيا ... وهز بجذع نخلة الكلام فاساقت عليه رطبا جنيا) .

وهذا " عتبة بن نوفل " شيطان امرئ القريس ... يناديه زهيسر : يا عتبة بن نوفل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل ... ويوم دارة جلجل الا ما عرضت لنا وجهك ، وأنشدتنا من شعرك وسمعت من الانس وعرفتنا كيف اجازتك له ... ؟

(١٣) انظر الذخيرة ، ق / ١ / م ، ١ / ص ٢٤٦ .

والرسالة ت : البستاني ص ٨٨ .

(١٤) الذخيرة ، ق / ١ / م ، ١ / ص ٢٤٧ .

والبستاني : ص ٨٩ .

ويقبل عليهم من بعيد فارس على فرس شقراء تكاد تلتهب . (١٥)

يشير بذلك الى شعره الداعر ومغامراته الحمراء الفاحشة ...

ومايوم " دارة جلجل" ألا نموذجاً واقعياً من حياته الصاخبة فى
الملذات ...

وهذا هو " عنتر بن العجلان" صاحب طرفة ... فتى جميل الوجه قسـد
توشح السيف واشتمل عليه كساء خز ... وبيده خطى ... (١٦)

يشير بذلك الى نشأة الشاعر المترفة والى اجادته فى شعر الفتوة
والنجدة ...

أما شيطان قيس بن الخطيم ... فهو فارس كأنه الاسد على فرس كأنها
العقاب (١٧) يقصد بذلك اجادة الشاعر فى وصف الحروب ، والحض على
التراث واشارة الاحقاد .

و " عتاب بن حبناء" تابعة أبى تمام فتى بديع التكوين وجهه
كفلقة القمر . يسكن قعر بشر عميقة ... يتفجر من أصلها الماء كملقة
حورا . (١٨)

(١٥) المصدرين السابقين ص ٢٤٩ ، و ص : ٩١ - ٩٣ .

(١٦) الذخيرة ق/١/م، ص ٢٥٠، والرسالة ت : البستانى ص ٩٣ - ٩٥ .

(١٧) الذخيرة ق/١/م، ص ٢٥٢، والرسالة ت : البستانى ص ٩٦ - ٩٧ .

(١٨) الذخيرة ق/١/م، ص ٢٥٣، والرسالة ت : البستانى ص ٩٨ - ١٠١ .

يشير بذلك الى غوص ابي تمام وراى المعانى ... والى كلفه الشديد
بالبديع ... والى مبالغته فى الصنعة التى ميزت مذهبه الشعرى ... حتى
أنه يوصى ابا عامر ألا يكدر قريحته ... وأن ينقح شعره بعد ثلاثــــة
أيام ... وهذا يذكرنا بوصية ابي تمام لتلميذه ابي عبادة .

و " طوق بن مالك " شيطان البحترى ... يكتيه " بأبى الطبع " (١٩)
مشيرا بذلك الى أن شعر البحترى من الفن المطبوع الذى يصدر عن اسماع
وليس من الفن المصنوع الذى يصدر عن تكلف .

و " حسين الدنان " رفيق ابي نواس ... يقطن جبل دير حنة ... حيث
تقع ذات الاكيراج ... تفوح منها الخمور ... ويعربد فيها الفجـــــور ...
ويخطر فيها الرهابين ... مشددة بالزنانير ... وهو شيخ طويل الوجـــــه
والسبله قد افترش أضغاث زهر ... واتكأ على زق خمر ... وحوله صبيــــة
كأظب ... وانه لفى شرب الخمرة منذ أيام عشرة . (٢٠)

يشير أبو عامر بذلك الى أن ابا نواس كان يجيد فى شعره ومصـــــف
الخمرة ... ولا يتورع عن الغزل الشاذ، ورغم ذلك يظهر له الاحترام ... ويتقدم
اليه بالاجلال ... لالتقائهما فى كثير من الملامح الشخصية ... ولاتفاقهما

(١٩) الذخيرة ق/١/م، ص ٢٥٧ .

والرسالة ت : البستانى ص ١٠٢ - ١٠٤ .

(٢٠) الذخيرة ق/١/م، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

والرسالة ت : البستانى ص ١٠٤ - ١١١ .

على درب واحد فى الحياة هو وأمثاله من شعراء العبيث والمجون .
و " حارثة بن المفلس " صاحب أبى الطيب ... فارس يستوى على متن
فرس بيضاء ... كأنه قضيب على كثيب ... قد أسند قناته الى عنقه ...
على رأسه عمامة حمراء ... قد أرخى لها عذبة صفراء ... ينظر من مقلعة
شوساء ... (٢١)

يشير أبو عامر بذلك الى أن أبى الطيب كان يجيد فى وصف الحروب
والفرس البيضاء كناية عن صراحته ووضوحه ... والعمامة الحمراء ترمز
الى أن فى أصل طبعه كلفا بالدماء ... والعذبة الصفراء ترمز الى حقه
على حكام عصره ورغبته فى الانتقام منهم ... وهو فى الجملة متكبر
شديد الذهب بنفسه ... مجنون الطموح .

و"عتبة بن أرقم " صاحب الجاحظ ... شيخ أصلع ... جاحظ العيين
اليمنى على رأسه قلنسوة بيضاء طويلة . (٢٢)

ونحن نلاحظ أن أبى عامر فى هذه الاوصاف يركز على الملامح الشخصية
لأبى عثمان دون الاشارة الى طريقتة الفنية فى عالم النثر ...

(٢١) الذخيرة ق/١، م/١، ص ٢٦٥ - ٢٦٧ .

والرسالة ت : البستانى ص ١١١ - ١١٤ .

(٢٢) الذخيرة ق/١، م/١، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

والرسالة ت : البستانى ص ١١٥ - ١٢٣ .

ولكن من خلال محاورته لعتبة بن أرقم نستطيع أن نلتقط الملامح

الفنية لاسلوب الجاحظ من مماثلة وازدواج دون القصد الى السجع ...

وأبو هبيرة تابعة عبدالحميد شخص بدوي خشن ... يرى دم اليريسوع

بكفيه ... ويلمح من كشف الطب على ماضيه ... (٢٣)

ثم يشير الى جفاء اسلوبه قاعلا : وانك لفي عباءة تتكشف عنها

استاه معانيك تكشف است العنز عن ذنبها .

و (أنف الناقة) تابعة أبي القاسم الافليلي ... جنى أشمسط

ربعة وارم الانف يتظالع في مشيته ... كاسرا لطرفه زوايا لانفه ... من

سكان خبير ... يتعاطى النحو ويروي الغريب ... يجادل على الخطأ

ويتشبهت به معاندا ... (٢٤)

وواضح أن ابن شهيد لا يكاد يكتم حقه على أبي القاسم ، فهو خصمه

اللدود ولذلك سخر منه ورسم له صورة هزلية تثير الضحك .

ولا يخفى أنه قد جعل تابعه رمزا لمن حرمه الله ملكة الموهبة ... فلم

ينفعه كسب المعرفة .

(٢٣) الذخيرة ق/١/م، ١/ص ٢٦٩ .

والرسالة ت : البستاني ص ١١٨ .

(٢٤) الذخيرة ق/١/م، ١/ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

الرسالة ت : البستاني ص ١٢٤ - ١٣٠ .

وقد صدق فيه قول أبي حيان : انه سلك في كتابته الديوانية (طريقة

المعلمين المتكلفين ... متنكبا طريقة الكتاب المطبوعين) . (٢٥)

و " زبدة الحقب " تابعة بديع الزمان ... فتى حاد النظرات شديد
الثقة بنفسه وبفنه ... عظيم الشك في موهبة غيره ، لا يعبأ أن يعيب
بالأخرين . (٢٦)

وقد رمز ابن شهيد باسمه " زبدة الحقب " الى أن بديع الزمان
الهمداني هو الخلاصة الذي انتهت اليه الصنعة ... بل التصنيع فسي
فن الكتابة ...

و " أبو الآداب " صاحب اسحق بن حمام ... فتى رقيق الحاشية ...
سمح الطبع ... رض النفس ... شديد التوقير لمشيخة الاندلس ... مؤثر
للسلم على الحرب ... وربما قصد أبو عامر من هذه الاوصاف انعكاسها على
اسلوب هذا الكاتب في فن الكتابة . (٢٧)

ومن الوسائل الفنية التي استخدمها أبو عامر في قصته الحوار الحن
الرشيق ...

ومن ذلك هذا المشهد الذي ضم مع عتبة بن أرقم تابعة الجاحظ . . .
وأخذا يتحاوران :

صاحب الجاحظ : انك لخطيب وحائك للكلام مجيد، لولا أنك مغرى بالسجع
فكلامك نظم لانشر .

- أبو عامر : ليس هذا أعزك الله جهلا مني بأمر السجع ، وما في
المماثلة والمقابلة من فضل ، ولكني عدمت بيلدى فرسان الكلام ، ودهيت

(٢٥) الذخيرة ، ق/١، م/١ ، ص ٢٨٢ .

(٢٦) الذخيرة ، ق/١ ، م/١ ، ص ٢٧٦ .

والبستاني ، ص ١٢٧ - ١٢٩ .

(٢٧) الذخيرة ، ق/١ ، م/١ ، ص ٢٧٨ .

والبستاني ، ص ١٣١ .

بغباوة أهل الزمان ...

... صاحب الجاحظ : أهذا على تلك المناظر ، وكبير تلك المحابــــــــــــــــــــر

وكمال تلك الطيالس ؟

- أبو عامر : نعم انها لحاء الشجر ، وليس ثم شمر ولا عبق .

- صاحب الجاحظ : صدقت ، انى أراك قد ماثلت معى .

- أبو عامر : كما سمعت .

- صاحب الجاحظ : فكيف كلامهم بينهم ؟

- أبو عامر : ليس لسيبويه فيه ^{عمل} ؟ ولاللفراهيدى اليه طريقــــــــــــــــــــق

واللبيان عليه سعة ، انما هى لكنة أعجمية يؤدون المعانى بها تأديــــــــــــــــــــة

المجوس والنبط .

- صاحب الجاحظ : انا لله ، ذهبت العرب وكلامها . ارمهم ياهــــــــــــــــــــذا

بسمع الكهان فعسى أن ينفعك عندهم ، ويطير لك ذكرا فيهم . (٢٨) .

وهذا مشهد حوارى آخر بين أبى عامر وبين اوزة أديبة ...

- الاوزة : أيها الغار المغرور ، كيف تحكم فى الفروع ، وأنــــــــــــــــــــت

لاتحكم الاصول ؟

... ثم تقول له : ما الذى تحسن ؟

- أبو عامر : ارتجال شعر ... واقتضاب خطبة .

- الاوزة : لست عن هذا أسألك .

- أبو عامر : ولا بغير هذا أجابك .

- الاوزة : حكم الجواب أن يقع على أصل السؤال ، وأنا انــــــــــــــــــــت

(٢٨) الذخيرة ، ق/١ ، م/١ ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

والبساتني ، ص ١١٦ - ١١٧ .

أردت بذلك احسان النحو والغريب .

- أبو عامر : لاجواب عندى غير ما سمعت .

- الاوزة : اقسم أن هذا غير داخل في باب الجدل .

- أبو عامر : وبالجدل تطلبينا ، وقد عقدنا سلمه ، وكفيننا

حربه .

- الاوزة : أقسم أن الله ما علمك الجدل في كتابه ...

- أبو عامر : محمول عنك أم خفيف . لا يلزم الاوز حفظ أدب القرآن .

- يا أم خفيف بالذى جعل غذاك ماء ، وحشى رأسك هوأ ، ألا أيمسنا

أفضل الادب أم العقل ؟

- الاوزة : بل العقل .

- أبو عامر : فهل تعرفين في الخلائق أحقق من اوزة ؟

- الاوزة : لا .

- أبو عامر : فتطلبى عقل التجربة ، اذ لاسبيل الى عقل الطبيعة

فاذا أحرزت منه نصيبا ... وبوت منه بحظ .. فحينئذ ناظرى فى الادب (٢٩)

ومن الوسائل الفنية التى استغلها أبو عامر فى قصته أيضا

اسلوب السخرية والتهكم المصوغ أيضا فى قالب الحوار الذى يغلب على

فنسه ...

فهذا مشهد يضمه بالافليلى ، يتبادلان فيه العبارات القارصنة

(٢٩) الذخيرة ، ق/١ ، م/١ ، ص ٢٩٩ - ٣٠١ .

والبستاني ، ص ١٤٩ - ١٥٢ .

حيث ينكر أبو القاسم على أبي عامر حظه من العلم والمعرفة ... فيقول :

- الافليلي : فتى لم أعرف على من قرأ .
 - أبو عامر : وأنا أيضا لأعرف على من قرأت .
 - الافليلي : ألمثلى يقال هذا ؟
 - أبو عامر : فكان ماذا ؟
 - الافليلي : فطرحنى كتاب الخليل ...
 - أبو عامر : هو عندى فى زنبيل .
 - الافليلي : فناظرنى على كتاب سيوية .
 - أبو عامر : خريت الهرة عليه وعلى شرح ابن درستويه .
 - الافليلي : دع عنك أنا أبو البيان .
 - أبو عامر : انما أنت كمغن وسط ، لا يحسن فيطرب ، ولا يسىء فيلهى .
 - الافليلي : لقد علمنيه المؤدبون ...
 - أبو عامر : انما هو من تعليم الله تعالى " الرحمن ، علم القرآن خلق الانسان ، علمه البيان " . (٣٠)
- وهذا مشهد ساخر آخر ، يعتبر من أفانين السخرية الرفيعة ... يمزج فيه بين السرد والحوار ... فيقول :
- " فتقدمت الى بغلة شهاب ... عليها جلها وبرقعها فقالت :
- أما تعرفنى أبا عامر ؟ ...

(٣٠) الذخيرة ، ق/١ ، م/١ ، ص ٢٧٤ .

والبستاني ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

- فقلت : لو كان شمة علامة .

فأماطت لثامها ، فاذا بغلة أبي عيسى ... والخال على خدها .

فتباكيننا طويلا .. وأخذنا في ذكر أيامنا .

فقلت : ما أبتت الايام منك...؟

- قلت : ماترين .

- قالت : شب عمرو عن الطوق ، فما فعل الاحبة بعدي ...؟

- قلت : شب الغلمان ، وشاخ الفتيان ، وتنكرت الخلان ... ومــــ

اخوانك من بلغ الامارة ... وانتهى الى الوزارة ... فتنفست المعــــدا

وقالت :

- سقامم الله سبل العهد ... وان حالوا عن العهد ... ونســــوا

أيام الود ... بجرمة الادب الاما قرأتهم السلام .

- قلت : كما تأمرين . (٣١)

ومن وسائله الادبية كذلك استخدامه الاسلوب الظلي الموشى فســــسى

السرد ... والتصوير الرائع في الوصف ... وهاهو ذا يصور مشهد اوزة تسبح

فيقول :

" كانت في البركة بقربنا اوزة بيضاء شهلاء ، في مثل جثمــــان

النعامة ، كأنما ذر عليها الكافور ، أو لبست غلالة من دمهس الحرير ، لــــم

أر أخف من حركتها ولا أحسن للماء في ظهرها صبا ، تشنى سالفتها ، وتكســــر

حدقتها ، فترى الحسن مستعارا منها ... " (٣٢)

ثم يوجه اليها الخطاب قائلا :

(٣١) الذخيرة ، ق/١/م، ١، ص ٢٩٨

والبستاني ، ص ١٤٩ .

(٣٢) نفس المصدرين ، ص ٢٩٨ ، و ص ١٤٩ - ١٥٠ .

" أيتها الازفة الجميلة ، العريضة ، الطويلة ، أبحسن جمال حدقتيــــــــــــــــك
واعتدال منكبيك ، واستقامة جناحيك ، وطول جيدك ، وصفر رأسك مقابلــــــــــــــــة
الضيف بمثل هذا ؟

فدخلها العجب من كلامي ، ثم ترفعت وقد اعترتها خفة شديدة ، فمــــــــــــــــرة
سابعة ، ومرة طائفة ، تنغمس هنا ، وتخرج هناك ، قد تقبب جناحاهــــــــــــــــا
وانتميت ذنابها ، وهي تطرب ، تطريب السرور . . . ثم سكنت وأقامت عنقهاــــــــــــــــا
وعرضت صدرها . . . وعملت بمجدافها . . . واستقبلتنا جاغبة كــــــــــــــــدر
المركب . . . " . (٣٣)

بقيت كلمة لا بد من تدوينها عن خيال ابن شهيد الذي يتصف

بالجرأة والطموح ... ذلك انه مما لاشك فيه أن اعتناق خيال ابن

شهيد من عالم الحس الى ماوراءه انما ينتمى الى خيال كـبـار

الادباء العالميين سواء سابقوه أو لاحقوه .

ومن سابقيه الشاعر الاغريقي " هوميروس " فى ملحمتيه

" الاوديسا " حيث استطاع خياله أن يأخذ " اوديسيوس " الى رحلة

وراء هذا العالم يشاهد فيها مناظر عجيبة، ويلاقى أحداثا مرعبة

قبل أن يصل الى زوجه الوفية " بيلوب " ويلتقى بابنه الـوحيـسـد

" تيلماخوس " فى موطنه بجزيرة " اتاكا " . (٣٤)

كذلك من سابقيه شاعر اللاتين " فرجيل " الذى احتذى فى

ملحمته " الانياذة " على شاعر اليونان " هوميروس " فى ملحمتيه الباقيتين

" الالياذة والـاوديسا " فاستطاع أن يرسل بطله " ايناس " الى

ماوراء هذا العالم ويطلع به على خياله على عالم اسطورى عجيب

فيه من مشاهد العذاب وفيه من مشاهد النعيم ما يدهش ويبهر . (٣٥)

ومن سابقيه أيضا الشاعر الاغريقي " أريستوفان " زعيم مسرح

الملاهى الذى استطاع بخياله أن يرسل الى ماوراء هذا العالم

الى عالم اسطورى مليء بالفرائب والاعاجيب، وأن يعقد هناك

محاكمة أدبية يوازن فيها بين شاعر الملاهى المسرحية

(٣٤) الادب المقارن : د. غنيمى هلال ص ١٤٤ .

(٣٥) الادب المقارن : د. غنيمى هلال ص ١٤٧ .

"يوربيدوس" وبين زعيم المسرح الاغريقي " اسخيلوس" واستطاع
 أن يهيبه هناك جوا قضائيا هزليا أحضرت فيه المساطر والبراجيل
 والامتار، والزوايا والمناشر لقياس الشعر وجيء بميزان كبيسر
 ذى كفتين لتوزن فيها أبيات القريض كما يوزن اللحم أو القشاة (٣٦)
 أما لاحقوه فأسبقهم أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخسى
 المشهور بأبى العلاء المعرى الذى استطاع أن يحمل ابن القارح على
 جناح خياله ويطير به إلى ماوراء عالم الحس، ويطلعه على كسسل
 مدهش ومرعب ٠٠٠ ويطوف به على الشعراء والادباء ورجال الفكر
 ويعقد له حلقات المناقشة والحوار مع النحاة واللغويين، وسيوضح
 ذلك فى الفصل الثالث الذى نعقده لدراسة قضية السبق الزمنسى
 بينه وبين ابن شهيد ٠ (٣٧)

ومن لاحقيه كذلك الشاعر الايطالى " دانتي" فقد استطاع
 بخياله أيضا أن يرحل إلى ماوراء هذا العالم وأن يجوس خلال عالم
 معجب مرعب معا وأن يلتقى هناك بكبار الادباء والفلاسفة والمفكرين
 من عباقرة العالم منهم على سبيل المثال من أمة العرب " ابن
 سينا" و " ابن رشد " ٠ (٣٨)

ومن لاحقيه أيضا الشاعر الانجليزى " ميلتون" فى ملحمتيه

(٣٦) المصدر السابق ص ١٦٣ ٠

(٣٧) ينظر هذا الفصل فى الباب الاول ٠

(٣٨) غنيمى هلال ص ١٥٦ - ١٥٧ ٠

"الفردوس المفقود" الذي قفز الى ماوراء هذا العالم ليقتفى نسق خيالى خبر خروج آدم وحواء من الجنة واغواء الشيطان لهما (٣٩)

نلاحظ من بين هؤلاء الذين يمتازون بقوة الخيال وغزارته وخصوبته ثلاثة من غير المبصرين اولهم : هوميروس، وثانيهم أبو العلاء، وثالثهم : ميلتون . فهل ياترى بين فقدان البصر وتوقد الخيال ارتباط ؟

نلاحظ كذلك أن " أرسطوفان" الاغريقى، و" فرجيل " اللاتينى ودانتى الايطالى، وميلتون الانجليزى، كل هؤلاء اتبعوا طريقة "هوميروس" فى فكرة الرحلة الى ماوراء عالم الحس .
حقا ان "دانتى" من الشابت فى الدراسات المقارنة فى العالم أنه متأثر بأصول اسلامية، ولكن ذلك فى الاحداث والتفاصيل، وليس فى القالب، فالقالب قديم فى الآداب الغربية وحسبنا أن دليله فى رحلته كان " فرجيل" صاحب الانياذة .

وليس هناك أدنى شك فى أن ابن شهيد فيما وصل اليه من كتابه " التوايح والزوايح " أو " شجرة الفكاهة " كان ذا خيال مطلق ولم يحتد فى ذلك على سابق . . . فمن المقطوع به حتى الآن أن ملاحم الاغريق ومسارحهم لم تترجم الى العربية فى عصور

الترجمة المعروفة ، كما أنه من الثابت تاريخيا أن أبا العسلاء
لاحق به غير سابق له في تأليف " الغفران " ولكن هذا لا يمنح
أن ابن شهيد قد استوحى الخرافات العربية القديمة حول وادى عبقر
والاقاصيص المبتوثة حول قري الجن ... والخبار الشائعة حول
شياطين الشعراء ، بل ان عنوان التوابع والزوابع يشى بذلك ، بل
يصرح به تصريحاً ...

وغنى عن البيان أن ذلك لن يعطى " التوابع والزوابع " قيمة
أدبية يجعلها في محاذاة الاعمال الأدبية السابقة التى تـدور
كلها حول عالم ماوراء الحس ... بل حسب ابن شهيد الاندلسى أنه
فتح هذا الباب فى أدبنا العربى ... من غير أن يسبقه الى هذا
الفكر سابق ... يلاحظ كذلك أن ابن شهيد أقرب الى أرسطو—سان
الافريقى فى الهدف الذى كان يرمى اليه من تأليفه ... فههدف كل
منهما أدبى ويلحق بهما صاحب الغفران فى ذلك ... (٤٠)

بقى أن نعرف هل تأثر أبو عامر في بناء قصته " التوابع والزوابع " بأبي العلاء ... أو تأثر أبو العلاء في بناء قصته " رسالة الغفران " بأبي عامر ؟

يجيب على ذلك الدكتور أحمد ضيف في أثناء حديثه عن أسلوب ابن شهيد وطريقة تأليفه لرسالة " التوابع والزوابع " قائلا :
" ولعل ابن شهيد كان يقلد أبا العلاء في ذلك ، لأنـــــــه أدرك عصره ، ولأن شهرة أبي العلاء كانت ذائعة في المشـــــــرق والمغرب " .

والحقيقة أن المرجوم أحمد ضيف لم يصدر رأيه هذا بعد تحقيق دقيق للقضية ، فهو يقول : " ولعل ابن شهيد كان يقلد أبا العلاء " فهو لا يجزم بتقليد ابن شهيد لأبي العلاء ... ثم كونه أدرك عصره يجعلهما متساويين في الاحتمال من غير ترجيح ، ولعل مادفع الدكتور ضيف الى هذا الرأي هو عظم مكانة أبي العلاء في نفسه ... غير أن هذا لم يمنع الاستاذ بطرس البستاني أن يذهب الى رأي مخالف تماما بعد أن ثبت له بعد الدرس والتمحيص ، سبق ابن شهيد في تأليف " التوابع " أبا العلاء في تأليف " الغفران " ولذا يقول " فغير مستنكر أن يكون أبو العلاء قد اطلع على هذه الرسالة " فنيهت فيه فكرة الرحلة الى ماوراء الحس ... ثم جاءت رسالة ابن القارح تدعوه الى تصنيفها ، ولا يدفع هذا الرأي بعد الشقة بين قرطبة والمعرة ، أو قلة انتشار الادب الاندلسي

فى الشرق فان ابن شهيد لم يكن من المغمورين عند المشاركة على
تعصهم لأديهم ، واستخفافهم بأدب المغاربة - ثم ان دعوى التقليد
التي ذكرها المرحوم أحمد ضيف قضية لايعول عليها، ولاتثبت
للتحقيق العلمى الدقيق - وقد روى أبو منصور الثعالبي فى يتيمة
الدهر طائفة صالحة من كلامه ٠٠٠ والثعالبي ولد سنة ٣٥٠ أى قبل
ولادة أبى عامر باثنتين وثلاثين سنة، وتوفى سنة ٤٢٩هـ أى بعد
ثلاث سنوات من وفاة أبى عامر، فهو معاصر له ولأبى العلاء .
وقد صنف كتابه يتيمة الدهر، فى صيغته الاولى سنة ٣٨٤هـ والعمر
فى اقباله ، والشباب بمائه كما يقول فى مقدمته . ثم أعاد النظر
فيه فلم ترض نفسه عنه فاستأنف العمل ، وما زال يبني وينقض ، ويمحو
ويثبت ، حتى أخرج نسخته الاخيرة من بين النسخ الكثيرة ، ولم يتم له
هذا الامر الا بعد ما أدرك عصر السن والحنكة ، فتسنى له أن يدون من
آثار ابن شهيد بعض مداخله فى يحيى المعتلى سنة ٤١٢هـ وشيئا من
رثائه لأبى عبيدة بن مالك وزير المستظهر سنة ٤١٤هـ ، وأوصافه
للحلوان والبرغوث الثعلب وهى واردة فى رسالة التوايح والزوايح
وإذا كان أبو عامر قد أنشأها قبل تصنيفه رسالته هذه ، فإن
وصفه للما ، ورواه الثعالبي ، هو من طلب التوايح والزوايح كما
نرجح ، وضعه خصوصا لينافس به صاحب بديع الزمان ، فتكون هـ
الرسالة قد هاجرت الى المشرق ، فى حياة مؤلفها مع غيرها من
اشاره ، واخذ منها ابو منصور الى يتيمة . فمن المعقول أن يقف

عليها أبو العلاء المعري فيتأثر بها ، وهو على ما نعرفه ، مغرى بالقراءة كلف بالدرس والاطلاع . . . " ويواصل بطرس البستاني حديثه قائلاً : (ولكن لا نزع من أنه انسحب على أذيالها في رسالة الغفران فان الشبه الذي نجده بين الرسالتين لا يحرم أبا العلاء حق التأليف ، وكلتا هما تسير في طريق معبد لها ، وترمى الى هدف مخصوص بها " . (٤١)

ومن الذين حاولوا تحقيق (٤٢) تاريخ الرسالتين الدكتور زكي مبارك عندما اطلع على رأى المرحوم احمد صيف واستناده الى شهرة أبي العلاء وتقليد الاندلسيين للمشاركة وخلوصه الى أن عصم ابن شهيد يندرج في عصر أبي العلاء اذا فهو مقلد له . . . ولكن الدكتور مبارك لم يسلم بذلك حيث قال : " وقد رأينا أن نحقق هذه المسألة فبحسنا طويلاً عن التاريخ الذي وضعت فيه رسالة التوابع والزواج فلم نهتد ، ولكن رأينا في الرسالة نفسها ما يدل على أن ابن شهيد وضعها وهو كهل . فقد جاء على لسانه ما يشير الى أن من اخوانه " من بلغ الامارة وانتهى الى الوزارة " وألقى اليه على لسان بغلة جنية هذا السؤال : " ما أبقبت الايام منك ؟ " .

(٤١) انظر مقدمة الرسالة لبطرس البستاني ص ٧٤ - ٧٥ .

(٤٢) ينظر في ذلك أيضا مادونته عائشة بنت الشاطيء في " رسالسة

الغفران " حول تاريخ الرسالتين ص ٣٠٠ وما بعدها ط ١ دار

المعارف بمصر . وانظر تيارات النقد في الاندلس في القرن

الخامس ط ، مؤسسة الرسالة ص ٥٧٨ .

وانظر الادب الاندلسي بين التأثير والتأثير رجب البيوم

طبعة جامعة الامام محمد بن سعود ص ١٧٧ وما بعدها .

وفى هذا السؤال اشارة الى أنه قد ودع نضارة الشباب ٠٠٠ ولكن لاينبغى أن تخدمنا هذه التعابيز، فهناك نص يدل على أنه وضعها وهو شاب، فقد حدثنا فى (التوايح والزوايح) أن الجن قالوا له : " قد بلغنا أنك لاتجارى فى أبناء جنسك، ولايمل من الطعن عليك، والاعتراض لك، فمن أشدهم عليك ؟ ٠٠٠ " وأنه أجاب " جـساران دارهما صقب، وثالث نابتة نوب، فامتطى ظهر النوى، وألقت بسنه فى سرقسطة العماء، انتفى على لسانه عند المستعين، وساعدته زرافة من الحاسدين ٠٠٠ الخ " .

وهذا الكلام يشعر بأنه كتب هذه الرسالة فى عهد المستعين والمستعين هذا هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر الاموى، الذى بويغ بقرطبة منتصف ربيع الاول سنة ٤٠٠هـ بعد مقتل هشام بن سليمان، وحدثت له البيعة سنة ٤٠٣هـ ثم مات مقتولا سنة ٤٠٧هـ ٠٠٠ ومن هنا يمكن أن نرجح أن رسالة " التوايح والزوايح " كتبت بين سنة ٤٠٣ سنة ٤٠٧هـ .

هذا جانب من المسألة، أما الجانب الآخر فهو التاريخ الذى وضعت فيه رسالة الغفران . وفيه يقول :

" وقد بحثنا طويلا فى التراجم عن التاريخ الذى كتب فيه المعرى رسالة الغفران فلم نهتد، ولكننا وصلنا بعد التأمل السسى تقريب التاريخ، ذلك أن رسالة الغفران جواب على رسالة ابن القارح وقد عدنا الى رسالة ابن القارح فدرسناها فقرة فقرة حتى

انتهينا الى قوله : (وكيف أشكو من قاتنى وعالنى نيفا وسبعين سنة) فعرفنا أنه وضعها بعد أن جاوز السبعين، ثم نظرنا فوجدناه ولد سنة ٣٥١هـ فاذا أضفنا الى هذا الرقم (٧٠) وجدناه كتب رسالته حوالى سنة ٤٢٢هـ ، واذا قدرنا أن ابن القارح قال نيفا وسبعين وللنيفة دلالة ، وقدرنا أن ابا العلاء اعتذر عن تأخير الاجابة بأنه مستطيع بغيره كان من الممكن أن تكون رسالة الغفران كتبت بين سنة ٢٢ و ٢٤ .

ونتيجة هذا التحقيق أن رسالة الغفران كتبت بعد رسالسة التوابع والزوابع بنحو عشرين سنة ، وبذلك يتبين أن الدكتور ضيف لم يكن مصيبا حين افترض أن ابن شهيد قلد ابا العلاء ، وصار من المرجح أن يكون أبو العلاء هو الذى قلد ابن شهيد ، وكما كان الاندلسيون يقلدون أهل المشرق فى كل شيء ، فان أهل المشرق كانوا يحرصون أشد الحرص على متابعة الحركة الادبية فى الاندلس ، بدليل أن رسائل ابن شهيد ذاعت فى الشرق ودونها المؤلفون الشرقيون قبل أن يموت وقبل أن توضع رسالة الغفران ... " (٤٣) ذلك ما وصل اليه بحث الدكتور زكى مبارك للقضية .

أما الدكتور أحمد هيكل فيرى أن هذا الرأى " ليس دقيقا ... فقد اشتملت " التوابع والزوابع " على نصوص أخرى يرجع تاريخها

(٤٣) انظر زكى مبارك فى النشر الفنى ٣١٨/١ وما بعدها .

الى ما بعد هذا التاريخ . من ذلك قصيدة ابن شهيد التي قالها
وهوفى سجن الحموديين ، فالمرجح أن يكون قد قال هذه القصيدة
أيام القاسم بن حمود الذي يغلب أن يكون قد سجن ابن شهيد
لصلته بمنافس القاسم ، وهو يحيى بن حمود ، وقد كانت خلافة
القاسم سنة ٤١٣هـ ، وفي الرسالة كذلك ما يؤخر زمن تأليفها عن
هذا التاريخ . فقد اشتملت على بعض رثاء ابن شهيد لأبي عبيدة
حسان بن مالك ، وكان هذا المرثى ضمن وزراء المستظهر سنة
٥١٥هـ " ثم يقول : " على أننا لانستطيع أن نجعله بعد ذلك
الابزمن يسير لاننا لانجد في الرسالة نصوما ترجع الى تاريخ متأخر
عن هذا التاريخ ، ولان في " التوايح والزوايح " أبياتا يمدح بهسا
ابن شهيد صديقه أبا محمد بن حزم ويذكر شافعيته . ومعروف
أن ابن حزم انما كان شافعييا في تلك الفترة أو بعدها بقليل
وأنه تحول بعد ذلك الى الظاهرية ، وعلى هذا يمكن القول بأن
ابن شهيد قد أتم رسالته سنة ٤١٥هـ . أما رسالة الغفران ، فمعروف
أنها كتبت ردا على رسالة ابن القارح ، وقد ذكر ابن القارح في
رسالته ما يفيد أنه كتبها حين كان عمره نيفا وسبعين فاذا عرفنا
أن مولد ابن القارح كان سنة ٢٥١هـ واذا أضفنا الى ذلك سبعين فقط
كانت النتيجة أن رسالة ابن القارح قد كتبت حوالي سنة ٤٢١هـ ثم
كانت نتيجة النتيجة أن رسالة الغفران التي هي رد على الرسالة
السابقة قد كتبت بعد ذلك ، فاذا وضعنا في حسابنا ما يستفاد

من كلام ابن القارح من أنه فوق السبعين وما اعتذر به أبو العلاء من أنه آخر الرد لأنه مستطيع بغيره ، كان من المعقول أن تكتب رسالة الغفران قد كتبت حوالى سنة ٤٢٤ هـ ، وهذا ما يرجحه نص ، فسمى رسالة الغفران ، اذ يقول أبو العلاء فيمن يتحدثون عن الغيبـــــــــــــــــ "ولابجوز أن يخبر مخبر منذ مائة سنة أن أمير حلب حرسها الله فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة ، اسمه فلان بن فلان ٠٠٠" وعلى هذا يتحقق أن رسالة ابن شهيد سبقت رسالة أبى العلاء بنحو تسعة أعوام برغم أن ابن شهيد أدرك عصر أبى العلاء ٠٠٠" . (٤٤)

وذهب المستشرق بروكلمن الرأى قريب من رأى زكى مبارك من أن التوابع والزوابع كتبت قبل الغفران بعشرين سنة ، ولكن بطرس البستانى خطأه فى ذلك لأنه لم يدل على شيء اعتمد عليه فى ذلك ٠٠٠ وذهب الى أن التوابع والزوابع تقدمت "الغفران" بتسع سنوات أو أقل فقد كتبها أبو عامر فى قوة شبابه ، بعد ما نيف على الثلاثين ، واستند فى ذلك الى بعض الاشارات التى وردت فى الرسالة نحو قوله : " انه أوتى الحكم صبيا ٠٠" وقوله : " ان امتد به طلق العمر فلا بد أن ينفث بدرر ٠٠" ثم حديثه مع بغلة أبى عيسى عندما قالت له : " ما أبقت الايام منك ؟ قلت كما ترين . قالـــــــــ شب عمرو عن الطوق ٠٠٠" ويعلق على ذلك الاستاذ بطرس قائلًا : " فهذه

الإشارات إلى صباه أو إلى شبابه أو إلى مجاوزته سن الحداش—
لاتأذن لنا بأن نجعل رسالة " التوايح والزوايح " وليدة أو آخر
حياته ، لأنها من دلائل فتوته ... " (٤٥)

ومن مجمل هذه الآراء نخلص إلى تقديم رسالة ابن شهيد على
رسالة أبي العلاء ... ولكن مامدى التشابه بين الرسالتين ؟
في الواقع ان التشابه بين الرسالتين كبير ، وان اختلفت
طريقة كل منهما ... فالموضوع واحد ، وهو عرض المشاكل الأدبية—
والعقلية بطريقة قصصية ... والخلاف في جوهر الموضوع يرجع إلى
روح الكاتبين ... (٤٦) فطريق أبي عامر قادته إلى وادي الجن
وطريق المعري قادته إلى الآخرة وقد توافقا في الطواف على
الشعراء ... وعقد مجالس الأدب والمناظرة والنقد ... (٤٧) فالمسرح
واحد تقريبا لدى الرجلين ، والممثلون عند ابن شهيد جن يسخرون
وعند أبي العلاء انس تسخرهم الملائكة والشياطين ... وهكذا يلتقى
الرجلان ... ويتفقان في التعريض بمن عاصرهما ، وشرح ما أخذنا على
المتقدمين من أساطين العقل ... (٤٨)

(٤٥) البستاني ص ٧٤ .

(٤٦) زكى مبارك ص ٣٢٠ .

(٤٧) البستاني ص ٧٥ .

(٤٨) زكى مبارك ص ٣٢١ .

وقد " وجه المعرى رسالته الى رجل يعرف بابن القارح ، كما
وجه ابن شهيد رسالته الى رجل يدعى أبابكر ، الا أن أبابكر
العلاء جعل صاحبه بطلا لقصته ، تدور عليه حوادثها ، ولم يذكر
أبو عامر صاحبه الا في مقدمة رسالته ، ثم سكت عنه ، وأقام من
شخصه بطلا للقصة يتعهد حوادثها بنفسه ، مستمحا تابعه زهير بن
نمير دون أن يوليه عملا يستحق الذكر ، غير التعريف بالاشخاص
والاماكن ، وبني موضوعه على ما عرف وشاهد من مجالس الادب والمناظرة
في زمانه ، وقبل زمانه ، وعلى ما بلغ اليه من عقيدة العرب
الاقدمين ، وهي أن لكل شاعر رثيا من الجان يحبه ويتبعه ويوحس
اليه . غير أنه لم يوفق في تصوير عالم الجن ، وغرائب ارضه
وخلقه ، وما اشتهر عنهم من القدرة على الحولة والاتيــــــــــــــــان
بالخوارق التي يعجز عنها الاناس ، فما نرى من احوالهم العجيبة
اللمحات ضئيلة لا يغنى بها أدب الخرافات والاساطير ، كما في كلامه
على جواد زهير بن نمير ، وكيف طار بهما الى ارض التوابح او في
حديثه عن تابع ابي تمام " فانفلق ماء العين عن وجه فتى كفلقة
القمر ثم اشتق الهواء ما عدا الينا من قعرها ، حتى استوى معنا " .
أو قوله في زبدة الحقب صاحب بديع الزمان " فلما انتهيت
في الصفة ضرب زبدة الحقب الارض برجله فانفجرت له عن مـــــــــــــــــل
برهوت ، وتدهدى اليها ، واجتمعت عليه وغابت عينه . . . ومـــــــــــــــــل
ذلك اخبار حيوانات الجن في اجتماعها واحاديثها ، فعالم ابن شهيد

انسى ، وان اضافه الى جنة عبقر، وتوايح الشعراء والكتاب جديرة
 بأن تكون مثلاً لأصحابها ... لان صفاتهم هي نفس صفات أصحابها .
 واذا كان تصوير ابن شهيد لعالم الجن ينقصه شيء —————
 البراعة ... غير أنه عوض ذلك في " احسان تمثيل الادباء فــــى
 اشخاص توابعهم وهذا شيء يحمد عليه ... ونتبين ذلك من خــــلال
 توقيره لبعض الشعراء والكتاب وجرأته على بعضهم الآخر ، فبينما
 نراه يلقي عتية بن نوفل صاحب امرىء القيس ، فيتلكأ عن الانشاد
 فى حضرة ، ويهيم بالحيفة ... ثم ينظر الى حسين الرنان فتدركه
 مهابته ، ويأخذ فى تعظيمه لمكانته من الشعر والعلم ، نجســــده
 يتعرض لابی الطبع صاحب البحترى ، فيباريه فى القريض ، فيسود وجهه
 ويكر راجعا الى ناورده دون أن يسلم ، وينافس زبدة الحقب صاحب
 البديع فى وصف الماء فيشق الارض برجله فتبتلعه من شدة الخجــــل
 وهو فى الغالب يستطيل على معاصريه .

أما أهل الجاهلية فلهم فى نفسه حرمة ووقار ...

وأما أبو العلاء المعرى فإنه بنى موضوع رسالته الغفران
 على ما ذكر " من وصف الجنة والنار وموقف الحساب فى القــــرآن
 الكريم والحديث النبوى الشريف وتصانيف الزهاد من أمثال كتــــساب
 التوهم للمحاسبى ، وما جاء فى الشروح على خبر المعراج ... فكان
 فى تصوير عالم الآخرة أبرع من أبى عامر فى تصوير عالم الجن
 وان الخيال عند هذا وذاك ينساق الى الاتباع أكثر منه الــــى

الابداع ، فظهرت الجنة بأنهارها وأشجارها ، وطعامها وشرابها ... الخ
وموقف الحشر شديد الهول والظمأ ، كثير الزحام ، لا يدخل الجنة
الا من غفر له ، وختم عليه بالتوبة ... وأعطى جواز المرور فيعبر
الصراط الى جنات النعيم " .

" ويرى الناظر من المطلع الى النار ابليس اللعين يضطرب
في الاغلال والسلاسل ، ومقامع الحديد تأخذه من أيدي الزبانية .
وهذا صخر أخو الخنساء كالجبل الشامخ تضطرب النار في
رأسه كأنه علم في رأسه نار ، وذاك بشار قد أعطى عينين لينظر الى
مانزل به من النكال ، فاذا أغمضهما حتى لا ينظر ، فتحهما الزبانية
بكلاليب من نار ، وهناك عنقرة يتلذذ في السعير ، والاخلط ، يتضسور
ويزفر زفرة تعجب لها الزبانية .

واقام ابو العلاء في الفردوس المآدب الانيقة ... على ماهو
مألوف في الحياة الدنيا ، مع استفادته من أوصاف الكتب الدينية
أو زينه بخياله وفنه .

ويلتقى مع أبي عامر في عقد حلقات الادب والمذاكرة ... فقد
طوف صاحبه ابن القارح على الشعراء ، وعلماء اللغة ، ينظر في
شؤونهم وأحوالهم ، ويسألهم بم غفر لهم ؟ ويستفسرهم أمورا تختص
بهم أو يوقع بينهم المشاحة ، والمناظرة على مثل ماتع بين الادباء
في الدار العاجلة .

. . وفي النقد يشدد أبو العلاء في الغمز على المحدثين أكثسر

منه على الاقدمين فنقد بشارا، ونقد أبا على الفارسي، وأنزل سخطه

على الرجائين وفي مقدمتهم رؤية بن العجاج " .

وللجن في رسالة الغفران موضع باسم جنة العفاريت ليس عليها

النور الشعشعاني . . . وانما هي أدغال وغماليل . . .

ويذكر أبو العلاء (أشياء من خصائص الجن كرجم العفاريست

بالشهب المحرقة، مما لم يعن به أبو عامر في رسالته . . . الا أنه

لم يرفع شأن التوابع مثله، بل عدهم أطيافا من الجن ينفثون

الى الانس القليل من الشعر، والاوزان " وهل يعرف البشر من التنظيم

الاكما تعرف البقر من علم الهيئة، ومساحة الارض؟ " .

والحيوان عند المعري عاقل ناطق كما هو عند ابن شهيد، غير

أنه يستطيع التحول متى شاء . . . وهذا لم تستطعه بغلة أبي عيسى

في التوابع والزوابع مع ما فيها من الشوق الى أبي عامر . . .

وكلاهما ذكر الاوز في رسالته، فأما اوزة ابن شهيد فانهما

أديبة نحوية تبحث في الاصول والفروع، ولكنها بلهاء حمقاء

كما هو معروف عن بنات جنسها، وأما اوزة المعري فقد نفقت عنها

بله الاوز، وتمتاز بقدرتها على التحول .

والسخر في " الغفران " من أخص ميزاتهما الادبية، وهو سخر

هاديء ناعم شديد النفاذ مستمد؛ من تشاؤمه المظلم . . .

ولاتخلو رسالة " التوابع والزوابع " من السخر، فابن شهيد

في تعرضه للشعراء، والادباء، أخرج الكلام عليهم مخرج الهزل

والتهكم ، الا أن سخريته تتسم بالحدة والخشونة ، والاقذاع ... كقوله
(والله ان للروث لرائحة كريهة ، وقد كان أنف الناقة أجـدر
أن يحكم في الشعر ٠٠٠) (٤٩)

وأخيرا فان للتوابع والزوابع لغة رشيقة طلية ، موشاة
أنيقة غنية بالأوصاف والصور والألوان ، بخلاف الغفران ، فانهما
تكاد تفتقر الى الوش والتصوير الا ما اقتبس صاحبها من
القرآن الكريم ، أو أخذ عن سابقه .

وهذا أمر طبيعي في كاتب ضير طفء النور في عينيه عمن
الصورة واللون ، قبل سن الإدراك والتمييز ، فأبو عامر يسمو على
المعري برونق الديباجة ، ودقة الوصف ، ولكنه ينحدر عنه بعمسق
الفكرة ، ولطافة السخر ، وقوة الجاذبية ، وسحر الاستهوا ، وله فضل
المتقدم على كل حال . (٥٠)

وقبل السبق لابي عامر ، لايعنى أنه لم يكن يوجد شيء من ذلك
في أي أدب قبل أدبنا العربي ٠٠٠ كلا ٠٠٠ بل سبق الى ذلك فمسي
الادب اليوناني القديم : الشاعر الاغريقي " أرسطوفان " فمسي

(٤٩) انظر البستاني ص ٧٤ - ٨٣ .

وانظر : احمد هيكل ص ٣٨١ - ٣٨٥ .

وانظر : النشر الفني - زكي مبارك ١/٣١٨ وما بعدها .

(٥٠) انظر البستاني ص ٨٣ .

مسرحيته (الضفادع) بأزمان متطاولة ... ولكن من السخف الشديد
أن يعقد كاتب أو يحاول أدنى محاولة لمقارنة توحى بملء تأشير
أو تأثر بين أديب الاغريق وأديبي العرب أبي عامر وأبي العلاء
لانه لا يوجد وثائق تدل على أن العرب ترجموا شعر الاغريق .

إذا فمغامرة ابن شهيد تعتبر لونا جديدا من الوان القصص
العربي ، بل تجربة غير مسبوقه فى الادب العربى بعامة ... وهى
الطريق لمن ولج هذا الباب من أدباء المشرق والمغرب كأسس
العلاء فى " غفرانه " ودانتى فى " الكوميديا الالهية " . (٤٨)

وأما بالنسبة لما ذكر من أن أصل هذا النوع من القصص يرجع
الى خبر الاسراء والمعراج (٤٩) فليس صحيحا لأنه لا ينطبق الاعلى
غفران أبي العلاء ومن تأثر به ، أما " التوابع والزوابع " فانهسا
ترجع كما أسلفنا الى اسطورة وادى عبقر .

(٤٨) انظر احمد هيكل ص ٢٨٥ .

(٤٩) انظر احمد هيكل ص ٢٨٥ .

الفصل الثالث

قيم نقدية عند ابن شهيد

لأبي عامر آراء نقدية صادرة عن وعي ورأي تجريبي لا رأى نظري وقد دارت ملاحظاته هذه حول مشاكل كان له فيها فلع ، وناقش أموراً أخذها على غيره وسجد في مختلف آرائه ما يكون نظرة شاملة متكاملة ، وأحكاماً على مدارس واتجاهات في الشعر والنثر . وعلى نفر من الشعراء والكتاب من معاصريه وأهل بلده (١) وهذه الآراء تدل على فكره الشاقب وعلمه الواسع في طرق النقد الأدبي وكأنها آراء مبنية على نظر عميق أو دراسة فنية علمية وكما يقول أحمد ضيف " ان آراء ابن شهيد في النقد اكبر ميزة من شعره ونثره ، لأنها تدل على سعة اطلاعه ، وابتكاره الخالص من كل تقليد فقد انفرد بين نقاد الادب العربي في ذلك " (٢) ويؤيد ذلك مادونه " جارثيا جومث " عن ابن شهيد عندما قال : " أما ابن شهيد الشاعر الناقد فهو المفكر العقلي الخالص ، الذي لا يتخذ بفغل منزلته وأمله النبيل من ميدان الادب حرفة للتكسب ، وإنما يجد في الادب فنا خالها للتعبير عن طبيعته نفسه " (٣)

وابن شهيد صاحب نظرية التجديد الدائم في الادب (٤) فهو

-
- (١) تاريخ النقد الأدبي في الاندلس ، محمد رضوان الداية ، ص ٢٩٦ .
 - (٢) بلاغة العرب في الاندلس ، ص ٥٤ .
 - (٣) الشعر الاندلسي لجارثيا جومث ، ص ٢٩ .
 - (٤) ديوان ابن شهيد ، تحقيق يعقوب زكي ط/١ ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ،

يقول : " وكما أن لكل مقام مقال، فكذلك لكل عصر بيان، ولكل دهر كلام، ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة، وضرب من البلاغة لا يوافقها غيره، ولا تهش لسواه، وكما أن للدنيا دولا فكذلك للكلام نقل وتغاير فى العادة، ألا ترى أن الزمان لمدار كيف أحال بعض الرسم الأول فى هذا الفن الى طريقة عبد الحميد وابن المقفع وسهل بن هارون، وغيرهم من أهل البيان ؟ (٥) . وكانه يشير هنا الى أثر البيئة فى الادب . . . ويرى أن " اقامة البيان لا يقوم بها حفظ كثير من الغريب، واستيفاء مسائل النحو، بل بالطبع مع وزنه من هذين، ومقدار طبع الانسان إنما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه، فمن كانت نفسه من أصل تركيبه مستولية على جسمه كان مطبوعا روحانيا يطلع صور الكلام، والمعانى فى أجمل هيئاتها . . . ومن كان جسمه مستوليا على نفسه من أصل تركيبه والغالب عليه جسمه، كان ما يطلع فى تلك الصور ناقصا عن الدرجة الأولى فى التمام والكمال وحسن الرونق . . . فمن كانت نفس المستولية على جسمه فقد تأنى منه فى حسن النظام صور رائعة

-
- ديوان ابن شهيد، تحقيق يعقوب زكى ص ٦٦ .
 - وانظر الادب الأندلسى - احمد هيكل ص ٣٩٣ .
 - وانظر ابن شهيد حياته وادبه، د. حازم خضر ص ٢٦٩ .
 - وانظر ملامح التجديد فى النثر الأندلسى - د. السيوفى ص ٩٦، ٩٧ .

من الكلام تملأ القلوب... وتشغف النفوس، فاذا فتشت لحسنها أصلاً
لم تجده، ولجمال تركيبها وجهها لم تعرفه، وهذا هو الغريب
أن يتركب الحسن من غير الحسن... (٦)

وكان يرى أن لتركيب الاعضاء كما يقتضى علم الفراسة تأثير في
صلاح الآلة الروحانية، وفسادها، ففساد الآلات الظاهرة في الجسم
يعين على فساد الآلة القابلة الروحانية والخادمة لآلات الفهم
منها: فرطحة الرأس وتسفيطه، ورتوء القمحدوة، والتواء الشدق
وخزر العين، وغلظ الانف، وانزواء الأرنبة... (٧) ورأينا كيف طبق
ذلك عندما سخر من الافليلي، وقال: "ليست مشيته مشية اديب ولاوجهه
وجه أريب ولاجلسته جلسة عالم، ولأنفه أنف كاتب، ولانغمته نغممة
شاعر...". (٨)

ويلاحظ على هذه النظرات النقدية أنها تتصف بشيء من المجازفة
ولايمكن الاعتماد عليها ولكنه وضع هذه الآراء كخطوة أولى في النقد
الادبي وقد علق على ذلك الاستاذ احمد ضيف بقوله: "هذا شيء طريف

(٦) الذخيرة، ق/١، م ١ ص ٢٣١، وانظر حازم خضر - ابن شهيد
حياته وادبه ص ٢٦٩. وانظر الادب الاندلسي - احمد هيكل
ص ٣٩٠ - ٣٩١، وانظر تاريخ النقد الادبي في الاندلس - محمد
رضوان الداية ص ٢٩٦، ٢٩٧.

(٧) الذخيرة، ق/١، م ١ ص ٢٤٠، وانظر البستاني ص ٥٧، واحمد
هيكل ص ٣٩٤.

(٨) الذخيرة، ق/١، م/١، ص ٢٤٢، وانظر البستاني ص ٥٧.

فى النقد الادبى عند العرب، وكأنه يشير الى مذهب النقاد الذين يأخذون صور الكتاب من كتاباتهم . ويقولون ان البلاغة من نشـر ونظم تدل على نفوس البلغاء وفى هذا الكلام اشارة الى مذهب علمى فى النقد، وهو أن للاعضاء ووظائفها اتصالا بالادراك، وذلك ان كان ليس مبنيا على تجارب علمية أو على دراسة فنية فهى أفكـار جالت فى نفسه تدل على قوة الفكر لديه، وهو يميل الى أن الافتنان فى الكلام أو البلاغة فى النظم والنثر أو مايسمونه بالبلاغـة نوع من الالهام أو شىء من الغيبيات، أو سر من أسرار النفسوس وهذه الآراء هى أصول مذاهب النقد الادبى ... " (٩)

فابن شهيد يرى أن البيان يحصل من جراءة عنصرين متلازمين :

الطبع : ويعنى به ما فطر عليه المرء من موهبة ومقدرة ...

والآلة : ويقصد بها محصلة تعليم المرء وما ينمى به موهبته ...

وكان يرى أن الاديـب يجب أن يكون فى شخصيته وهيئته بحكم عملـه

واتصاله بالآخرين، نظيفا حسن المنظر، حتى لا ينفرد منه، ويسـب

الى أدبه فيقول : " ولذلك استحسنوا من الكاتب أن يكون طيبـ

الرائحة، سليم آلات الحواس، نقى الثوب، ولا يكون وسخ الضرس، منقلب

الشفة، مكحل الاظفور، وضر الطوق ... " (١٠)

(٩) انظر : بلاغة العرب فى الاندلس - احمد ضيف ص ٥٥ .

(١٠) الذخيرة قام ١م ص ٢٠٥، ٢٠٦، وانظر الادب الاندلسى - احمد هيكل

ولم يحفل أبو عامر بالقراءة كثيرا، فقد كان يعتمد على
 غرب ذاكرته، وتوقد ذهنه، وذكاء قلبه فيكتفى بيسير المطالعة
 وقليل النظر، وكان دائما يسخر بالمعلمين والنحاة لانهم في نظره
 حساد الادباء لا يحسنون الكتابة والشعر، لضعف روحانيتهم وسوء
 فهمهم، وغلاظة اكبادهم، فكان يقول: " سقطت اليهم كتب فسي
 البديع والنقد، فهموا منها ما يفهمه القرد اليماني من الرقص على
 الايقاع، والزمر على الالمان، فهم يقدمون غرائبها، فيما يجرى عندهم
 تصريف من لم يرزق آلة الفهم... " (١١) وقد كثرت سخرية أبي عامر
 بالنحاة في هذه الرسالة اذ جعل تابعة أحد شيوخهم اوزة لما عسرف
 عن الاوز من الحمق والسخافة، ودخل معها في جدال عنيف اذ تقول له:
 " ما الذي تحسن؟ فيجيبها: قائلًا: ارتجال شعر، واقتضاب
 خطبة، قالت: ليس عن هذا أسألك؟ فيقول أبو عامر: ولاغير هذا
 أجابك، قالت: حكم الجواب أن يقع على أصل السؤال، وأنا انما
 أردت احسان النحو والغريب اللذين هما أصل الكلام، ومادة البيان " .
 فيرد عليها قائلًا: فهل تعرفين في الخلائق أحق من اوزة؟ قالت: لا
 قال: فتطلبى عقل التجربة اذ لا سبيل الى عقل الطبيعة، فـ

(١١) الذخيرة، ق/١، م/١، ص ٢٣٩ .

• وانظر البستاني ص ٥٥

• وانظر أحمد ضيف ص ٥٨

أحرزت منه نصيبا وبوت منه بحظ، فحينئذ ناظرى فى الادب... " (١٢)
ولعل سخريته هذه من النحاة نابعة من عدم فهمهم لادبه فهم
كما يقول: " لاكقوم عندنا حظهم من الفهم والحفظ، ومن العلم الذكر
وهذا حظ القمص، وأعلى منازل النواح، فترى الممخرق منهم ————— إذ ترى
عليه الشعر، يزوى أنفه، ويكسر طرفه، وإذا عرضت عليه الخطبة يميل شقه
ويلوى شذقه، فان تناولها لم يبق ملحمة الاحشدها، ولا أبقى عضة فجأة
الا جلبها، وأصل قلة هذا الشأن وعدم البيان، فساد الأزمنة
ونبو الامكنة... انا طلبنا البيان فأدركناه بكل لسان
والتمسنا الابداع فأثبتنا كل معجب... " (١٣)

وكان يرى أن من الواجب على الاديب أن يراعى تناسب الألفاظ
فى أسلوبه وتوافقها حيث يقول: " ان للحروب أنسابا وقرابات
تبدو فى الكلام، فاذا جاور النسب، النسب، ومازج القريب
القريب، طابت الالفة وحسنت الصحة وإذا ركبت صور الكلام من تلك
حسنت المناظر، وطابت المخاير... وللعدوية اذا طلبت، وللفصاحة
إذا التمت قواني من الكلام من طلب بها أدرك، ومن تنكب عنها
قصر... وكما تختار ملبح اللفظ، ورشيق الكلام، فكذلك يجيب أن

(١٢) انظر رسالة التوايح والزوايح، ت البستانى ص ٢٠٧.

(١٣) الذخيرة، ق/١، م/١، ص ٢١٢، ٢١٣.

وانظر البستانى ص ٥٦، ٥٥.

وانظر أحمد هيكل ص ٣٩٢.

تختار مليح النحو، وفصيح الغريب، وتهرب عن قبيحه . . . " (١٤)

ويبدو أن أبا عامر كان شديد الاهتمام بالنقد فنراه يوقسف صاحب الجاحظ وصاحب عبد الحميد للحكم بين كلامين . . . ويدخل معهم في حوار ينتهي بشهادة الجاحظ له بأنه بارع في الصناعتين، وذلك في قوله له : " انك لخطيب، وحائك للكلام مجيد لولا أنك مغـرى بالسجع فكلامك نظم لانشر . . . " فاعتذر اليه أبو عامر بأن ذوق عصره اقتضى ذلك، ولا بد من مجاراتهم فيقول : " ليس هذا أعزك اللـه منى جهلا بأمر السجع، ومافى المماثلة والمقابلة من فضل، ولكنى عدمت ببلدى فرسان الكلام، وذهيت بغباوة أهل الزمان، وبالحرأ أن أحركهم بالازدواج . . . " . (١٥)

ويتهم كلامهم عندما سأله الجنى عنه " بأنه ليس لسبويه فيه عمل، ولالفرأهيدى اليه طريق، ولاللبيان عليه سمة، انما هى لكنة أعجمية، يؤدون بها المعانى تأدية المجوس والنبط " فيشتد تأثر صاحب الجاحظ من ذلك، ويقول انا لله ذهبت العرب وكلامهم

(١٤) الذخيرة، ق/١، م/١، ص ٢٣٣، ٢٣٤ .

وانظر البستانى ص ١٠٦ .

وانظر أحمد هيكل ص ٣٩٢ .

(١٥) انظر تاريخ النقد الادنلسى . د . رضوان الداية ص ٣٠٢ .

ارمهم يا هذا بسج الكهان ، فعسى أن ينفعك عندهم ، ويظير لــــك
ذكرا فيهم ... " (١٦)

وكان أبو عامر يرى أن الموهبة من لوازم الابداع الفني
ولذلك رد على أنف الناقاة عندما قال انه أبو البيان ، وانه تلقى
ذلك عن المؤدبين ، فرد عليه قائلا : " ليس هو من شأنهم ، انما
هو من تعليم الله حيث قال : " الرحمن ، علم القرآن ، خلــــق
الانسان ، علمه البيان (١٧) ليس من شعر يفسر ولا أرض تكسر ... " (١٨)
ولذلك يعول كثيرا على هذه الموهبة لانها تجعل الاديب يؤشر
بنفسه على أى معنى يتناوله ، ومقياس الجودة فى نظره أن (تتناول
الوضع فترفعه ، والرفع فتضعه ، والقبيح فتحسنه ... " (١٩)

ولابن شهيد رأى فى السرقات الادبية : فحواه أن من يريــــد
أن يأخذ عن غيره معنى شديد الروعة والحسن فعليه أن يلتمس لــــه
عروضا غير العروض الذى أخذ به الاول ، وقد أجرى ذلك على لسان
شيخ من الجن يعلم ابنه صناعة الشعر فيقول له : " اذا اعتمدت معنى

(١٦) انظر تاريخ النقد الاندلسى . د . د . رضوان الداية ص ٣٠٢ .

وانظر ابن شهيد - د . حازم خضر ص ٢٧٠ .

(١٧) سورة الرحمن : آية ١ - ٤

(١٨) انظر تاريخ النقد الاندلسى . د . الداية . وكذلك ابن شهيد

حازم خضر ص ٢٧٠ .

(١٩) المصادر السابقة نفس الصفحات .

قد سبقك اليه غيرك فأحسن تركيبه ، وأرق حاشيته ، فاضرب عنه
جملة ، وان لم يكن بد ففى العروض التى تقدم اليها ذلك المحسن
لتنشط طبيعتك ، وتقوى منتك ... " (٢٠)

ثم يعرض أبو عامر بعد ذلك لقضية اللفظ والمعنى : من خلال
نصائح وجهها الى الاديب الذى يريد أن يأتى بما يذيع اسمه وينشر
ذكره حيث ينصح بالبحث عن اللفظ الراقى ، والمعنى الرفيع بحيث
يحصل من اجتماعهما البيان الذى طالما أشار اليه ، ويحذر من
تزييق اللفظ وبهرجته بما يذهب بأصالته ونصاعته فكم من شعـر
ففى البشرة رصاصى المكسر ، فاذا اجتمع للاديب المعنى الكريم ففى
اللفظ الكريم الى شئ من البديع مع توشية بنادره أو حكمه
فقد حاز ما يريد وانما يستحق اسم الصناعة بتقحم بحور البيسسان
وتعمد كرائم المعانى والكلام ، وأن ينطق بالفصل ، ويركب أشبـاج
الجد ، ويطلب النادرة والسائرة ، وينظم من الحكمة ما يبقـى
بعد موته ... " (٢١)

ولأبى عامر رأى فى الوحدة الفنية (فذكر أنه على من يتعرض
لمعالجة موضوع أن يستوفى جوانبه أولاً ، وألا يخرج عما هو بسبيله

(٢٠) رسالة التوايح والزوايح - ت البستانى ص ٦٠ .

وانظرتاريخ النقد فى الاندلس - رضوان الداية ص ٣٠٣ .

(٢١) انظر المصدر السابق ص ٣٠٤ .

ثانياً، وفي ذلك يقول ابن شهيد " ومما يلزم المدعي لسناعة الكلام إذا اعتمد وصف حالة أن يستوفي جميعها ويكون ما يطلبه ——— الأبداع والاختراع فيها غير خارج عنها، وما هو بسبيلها فذلك أبهى لكلامه وأفخم للمتكلم به، وأذل على أن الكلام من تأليفة . (٢٢) .

تلك هي أهم النظرات النقدية لدى أبي عامر، والتي انطلق فيها من ذكاء مفرط، ومعرفة جيدة للمعاني التي تتعاورها الأدباء ان شعرا وان نثرا ومدى اجادتهم فيها وقد جعل أحكامه ——— النقدية في ضوء هذه المعايير، وهي تدل كما يرى الاستاذ أحمد ضيف على اطلاع أبي عامر ابن شهيد على كتب العلم والفلسفة، علسي الرغم مما فيه من الغموض ثم يقول : وهل نجد بين أدب ——— العرب في النقد الأدبي هذا الطريق العلمي؟ ان ه ——— الآراء ممتازة في النقد الأدبي العربي، وطريقة علمية تشبه ——— ما حدث في الأدب عند أهل أوروبا في القرن التاسع عشر، وكان هذا يكون نموذجا للنقد الصحيح وطرقه العلمية التي تصل أفك ——— الكاتب وآراءه بتكوينه العصبي، وتركيبه الجسمي، ولكن واحدا من الأدباء الذين تكلموا عن أبي عامر ابن شهيد لم يذكروا ——— غير " شعره الدقيق، وأسلوبه الرشيق، ومجونه الكثير، وأدب ——— الوافر " .

(٢٢) انظر : الذخيرة ق ١ م ١ ص ٣١٨، ٣١٩ .

وانظر الأدب الاندلسي لأحمد هيكل ص ٣٩٤ .

ويختم حديثه قائلاً : " ان ابن شهيد من أفذاذ الأدباء
المفكرين الذين أنجبتهم حركة العقول والادراك فى الأندلس " (٢٣)
ولابن شهيد آراء عامة تتعلق بالمفاضلة بين الأدباء، وكأنسسه
بذلك يصنفهم الى أصناف ثلاثة فيقول : " وأهل صناعة الكــــلام
متباينون فى المنزلة، متفاضلون فى شرف المرتبة على مقدار احسانهم
وتصرفهم .

فمنهم الذى ينظم الاوصاف، ويخترع المعانى، ويحرز جيد اللفظ
الأنه يصعب عليه الكلام ، ويكد قريحته فى التأليف حتى انــــه
ربما قصر فى الوصف، وأساء الوضع .

ومنهم الكارع فى بحر الغزارة، القادح بشعاع البراعة ، الذى
يمرر السيل فى اندفاعه فهذا يمتاز بقدره خارقة على اجتــــلاء
المعانى والغوص على اللطيف المبتكر اذا ازدحمت فى الكلام عليه
المطالب ، أعمل فكره المتوقد ، واستطاع أن يجذب الأسماع ويخــــرس
الالسن، ولايقف أمام بيانه شىء .

ومنهم من يتجافى الكلام ، ويروع عن المقال ، فاذا منى بــــه
أخذ بأطراف المحاسن ، وشارك فى أنحاء من الصنعة، وجل ما عنــــده
تلفيق وجيله ، وبذلك يصاحب الايام ، ويجارى أبناء الزمان .
وفى رأى أبى عامر أن " من خرج عن هذه الطبقات الثلاث لــــم

يستحق اسم البيان، ولا يدخل في أهل صناعة الكلام ... " (٢٤)

وكما نرى أن جل آراء ابن شهيد النقدية نابعة من قضايا عصره، وأنه في نقده لمن سبقه، قد جعل لنفسه مقياسا لم يخرج عنه وهو " الأسلوب الذى يرعى تلاع الفصاحة ويستحم بماء العذوبة والبراعة، شديد الأسر، جيد النظم فى أى معنى من المعانى " (٢٥)

هذا ويعتبر أبو عامر أول من حاول أن يقدم تمورا معتسدا للبديع وجهدا فى التععيد للتجديد الفنى ... وكان منظما له

للقديم والمحدث هو مقياس الفصاحة والعذوبة ... " (٢٦)

(٢٤) انظر الذخيرة، ق/١، م/١، ص ٢٣٨، ٢٣٩ .

وانظر رضوان الداية ص ٢٩٩ .

(٢٥) انظر : تيارات النقد فى الاندلس، د. مصطفى عليان ص ٥٨٣ .

(٢٦) انظر : تيارات النقد فى الاندلس، د. مصطفى عليان ص ٥٨٦ .

الباب الثاني

اعترافات ابن حزم العاطفية

أو

« طوق الحمامة »

الفصل الأول

الحب قبل « طوق الحمّامة » وبعده

موضوع الحب من الموضوعات الشائكة التي شغلت العرب منذ بدايسة
الازدهار الثقافي في القرنين الثالث والرابع الهجريين ...
فقد تناوله مجموعة من العلماء والادباء قبل أبي محمد بن حزم (١)...

(١) هو : أبو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح ابن
خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد ، كانت اسرته في اقليم ليلة في بلدة
كانت تسمى " منت ليشم " وأصبحت تسمى اليوم " منتيجار " أو "كاسامنتيخا
...ويذكر مؤرخ الاندلس أبو حيان أن أسرة ابن حزم من أصل أسباني ...
ولد ابو محمد بقرطبة في الجانب الشرقي من ريف منية المغيرة ، سنة
٣٨٤هـ في أيام المنصور بن أبي عامر ... وكان أبوه آنذاك وزيرا لسه
وهذا ما جعله ينتقل من بلاط مغيث غربي قرطبة الى مدينة الزاهرة
شرقي العاصمة ، حيث قصر الحاجب ... وظل محتفظا بمكانته عند الحاجب
والخليفة معا .

قضى أبو محمد حياته في قصر أبيه حيث عهد الى النساء بتربيته وتحفيظه
القرآن ... فكانت نشأته مترفة ناعمة خرج الى مجالس العلماء حوالى
سنة ٣٩٩ هـ وظل يواصل تعليمه في قرطبة حتى شب الفتنة المبيرة ، فاضطر
الى ترك قرطبة سنة ٤٠٤ هـ واختار ألمرية ، وهناك واصل درسه وتحصيله ...
ولكن الظروف لم تساعده على التفرد للعلم ... فقد قبض عليه فى
ألمرية بسبب ولائه للامويين وسجن بها حينما تم نفي ، فتوجه الى حمص
القصر ... وعندما علم أن أموياً دعى له فى " بلنسية " وهو عبدالرحمن
الرابع الملقب بالمرتضى انتقل الى بلنسية سنة لينا...
الإ أن هذا الامير لم ييـدم كثيرًا حيـث =

.....

= فشلت حركته ، وقتل بعض أنصاره ، واعتقل بعضهم ، ومنهم أبو محمد حيث اعتقله صاحب غرناطة وسجنه حينما ثم أطلقه ... وعاد بعد ذلك الى قرطبة سنة ٤٠٩ هـ بعد قيام القاسم بن حمود ... ثم بويغ في قرطبة لاموى جديد هو عبدالرحمن الخامس الملقب بالمستظهر ، وكان محبا للمفكرين والادباء فاستوزر بعضهم ومنهم أبو محمد الا أن المستظهر سقط بعد قليل ، وخلفه المستكفي ، فسجن ابن حزم حينما حتى سقط المستكفي ، وخرج من السجن فهاجر الى شاطية في شرق الاندلس وهناك ألف أعظم كتبه وأهمها (الفصل في الملل والاهواء والنحل) و (طوق الحمامة) . وبعد سقوط الخلافة الاموية نهائيا ، وساد عصر الطوائف ، اتجه ابن حزم للعلم وأكثر من التجوال بين اقاليم الاندلس لنشر مذهبه الظاهري ... وقد أبحر ابن حزم الى جزيرة (ميورقة) وكان عليها أحمد بن رشيق نائبا عن مجاهد العامري ، وفيها نشر علمه فكثرت تلاميذه ، وأحدث ضجة علمية هائلة ... فتكتل كثير من الفقهاء ضده ، حتى نفر حاكم الجزيرة منه ، فاضطر الى ترك ميورقة ، وتوجه أخيرا الى اشبيلية حيث المعتضد بن عباد ... ولكن مقامه في اشبيلية لم يطل ... حيث عاد الى موطن أسرته الاول في اقليم لبلنة وهناك قضى بقية حياته في التعليم والتأليف ... وقدم أحرق المعتضد بن عباد والى اشبيلية كتبه نتيجة تأييد الفقهاء الحانقين على ابن حزم ... ولكنه لم ييأس ، بل ظل يواصل رسالته العلمية الكبيرة حتى وافته المنية سنة ٤٥٦ هـ بعد أن عاش أكثر من سبعين عاما . =

-
-
- = له من المؤلفات جم غفير فى فنون مختلفة :
- فقد ألف فى (الفقه والاصول) عدة كتب أهمها : الابطــــــــــــــــال
بسطفيه مذهب الظاهرى ، وله أيضا (المحلى) وناقش فيه أصول
المذهب الشافعى وله كذلك كتاب (الخصال) الذى ضاع قيل أنه
كان شرحا لاصول المذهب المالكى .
- ثم كتاب (الايصال) الذى اوجز فيه مابسطه فى كتــــــــــــــــاب
(الخصال) .
- وله كتاب (الاخلاق والسير فى مداواة النفوس) وكذلك كتاب
(جمهرة أنساب العرب) و (نقط العروس) .
- وله رسائل كثيرة منها (رسالة فى فضل الاندلس) كما أن لسه
فى التاريخ (الامامة والخلافة) وهناك مؤلفات يطــــــــــــــــول
المقام بذكرها .
- انظر ترجمته فى :
- ١ - وفيات الاعيان لابن خلكان ٤٢٨/١ وما بعدها .
 - ٢ - جذوة المقتبس - الحميدى رقم ٧٠٨ .
 - ٣ - بغية الملتبس - الضبى - رقم ١٢٠٤ .
 - ٤ - الذخيرة - لابن بسام ق ١ م ١ ص ١٤٠ .
 - ٥ - المغرب - لابن سعيد ٣٥٤/١ - ٣٥٧ .
 - ٦ - المطمح - لابن خاقان ص ٥٥ - ٥٦ .
 - ٧ - طبقات الامم - لصاعد الاندلسى ص ١١٧ - ١١٩ .
 - ٨ - الصلة لابن بشكوال ٣٩٥/١ .
 - ٩ - المعجب - للمراكشى ص ٩٣ - ٩٧ =

.....

- ١٠ - النجوم" الزاهرة ٧٥/٥ . =
١١ - تاريخ الحكماء للقفطى ص ١٥٦ .
١٢ - شذرات الذهب ٢٩٩/٣ .
١٣ - تذكرة الحفاظ ٢٤١/٣ .
١٤ - معجم الادباء لياقوت ٢٣٥/٢ .
١٥ - سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/٢، ١٨٨، ١٩٥٠ .

ثم انظر المراجع الحديثة وأهمها :

طبقات طوق الحمامة، وترجمة ابن حزم لسعيد الافغانى من كتاب
سير أعلام النبلاء فى جزء خاص، وانظر ابن حزم صورة أندلسية
للحاجرى، وابن حزم لابي زهرة، وابن حزم لعبدالكريم خليفة
وعمر سيادة قرطبة لاحسان عباس، والادب الاندلسى لاحمد هيكـل
وكذلك تاريخ النقد الاندلسى لرضوان الداية، والحب فى الأدب
العربى لمعطفى عبد الواحد، ج ٢، وكذلك : دراسات الدكتور طاهر

مكى من ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، وابن حزم الكبير لعمر فـسـروخ
وانظر ابن حزم وجهوده فى البحث التاريخى لعبدالحليم
عويس .

هذا وقد ترجم (الطوق) الى الانجليزية والروسية والفرنسية
والايطالية والاسبانية والسولندية ... اهـ

وأول هؤلاء الباحثين أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ فقد كان رائداً كعادته في هذا الموضوع . وقد تحدث في مقالة مشهورة عن النساء والقيان تحت عنوان " مفاخرة الجوارى والغلمان" ...

وكان حديثه عن الحب متميزاً مستمداً من منهجه في الكتابة فهو يجمع بين التسلية والمسامرة، والافادة والتعليم، ولقد عرض لهذا الموضوع في موضعين :

أولهما : في كتاب " الحيوان" حيث أفاض القول عن الجانب العلمى : فمنه ما يحسن ويسعد، ويجمل، وما يكون في صالح طـرف دون الآخر، فيؤدى الى الملل، والنفور والتعاسة، ووازن بين ألوان ممارسته عند الشعوب المختلفة، وبين المخلوقات غير الانسانية، وخلال ذلك كله يلقي بتجاربه، وملاحظاته، وهي مفيدة ومتقدمة، وتقع من العلم الحديث موضع الرضا، ويتحدث عنها صريحاً لا يتحرج ولا يوارى ولا يكتفى وكتابه " الحيوان" وهو مما كتب في أواخر حياته، يعتبر وثيقة ثقافية عامرة بالمعارف المادقة في هذا الباب ... (٢)

(٢) انظر " دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة" د. طاهر

مكى ص ٢٨١ .

وانظر : ابن حزم الاندلسى - عبدالكريم خليفة .

وانظر : الحب في التراث - د. محمد حسن عبدالله .

ولأبي عثمان أيضا رسالة في " العشق والنساء " وهي عبارة

عن مقتطفات من كتاب لم يكن الجاحظ راضيا عنه كل الرضا . (٣)

وكان يرى أن المرأة أرفع حالا من الرجل في أمور منها

" أنها هي التي تخطب وتعشق ، وتطلب ، وهي التي تغدى وتحمى ...

ونحو ذلك ... " .

ويتحدث الجاحظ عن المثل الأعلى في الجمال عند النساء

فيقول عن البصراء بجواهر النساء أنهم " يقدمون المجدولة

والمجدولة من النساء تكون في منزلة بين السمينه والممشوقة

ولابد من جودة القد ، وحسن الخراط ، واعتدال المنكبين واستواء

الظهر ، ولا بد من أن تكون كاسية العظام بين الممتلئة والقضيفة

وانما يريدون بقولهم مجدولة : جودة العصب ، وقلة الاسترخاء

وأن تكون سليمة من الزوائد والفضول ، ولذلك قالوا : خصمانه

وسيفانة ، وكأنها جان ، وكأنها : جدل عنان ، وكأنها قضيب

خيزران ، والتثنى في مشيها أحسن ما فيها ، ولا يمكن ذلك من الضخمة

والسمينة ، وذات الفضول والزوائد على أن النحافة في المجدولة

أعم ، وهي بهذا المعنى أعرف ، وقد وصفوا المجدولة بالكسـلام

المنثور ، فقالوا : أعلاها قضيب وأسفلها كثيب " . (٤)

(٣) هذه الرسالة قصيرة جدا لاتتجاوز عشر صفحات في طبعة حسن

السندوبي لمجموعة رسائل الجاحظ - القاهرة ١٣٥٢ هـ .

انظر دراسات عن ابن حزم - طاهر مكى ص ٢٨١ .

(٤) انظر دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ص ٢٨٣ .

ثم تحدث عن الحب ودوره في حياة الناس، وما يمليه من مواقف وما يفرضه من سلوك ٠٠٠ (٥) ويقسم الحب الى مراتب ثلاث: الحب، والهوى، والعشق، ويعلق على ذلك بقوله: " فتأملنا شأن الدنيا، فوجدنا أكبر نعيمها، وأكبر لذاتها: ظفر المحسب بحبيبه، والعاشق بطليبه ٠٠٠ " (٦) . فهي في نظره سعادة لاتعدلها سعادة .

وللفيلسوف العربي أبي يوسف يعقوب الكندي المتوفى سنة (٢٥٣هـ) رسالة في العشق، ولكنها ضاعت شأن مؤلفاته الاخرى ٠٠٠ ولعل هذه الرسالة استقرت مترجمة الى اللاتينية في خزانة كتب مغمورة في جانب من أوروبا ٠٠٠ (٧)

وهناك كتابات في هذا المجال كتبها: أحمد بن الطيب السرخسي المتوفى سنة ٢٨٦هـ وهو تلميذ الكندي . وللشاعر الخليفة العباسي أبي العباس ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦هـ كتاب في العشق (٨) ولكن ليس لدينا معلومات كافية عنه .

(٥) انظر: دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ص ٢٨٣ .

(٦) انظر: دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ص ٢٨٤ .

(٧) نفس المصدر ص ٣٨٣ .

(٨) ذكر ذلك الاستاذ هلال ناجي نقلا عن صلاح الدين المنجد وأن مخطوطة الكتاب موجودة في مكتبة طشقند في الاتحاد السوفييتي . انظر دراسات الدكتور مكي عن طوق الحمامة ص ٢٩٨

ثم جاء محمد بن داود الظاهري المتوفى سنة ٢٩٦هـ وألّف كتابه المشهور " الزهرة " وهو بهذا الكتاب يعتبر مؤسس (٩) اتجاه جديد في دراسة الحب، وقد كان ابن داود عالما وأديبا ... حاد العاطفة، يقول عن نفسه " ما انفككت عن هوى منذ أن دخلت الكتاب . " ...

وقد بدأ تأليف كتابه هذا، وهو ابن ستة عشر سنة ... ويشتمل هذا الكتاب على مقدمة مسجوعة، ثم عرض لمنهجه، فذكر أنه : استودعه مائة باب، ضمن كل باب مائة بيت ... ذكر في الخمسين بابا الأولي منها : جهات الهوى وأحكامه وتصاريفه وأحواله، وجعل الأبواب المنسوبة إلى الغزل أمثالا، ورتبها على ترتيب وقوعها ... فحالا، فقد م وصف الهوى وأسبابه، ويسط ذكر الأحوال العارضة فيسه بعد استحكامه ... من الهجر والفرق، وماتوجه غلبات التشسوق والاشفاق، ثم ختمها بذكر الوفاء بعد الوفاة بعد أن أتى على ذكر الوفاء في الحياة ووضع لكل باب عنوانا مسجوعا، مثالا محكما، يوميء إلى محتواه، مثل " من كثرت لحظاته، دامت حسراته العقل عند الهوى أسير، والشوق عليهما أمير، من تداوى بدائسه

(٩) انظر الحب في التراث العربي - د. محمد حسن عبدالله .

وانظر : دراسة الحب في الادب العربي - مصطفى عبدالواحد

ط ١ دار المعارف بمصر ٤٥/١ وما بعدها .

لم يصل الى شفائه ، ليس بسبب من لم يصف مابه لطبيب ، اذا صح
الظفر وقعت الغير ...

هذا ويحتوى الكتاب على خمسين بابا أخرى فى أفانين الشعر
وقد أشار الى منهجه فيها عند نهاية القسم الاول ، وجاءت أبوابه
على النحو التالى :

" ما قيل فى تعظيم الله ، مامدح به النبي، وما استشهد به
وأشدد بين يديه، وماقاله شعراء الاسلام فى أهل بيت النبي ، مراثى
الملوك والسادات ، وأهل الفضل والرياسة ، نوح الاهل والاخوان على
مافقدوه من الشجعان ، ذكر النوح على من مات من الابناء والقرايبات
ذكر من جزع فاحتاج الى تعزية أوليائه ، ومن رزق الصبر فاستغنى
بحسن عزائه ، ذكر التزهيد فيما يفنى ، والترغيب فيما يبقى ، ذكر
أشعار الظرفاء من الملوك والخلفاء ... ويستمر المؤلف فى سرد
أبواب النصف الثانى على هذا النحو ... وكما نلاحظ أن هذا القسم
ليست له صلة بموضوع العشق ، وانما هى مختارات شعرية تتناول قضايا
عامة ، مما يدور حولها الشعر العربى عادة ...

وقد تعرض بعض المستشرقين لقراءة هذا الكتاب ... فنسأل
اعجابهم ... ومن هؤلاء المستشرق الفرنسى " ماسينيون " فى كتابه
" محنة الحلاج " فوصف كتاب الزهرة بأنه رائع عن الحياة العاطفية
فى تلك الايام ، ومعرض عنى بآراء المفكرين ، والادباء فى بغداد
وماكان يدور بأذهانهم عن موضوع الحب ... " ... ويمكن القول

بأنه أول مجموعة من الشعر تدور حول الحب العذرى ، قيلت فـسـى
اللغة العربية في بغداد خلال القرن الثالث الهجري .
وعندما وصل هذا الكتاب الى قرطبة في أثناء خلافة الحكم
الثاني (٣٥٠ - ٣٦٦هـ) كان منطلقا لابن فرج الجياني ، عندما ألف
كتاب " الحداثق " وهو مختارات من شعر الاندلسيين نحا فيه منحسـى
ابن داود في كتابه " الزهرة " ... وقلده في منحه فجعل " الحداثق "
في مائتى باب ، يضم كل باب مائتى بيت من الشعر ، ليس منها باب
تكرر اسمه لابي بكر ، ولم يورد فيه لغير أندلسي شيئا . (١٠)
ثم كتب " اخوان الصفا " (١١) رسالة في (الحب) تسمى
" ماهية العشق " وقد كان لهم فلسفة في الحب هي مزيج من حضارة
العرب وتراث الاغريق ، مستمدين تفسيرهم من التعليقات الاسطورية

(١٠) انظر : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ص ٢٨٥ وما بعدها
وانظر : الحب في الادب العربي - مصطفى عبدالواحد ج ١
وانظر : ابن حزم الاندلسي - عبد الكريم خليفه ، ص ١٨٨ .
وانظر : الحب في التراث - د . محمد حسن عبدالله ص ٤٨ ، ٤٩ .
وانظر : رسائل ابن حزم - د . احسان عباس ٢٨/١ .
(١١) (اخوان الصفا) هي مدرسة فلسفية ازدهرت في البصرة قريبا
من نهاية القرن العاشر حوالى القرن الرابع ، وكانت لهم
اتجاهات سياسية ودينية ذات ميول شيعية وقد كتبوا مجموعة
من الرسائل مرتبة على غرار الموسوعات ، وبعض المقالات
وتبلغ عدتها اثنتين وخمسين رسالة تعالج الرياضيات والفلك
والجغرافيا ، والموسيقى والفلسفة ... وفيها عرضوا للعشق
ومحبة النفوس . انظر د . مكي ص ٢٢٩ ، ٣٠٠ .

أو التنجيم ، فيعللون مثلا محبة شخص لآخر دون سائر الاشخاص باتفاق
فلكى بينهما فى أصل مولدهما ، وأما تغيير العشق بعد ثباته
زمنًا طويلًا فهو نتيجة تغيير أشكال الفلك ، أما محبة النساء للرجال
وعشقها فذلك لا يقتصر على النوع البشرى وإنما هو فى طباع أكثر
الحيوانات " التى لها سفاذ " . والغرض من محبتها (بقاء النسل
وحفظ الصورة فى الهيولى بالجنس " ... وقد حشدوا فى رسائلهم
طرفًا من أقوال الحكماء والفلاسفة فى الحب ، والأسباب الداعية
اليه ، والغرض الاقصى منه ، ووقفوا عند الحكماء الذين ذموا
العشق ، وذكروا مساوىء أهله وقبح أسبابه ، وما زعموا من رذيلة فيه
وعند الحكماء الذين قالوا : ان العشق فضيلة نفسية فمدحوه
وذكروا محاسن أهله ... وعند أولئك الذين لم يعرفوا أسرار
وعلله ، وأسبابه ... فزعموا أنه مرض نفسى أو جنون ... أو همسة
نفس فارغة ... وإخوان الصفا أنفسهم يرون أنه هوى غالب فى
النفس نحو طبع مشاكل فى الجسد أو نحو صورة مماثلة فى الجنس ...
ثم تعرضوا للعشق الصوفى وفسروه بأنه تنبيه النفوس من الغلظة
ورقدة الجهالة ، ورياضة لها ، وتعريج بها ، وترقية من الامسوس
الجسمانية المحسوسة الى الامور النفسية المعقولة ... " (١٢) فكانت

(١٢) انظر : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة - د. مكى

ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

وانظر : فاروق سعيد - طوق الحمامة ص ٤٥ .

وانظر : عبدالكريم خليفة ص ١٨٨ .

وانظر : مجموعة رسائل ابن حزم - احسان عباس ١/٣٠ ، ٣٣ .

دراستهم للحب فلسفية ممزوجة بخطرات علمية ونفسية ووقفوا ووقفوا عند نزعة
الحب والاسس النظرية التي تقوم عليها هذه النزعة .

وممن تناول موضوع الحب المؤرخ المشهور أبو الحسن علي بن
الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ صاحب " مروج الذهب"
وكان حديثه ضمن كتابه هذا حول " تنازع الناس في ابتداء وقسوع
الهوى ، وكيفيته ، وهل ذلك من نظر وسمع ، واختيار ، واضطرار ، وماعاد
وقوعه بعد أن لم يكن ، وزواله بعد كونه ، وهل ذلك فعل النفس
الناطقة أو الجسم وطباعه ... " (١٣)

وقد ذكر المستشرق " جوستاف فرونباوم " في طبعة باريس من
هذا الكتاب حديثاً مفصلاً عن مجلس في قصر يحيى بن خالد البرمكي
ضم اثني عشر (١٤) مسلماً وموبداً واحداً ، قدم كل منهم رأيه في

(١٣) انظر دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة - د. مكي ص ٢٧٧
وكذلك المراجع الأنفة الذكر .

(١٤) هؤلاء الاثني عشر كما ذكرهم المسعودي هم : علي بن الهيثم
وأبو مالك الحضرمي - ومحمد بن الهذيل العلاف (ت ٢٣٥هـ) وهشام
ابن الحكم الكوفي ت نحو (١٩٠هـ) وأبراهيم بن سيار النظام
أبو اسحق (ت ٢٢٠ - ٢٣٠هـ) وعلي بن منصور والمعتز بن
سليمان بن طرخان أبو محمد (ت ١٨٧هـ) وبشر بن المعتز
أبو سهل (ت ٢١٠هـ) وثمامة بن أشرس النميري (ت ٢١٣هـ) والسكال
أو السكاك من الامامية (ت ٢٣٦هـ) والصباح بن الوليد من
المرجئة وأبراهيم بن مالك فقيه بصرى قيل أنه توفي سنة
(٢٦٤هـ) وأخيراً الموبذ قاضي المجوس . ينظر في ذلك ما نقله
د. مكي عن المسعودي ص ٢٧٨ ، وكذلك احسان عباس في رسائل
ابن حزم ص ٢٦ ، ٢٧ .

طبيعة العشق فى جمل محكمة تتفق جوهرًا، وان اختلفت شكلا وتركيبًا
وجملة مارأوا: "أن الحب ثمرة المشاكلة بين المحب والمحبوب
ولا يكون الا بازدواج النفسين، وامتزاج الشكلين، وهو دليل على
تمازج الروحين ٠٠٠ ومن اعتدال فى الصورة، وتكافؤ فى الطريقة
وملاءمة فى الهمة، ويتخلل فى القلب كما تتخلل قطرات المطر بين
ذرات الرمل ٠٠٠ وهو سحر أخفى وأحر من الجمر، والمحب جواد مشرق
الطبيعة، فائق الشماثل وينبعث من تجانس الأرواح، نور ساطع تهتز
الإشراقه من طباع الحياة فيصير من الملح نور خالص لاصق
بالنفس، متصل بجوهريتها، يسمى عشقا ثم يعرف العشق: بأنه نار
تتأجج فى القلب يعقد اللسان، وبه يصبح المحب عبدا مملوكا، ولا ينجع
فيه علاج، والافراط فيه يحطم الجسد، ويعانى المحب من اللوعنة
والارق، " صومه البلوى و افطاره الشكوى" ٠٠٠ وهو أشرف سبب
للغناء ٠٠٠ (١٥)

وممن عاصر ابن داود وكتب فى الحب: محمد بن أحمد بن
اسحاق الوشاء (١٦) أبو الطيب (٢٨٩ - ٣٥٩هـ) صاحب كتاب " الموشى"

-
- (١٥) دراسات عن ابن حزم - د. مكى ص ٢٧٨ .
(١٦) أشا راليه د. مكى فى ص ٢٩٧ وتناولته " جارشيا قومث" بحديث
مطول أورده د. مكى فى ص ٣٠٧ تحت عنوان " كتاب سبق طسوق
الحمامة وكتاب جاء بعده" نقلا عن مجلة الاندلس المجلد ١٦ سنة ١٩٥١
ص ٣٣٠، ٣٠٩، من المجلة نفسها . انظر د. مكى ص ٣٠٧ المرجع
الآنف الذكر .

وشهر باسم " الظرف والظرفاء " وله كتاب آخر يشى عنوانه بأن له
صلة بالموضوع واسمه " أخبار المتظرفات " .

ويعرض ابن اسحق الوشاء فى كتابه (الموشى) لأخبار أهل العشق
وملحهم ، وأحوال المتيمين وطرائقهم ، ومسالك الهوى وشياتهم ...
ويقدم تحليلا نفسيا للحب العذرى ... ويذكر حب القيان ، ويستشهد
على ذلك كله بنموص فى الحب وأهله ، وقصائد لاهل الغزل شديدة
الروعة .

وهو بذلك قريب الشبه بكتاب (الزهرة) لمحمد بن داود .
وربما كانت روحه أدنى الى كتاب (طوق الحمامة) لابن حزم ...
يقول عنه " بروكلمان " فى دائرة المعارف الاسلامية : يعتبر
كتاب (الموشى) لمحمد بن أحمد بن اسحق الوشاء " دليلا للحياة
الانيقة فى عالم بغداد العظيم " واعتبره " آدم ميتز " فى كتابه
" نهضة الاسلام " سجلا للأخلاق الفاضلة ... وقائمة بقوانين السلوك
المهذبة .

ولمحمد بن جعفر الخرائطى (٣٢٧هـ) كتاب فى " الحب " أيضا
يسمى " اعلال القلوب " فى أخبار العشاق ، وهو مخطوط . (١٧)
ولمحمد بن عمر المرزبانى (٣٨٤هـ) كتاب اسمه " الرياض " فى
أخبار المتيمين من الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، والاسلاميين

(١٧) انظر : الحب فى التراث - د . محمد حسن عبدالله ص ٤٩ .

والمحدثين، وله أيضا : كتاب أشعار النساء . (١٨)

ولأبى اسحق ابراهيم بن على بن تميم الحصرى القيروانى المتوفى سنة ٤١٣هـ كتاب فى هذا الموضوع مازال مخطوطا تحت عنوان "المصون فى سر الهوى المكنون" . (١٩)

ويلج فى هذا المجال ابن سينا (٤٢٨هـ) (٢٠) وقد جاء بعد ابن داود وقبل ابن حزم، فكتب رسالة فى "العشق" وهى لم تنسل حظا من الدراسة والشهرة فى العالم العربى . ولكنها وجست عناية كبيرة فى العالم الغربى . . . فعندما تحدث الاب " اسكندر دينومى" عن الاصول العربية للحب العفيف فى الغرب بعامة، وعن شعراء التروبادور بخاصة، ذهب الى أن هذه الاصول يجب البحث عنها فى الفلسفة العربية، وبالذقة عند ابن سينا فى رسالته فى "العشق" فقد أعطى للحب البشرى، أى العشق القوى الحيوانية دورا ايجابيا . . . وليس فى رسالة ابن سينا هذه ما يوحي بأنه يقيم أساسا فلسفيا للحب العذرى، وليس فيها شاهد واحد على أنه

(١٨) انظر : الحب فى التراث - د . محمد حسن عبدالله ص ٤٩ .

(١٩) يقوم بتحقيق هذا الكتاب طالب تونسى فى جامعة الزيتونة

ونشر بحث فى مجلة الفيصل عنوانه " مقارنة بين طوق الحمامة

وكتاب المصون فى سر الهوى المكنون لأبى اسحق الحصرى"

للدكتور محمد سعد الشويعر ص ١٦ - ٢١ السنة الاولى ، عدد ١٠

(٢٠) انظر دراسات عن ابن حزم - د . مكى ص ٣٠٤ .

كان يوجه النظر الى الادب، بل ان الاحكام الدقيق في عرض آرائه
ينبىء بأنه كان يطبق مبداه العام في النفس وأجزائها على مشكلة
أو ظاهرة بعينها، ويحاول أن يجد لها مكانها الصحيح في نظامه
الفلسفى . (٢١)

وهناك كتب موسوعية تناولت هذا الموضوع . . . كتب بعضها
في فترة باكرة . . . وربما تكون هي المصادر لما كتب بعده
ومنها " عيون الاخبار " لابن قتيبة (٢٧٦هـ) فقد ورد في هذا
الكتاب عناوين صريحة نحو : " كتاب النساء في أخلاقهن وخلقهن
وما يختار منهن ، وما يكره " .

ومنها : " العقد " لابن عبد ربه (٣٢٨هـ) فقد كتب ضمن
عقده " كتاب المرجانة الثانية في النساء وصفاتهن " . (٢٢)

هذا وتجدر الإشارة هنا الى ذكر الذين ألفوا في الحب بعد
ابن حزم . . . وأولهم : جعفر ابن السراج (٥٠٠هـ) (٢٣) وقد ألف
كتابا سماه " مصارع العشاق " وألف ابن الجوزى كتابه المشهور
" دم الهوى " . . . ثم كتب أحمد بن سليمان الكسائى مؤلفا سماه

(٢١) انظر : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة - د. طاهر
مكى ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢٢) انظر : الحب في التراث ص ٥١ - ٥٣ .

(٢٣) قدم لكتاب ابن السراج د. مصطفى عبد الواحد في دراسة شاملة
في كتابه " دراسة الحب في الادب العربى " ص ٣١١ وما بعدها .

"روضة العاشق، ونزهة الوامق" وهو مخطوط ٠٠٠ وكتب شهاب الدين محمود بن سليمان بن فهد (٥٧٢٥هـ) (٢٤) كتابا أسماه " منازل الاحباب ومنازه الالباب " وهو مخطوط أيضا ٠٠٠ وألف العالم الكبير ابن قيم الجوزية (٥٧٥١هـ) كتابه المشهور " روضة المحبين ونزهة المشتاقين " .

وهناك كتاب للمرح الخافض أبي عبد الله الحنفي «مفطاي بنو قايح»
في (٧٦٩) عنوانه " الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين " وهو

مخطوط ٠٠٠ وهناك ديوان يسمى : " ديوان الصباة " ألفه ابن أبي حجلة (٥٧٧٦هـ) وألف ابراهيم بن عمر الرباط البقاعي (٥٨٨٥هـ) كتابا مخطوطا ، وهو اختصار لمصارع العشاق أسماه : " أسواق الأشواق " ثم داود الانطاكي الطبيب الضريير (٥١٠٠٨هـ) صاحب كتاب : " تزيين الاسواق في أخبار العشاق " ٠٠٠ ثم مرعي بن يوسف (٥١٠٣٣هـ) مؤلف " منية المحبين وبغية العاشقين " ٠٠٠ وأخيرا كتاب لرجل يدعى " السلاطي " وهو كتاب " صبايات المعاني ، وصبايات المعاني " (٢٥)٠

تلك هي أهم المصادر التي تناولت موضوع الحب بعد أبي محمد

ابن حزم .

وأما الكتب الموسوعية المتأخرة التي تناولت موضوع الحب ٠٠٠

ففي مقدمتها كتاب " محاضرات الادباء " للراغب الاصفهاني (٥٠٢هـ)

(٢٤) وذكر الزركلي رسالة لشهاب الدين هذاتسمى " مقامة العشاق "

الأعلام ١٧٢/٧ ، نقلا عن كتاب الحب في التراث العربي / د. محمد حسن عبدالله

(٢٥) انظر " الحب في التراث " ص ٤٩ - ٥٠ .

فقد عقد فملا تحت عنوان " فى الغزل وما يتعلق به " ٠٠٠ ونجد فى
" التمثيل والمحاضرة " لابي منصور الثعالبي (٣٥٠ - ٤٢٩هـ) أمثالا
سائرة وأبياتا شاردة عن النساء والعشاق ٠٠٠

وفى "نهاية الأدب للنويرى" (٧٣٣هـ) الجزء الثانى - تنساول
شيئا مما يتعلق بالادوية والعقاقير المقوية للباه .
وكتب القلقشندى فى " صبح الاعشى " (ت ٨٢١هـ) فى جزئه الثانى
شيئا مختما بالصفات المستحبة المشتركة بين الرجال والنساء جسيما
وخلقيا، وما ينفرد به الرجال، وما تنفرد به النساء ٠٠٠ (٢٦)

وهناك كتب أخرى تناولت الموضوع فى نتف يسيرة ، تعبر عن
آراء أصحابها منها : " كتاب المحاسن والاضداد " المنسوب للجاحظ
وكتاب " أخبار النساء " المنسوب الى ابن القيم ٠٠٠
أضف الى ذلك كتب القصص والنوادر التى تناولت " الحب " نحو
كتاب " الفرج بعد الشدة " للقاضى التنوخى (٣٨٤هـ) .

تلكم هى أهم المصادر التى ألفت فى موضوع الحب قبيل
" الطوق " وبعده فى اللغة العربية . (٢٧)

أما فى الغرب فلعل أول من تناول هذه القضية " أفلاطون "
فى " مآدبته " فهو يذهب بالحب الى اتجاهين : اتجاه مادي جنسى

(٢٦) انظر : الحب فى التراث ص ٥١ وما بعدها .

(٢٧) انظر : الحب فى التراث ص ٤٩ وما بعدها .

قائم فى تلك الغاية لتوليد أجسام تعمل لخدمة المجتمع ... واتجاه
 ميتافيزيقي يتمثل فى الرغبة باعطاء أرواح تسمو الى الرب ... ثم
 يذهب أفلاطون من توحيد هذين الاتجاهين الى تجريدات ميتافيزيقية
 خالصة يصل منها الى الجمال كمثل أزلى كامن فى المقام
 الالهى يعجز عن الوصف، وتقف دونه طاقة الخيال والتصور ... ومن
 هنا التمازج والتوازي بين نظرة أفلاطون فى الحب ونظرته فى
 المعرفة . فالمحبوب بالنتيجة غير كائن فى الجسد الزائـل
 بل هو مثال الجمال، ومن ثم فالمحبوب ليس هو المحبوب فى ذاته
 ولذاته، بل لماهيته كمثل للجمال ... ومن هنا وقف أفلاطون
 دون الاحاطة ببساطة الحب العادى على حد رأى " جان جيتون" فى
 كتابه " الحب الانسانى " . (٢٨)

وفى الادب الرومانى كتب " أوفيدىوس" كتابا أسماه " فى
 فن الحب " وهو يعطى دروسا ماجنة فى كيفية الحظو بحبيب
 المرأة، واكتساب المرأة مودة الرجل ثم يستدرك فى كتاب آخر
 سماه " فى علاج الحب " ليعطى نصائح فى كيفية الخلاص من الحب متوسلا
 الى ذلك باظهار عيوب المرأة الجسدية ونقائصها النفسية حتى
 يقضى على " وله المحبين البله" (٢٩) يعلق الدكتور غينمى هلال

(٢٨) انظر طوق الحمامة - ت : فاروق سعد ص ٤٤ وما بعدها .

(٢٩) انظر طوق الحمامة - ت : فاروق سعد نقلا عن غينمى هلال فى

كتابه فى الادب المقارن ط ٣، ص ٢٠٥، دار العودة والشقافة

على ذلك فيقول : " ويظهر من كتابيه السابقين أن الحب مجسوم
ودعابة ولاجد فيه " . (٣٠)

وهناك كتاب أوريبيون متأخرون تناولوا القضية، نذكر منهم على
سبيل المثال " دنى ده روجمون" فقد كتب عن الحب كظاهرة وسميت
الثقافة الاوربية بأبرز طوابعها وأخصها . ظل سنوات يبحث عن
ذلك " اللغز" الذى جعل لفظة الحب لم تكسب معناها كعاطفة وهوى
الا فى القرن الثانى عشر الميلادى عندما أدخل هذا المعنى
الشعراء المتجولون (التروبادور) فى شعرهم . وأخيرا وجد حلا
لهذا اللغز لم يلبث أن أعلنه . فكتب " لعشرين سنة خلت كان
هذا اللغز مغلقا، أما اليوم فقد وجدنا له حلا : ان مفتاح حله
هو الشعر العربى الذى ذاع فى القرن الحادى عشر فى الاندلس
وخاصة فى قرطبة التى كانت مهذا لمذهب شعرى نبغ فيه ابن حزم
وابن قزمان ثم المعتمد الاشبلى، فاشتهروا فى العالم العربى
وامتد صيتهم حتى بغداد . . . ثم يقول : " من هذا الشعر العربى
قد استعار " فيوم دى بواتيه" وتلاميذه الصيغ والمواضيع والتقنية
حتى وأنغام أغانيهم . . . وقد أيدت هذه النظرية الابحاث التاريخية

(٣٠) انظر " فى الادب المقارن" د . هلال ص ٢٠٥، وللتوسع ينظر

كتابه عن " فن الحب" والذين تناولوه فى ص ٢٠٢ وما بعدها

وانظر رسائل ابن حزم - احسان عباس ص ٢٣ وما بعدها .

والادبية والفلسفية العديدة التي حملت اليها من خلال السنوات
العشرين الاخيرة الادلة والبراهين المفصلة الحاسمة ... (٣١)
ومجمل القول في هذه المؤلفات التي تناولت (قضية الحب)
قبل (الطوق) وبعده أنها تتفق كلها في خصلة مشتركة : هي تناول
هذه الظاهرة من الخارج بعيدا عن الخبرات الشخصية والمعاناة
النفسية الا في الندرة النادرة وهي تتلون بالطابع الثقافي
والمنطلق الفكري لكل مؤلف ...

فمنها ماغلب عليه الاتجاه الفلسفي مثل كتابات أفلاطون
وابن سينا واخوان الصفا ، ومن لف لفهم ...
ومنهم من غلب عليهم الاخبار والتقول والاستطراد ، واضفاء شيء
من مسحة علمية ، مثل الجاحظ والمسعودي .
ومنهم من غلب عليه روح التقسيم والخبر ممزوجا بملامح
اغريقية واضحة وشيء من الخبرات الشخصية ... بالاضافة الى شروء
بالغة الروعة من اشعار الصباية مع مسحة عاطفية حيية ، ومنطلق
ديني ورع ، ويظهر ذلك في كتاب " الزهرة " لمحمد بن داود ، وكتاب
" الموشى " للوشاء على تفاوت بينهما في الخصائص السالفة .

(٣١) انظر : فاروق سعد ص ٤٢ نقلا عن (ده روجمون) من مقال
" الحب في الشرق والغرب " مجلة الحوار ، بيروت ، العدد
الثاني ، كانون الثاني ١٩٦٣ م .

ومنهم . من غلب على كتابته النقل والحشد والاتباع والافسادة
من الغير، والاستطرادات ... ويظهر ذلك فى كتابات ابن السراج
والخراطى والمرزبانى والحصرى .

ومنهم من غلب على كتابته فى هذا الموضوع روح دينية ورعة
ولهجة وعظيمة زاجرة مثل ابن الجوزى فى كتابه (ذم الهوى) وابن
القيم فى كتابه (روضة المحبين) . بل منهم من وقف جهده على
اختصار بعض كتب الحب مثل ابراهيم بن عمر البقاعى الذى اختصر
كتاب " مزارع العشاق " لابن السراج فى كتاب له أسماه " أسواق
الاشواق " .

ومنهم من اتجه فى الكتابة عن هذه القضية وجهة علمية مشمل
الكاتب الرومانى " أفيدوس " فى كتابه " فى فن الحب " و " فى
علاج الحب " والمؤلف العربى الطبيب الضربير داود الانطاكى فى كتابه
" تزيين الاسواق فى اخبار العشاق " .

وبعد ، فما مدى تأثير ابن حزم فى تناوله قضية الحب فمضى
كتابته " طوق الحمامة " بمن عالج الموضوع قبله ؟ .

وما مدى تأثيره فىمن جاء بعده ؟

للإجابة على هذا يجب أن نستعرض أولاً محتويات كتاب " طسوق
الحمامة " . وهذا ما سنفعله فى الفصل الثانى تحت عنوان " تجارب
ابن حزم العاطفية " ومن ثم يتيسر لنا ان شاء الله الإجابة على
ذلك فى الفصل الثالث الذى نعده تحت عنوان " الخصائص الفنية
والفكرية لكتاب طوق الحمامة " .

الفصل الثاني

تجارب ابن حزم الذاتية

و

تحليله النفسي لعاطفة الحب وشخصيات

المحبين

أودع أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم كتابه (طوق الحمامة)
نبضات قلبه، وهمسات نفسه عن قضية الحب في صدق ومراحة تدعو الى الاعجاب
ذلك لانه يملك رميدا. فحما من الاسرار الخفية والمدركات الدقيقة التي
لم تنتهيا اسبابها لغيره ... وهو بادىء ذى بدء يكشف السر في ذلك
فيقول :

" ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري...
لانى ربيت فى حجورهن ، ونشأت بين أيديهن ، ولم أعرف غيرهن ، ولا جالست
الرجال ، الا وأنا فى حد الشباب ، وحين تغيل وجهي وهن علمننى القرآن
وروينني كثيرا من الأشعار ، ودربننى فى الخط ولم يكن وكدى ، واعمسال
ذهنى أول فهمى وأنا فى سن الطفولة جدا. الا تعرف أسبابهن ، والبحث
عن أخبارهن ، وتحصيل ذلك ، وأنا لا انسى شيئا مما أراه منهن ، وأصل
ذلك غيرة شديدة. طبعت عليها وسوء ظن فى جهتهن فطرت به فأشرفنست
من أسبابهن على غير قليل " (١) .

ثم يقول : " ولم أزل باحشا عن أخبارهن ، كاشفا عن أسرارهن
وكن قد أنسن منى بكتمان ، فكن يطلعننى على غوامض أمورهن ، ولست
أن أكون منبها على عورات يستعاذ بالله منها لأوردت من تنبهنن

(١) انظر طوق الحمامة - ت د . . مكى ، ص ٧٩ .

فى الشر، ومكرهن فيه ، عجائب تذهل الالباب ... " (٢)

وهكذا ارتبط الصبى على بن أحمد بن سعيد بالمرأة مبكرا
وجعلت عاطفته تنمو وتتطور وفقا لسنى عمره ... ومن هنا شعرت
بدقات الحب بقلبه فى مرحلة متقدمة من حياته وجعل يرصدها
رصدا دقيقا فى حكايات قصيرة عامرة بنبض الحياة ، وحسب
الواقع ... فلنستمع اليه يحدثنا عما يظن أنه أول حب وقع له
فى صباه وكان مع جارية شقراء الشعر، فيقول مؤكدا واقعية القصة
" وعنى أخبرك أننى أحببت فى صباى جارية لى شقراء الشعر، فمما
استحسننت من ذلك الوقت سوداء الشعر، ولو أنه على الشمس أو على
صورة الحسن نفسه ، وانى لاجد هذا فى أصل تركيبى من ذلك الوقت
ولاتواتينى نفسى على سواه ، ولاتحب غيره البتة ... " (٣)

وهذه أيضا قصة واقعية يرويها لنا ... وقعت له أيام صباه
مع جارية نشأت فى دارهم ... تتمتع بجمال باهر، وأخلاق عالية
تجيد الضرب على العود، وتحسن الغناء ... يقول : " وانى لأخبرك
عنى أنى ألفت فى أيام صباى ألفة المحبة، جارية نشأت فى دارنا
وكانت فى ذلك الوقت بنت ستة عشر عاما، وكانت غاية فى حسن وجهها
وعقلها، وعفافها ، وطهارتها، وخفرتها، ودماشتها، عديمة الهزل ، منيعة

(٢) انظر طوق الحمامة - ت د د - مكى ص ١٦٥ .

(٣) طوق الحمامة ص ١٢٤ .

البذل، بديعة البشر، مسبلة الستر، فقيدة الذام، قليلة الكلام
مغضوبة البصر، شديدة الحذر، نقية من العيوب، دائمة القطوب، حلوة
الاعراض مطبوعة الانقباض، مليحة الصدود، رزينة القعود، كشيـــــرة
الوقار، مستلذة النفار، لاتوجه الارجي نحوها، ولاتقف المطامع عليها
ولامعرس للامل لديها فوجهها جالب كل القلوب، وحالها طارد مســــن
أمرها، تزدان في المنع والبخل، مالايزدان غيرها بالسماحة والبذل
موقوفة على الجد في أمرها، غير راغبة في اللهو . . . " .

فتأمل هذه الصفات التي أسبغها عليها، وهذه الديباجة
التي كساها بها، مما يدل دلالة واضحة على شدة ولوعه بها، ومــــدى
اخلاصه لها، لدرجة أنها اكتسحت كل من معها من الجوارى، وفاقت كل
الحسناوات . . . وما ذلك الا لأن ابن حزم اذا أعجب أفرط فــــى
الاعجاب . . . وكان من أسباب هذا الاعجاب، والحب الشديد كما يقول
(أنها كانت تحسن العود احسانا جيدا . . . فجنحت اليها، وأحبتها
حبا مفرطا شديدا، فسعيت عامين أو نحوهما، أن تجيبنى بكلمة
وأسمع من فيها لفظة، غير مايقع في الحديث الظاهر الى كــــل
سامع، بأبلغ السعى فما وصلت من ذلك الى شيء البتة . . . " . وكان
يحاول أن يقابلها لينظر اليها، ويأنس بقربها في " مصطنع " فــــى
دارهم يجتمع فيه بعض نساءهم وأقاربهم . . . ثم يعيد المحاولة
في النظر اليها، فيقصد نحو الباب الذي هي فيه أنسا بقربها
متعرضا للذنو منها، فما هو الآن تراه على مقربة منها، فتتــــسرك

ذلك الباب وتقصد غيره في لطف ورقة ، ويعيد الكرة كما يقول :

" فأتعمد أنا القمد الى الباب الذى صارت اليه فتعود السى
مثل ذلك الفعل من الزوال الى غيره . . . " ثم يقول : " وكانت قسـد
علمت كلفى بها ، ولم يشعر سائر النسوان بما نحن فيه ، لانهن
كن عددا كثيرا ، واذا اكلهن يتنقلن من باب الى باب لسبب الاطلاع
من بعض الابواب على جهات لا يطلع من غيرها عليها . . . " (٤) وكانت
على يقين بحبه لها من غير حاجة الى تصريح ، او بوح . . . وهذا هو
شأن النساء فى مثل هذه الاشياء . . . يقول : " وأنا أعلم
أن قيافة النساء فيمن يميل اليهن أنفذ من قيافة مدلج الآثار . . . "
ثم يتحدث عن أثر غنائها فى نفسه ، ووقعه فى قلبه كما يعكسه هذا
الخبير " رغب عجائزنا وكراثمنا الى سيدتها فى سماع غنائها
فأمرتها فأخذت العود وسوته بخفروخجل لاعهد لى بمثله ، وان الشئ
يتضاعف حسنه فى عين مستحسنة ، ثم اندفعت تغنى . . . فلعمرى لكأن
المضراب انما يقع على قلبى ، وما نسيت ذلك اليوم ولا أنساه السى
مفارقتى الدنيا ، وهذا أكثر ما وصلت اليه من التمكن من رؤيتها
وسماع كلامها . . . " وينقطع عنها فترة من الزمن لنكبة أمت به
حتى صار فى احد الايام عندهم جنازة لبعض أهله . . . وكانت هذه
الجارية ترفع صوتها بالبكاء . . . وهى فى جملة البواكى

والنوادب ... ولم يشغله الموقف الحزين عن تذكر أيامه التي مضت، وهو يتابعها في " المصطنع " من باب الى باب ... استمع اليه يقول : " فلقد أثارنا جدا دفيننا، وحركت ساكننا، وذكرتنا عهدنا قديما، وجبا تليدا، ودهرا ماضيا، وزمنا عافيا، وشهورا خوالا وأخبار بوالى، ودهورا فوانى، وأياما قد ذهبت ... وآثارا قد دثرت، وجددت أحزاني، وهيجت بلابلى، على أنى كنت فى ذلك النهار مرزأ مصابا من وجوه وما كنت نسيت ولكن زاد الشجر وتوقدت اللوعة وتأكد الحزن وتضاعف الاسف، واستجلب الوجد ما كان منه كامنا قلباه مجيبا ... " (٥) هذا ما كان من قصته معها وهى فى نضارة شبابها وله معها لقاء وقد تغير حسنها، وذهبت ملامح بهجتها، وذلك تبدل الاحوال فقد عدمت كما يقول " الصيانة التى كانت غديت بها أيام دولتنا، وامتداد ظلنا ... " ومع ذلك فهو يتحسر عليها وعلى تلك الايام الجميلة التى حرم فيها من تمكنه من وصلها فيقول فى ذلك : " وانى لو نلت منها أقل الوصل وأنست لى بعض الانس، لخولطت طربا، أو لمت فرحا، ولكن هذا النفار الذى صبرنى وأسلانى ... " (٦)

ويروى لنا قصة مع جارية نشأ معها فى الصبا، وقد غاب عنها

(٥) طوق الحمامة ص ١٤٨ .

(٦) طوق الحمامة ص ١٤٨ .

أعواما كثيرة، ثم ضمه المبيت ليلة لدى امرأة من معارفه مشهورة
بالصلاح ... وكانت الجارية عندها ... وتأتى هذه القصة شاهدا
على عفة ابن حزم ... ولنتركه يحدثنا عنها فيقول :

" ولقد ضمنى المبيت ليلة فى بعض الازمان عند امرأة من
بعض معارفى مشهورة بالصلاح والخير والحزم ،ومعها جارية من
بعض قراباتها من اللاتى قد ضمنى معها النشأة فى الصبا ، ثم
غبت عنها أعواما كثيرة ، وكنت تركتها حين أعصرت (٧) ووجدتها
قد جرى على وجهها ماء الشباب ، ففاض وانساب ، وتفجرت عليها
ينابيع الملاحة ، فترددت وتحيرت وطلعت فى سماء وجهها نجوم الحسن
فأشرقت وتوقدت، وانبعثت فى خديها أزاهير الجمال، فتمت واعتمت ...
وكانت من أهل بيت صباحة ، وقد ظهرت على صورة تعجز الوصاف
وقد طبق وصف شبابها قرطبة ... " (٨) يقول أبو محمد : " فبنت
عندها ثلاث ليال متوالية ولم تحجب عنى على جارى العادة فى
التربية . فلعمري لقد كاد قلبى أن يصبو ويثوب اليه مرفوض
الهوى ، ويعاوده منسى الغزل . ولقد امتنعت بعد ذلك من دخول
تلك الدار ، خوفا على لبي أن يزدهيه الاستحسان، ولقد كانت هى وجميع
أهلها ممن لاتتعدى الاطماع اليهن، ولكن الشيطان غير مأمسسون
الغوائل ... " (٩) هكذا كان الجمال يثير عاطفة ابن حزم ويسحر

(٧) فى بعض الطبقات اعمرت .

(٨) ص ١٦٥ .

(٩) ص ١٦٦ .

ليه ، ويذكره بماض يحبه ويحن اليه لما له فيه من ذكريات
معطرة ...

وان ابن حزم ليس بدعا في هذا ... بل ان استحسان المصور
الجميلة طبيعى فى النفس ... وقد رأينا عدم قدرة أبى محمد على
كبح جماح قلبه عندما كاد يصبو ويثوب اليه مرفوض الهوى ... ولم
يجد سبيلا للبعد عن الفتنة الا بالامتناع عن دخول تلك الدار
خوفا ان يزدنيه سحر الجمال، فيقع فيما لاتحمد عقباه ... مهمسا
كانت عفة الجارية، ومكانة أهلها المرموقة ... فللشيطان سبل
شتى فى اشارة شهوة الرجل والمرأة ...

ويقص أبو محمد علينا خبر حب وقع له مع فتاة اسمها " نعم "
كان قد فجع بفقدتها فسيطر عليه الاسى ، وكانت سته دون العشرين
أما هى فكانت تمغره قليلا ... يقول : " وعنى أخبرك أنى أحد من
دهى بهذه الفادحة (١٠) وتعطلت له هذه المصيبة ، وذلك أنى كنت
اشد الناس كلفا ، واعظمهم حبا بجارية لى كانت فيما خلا اسمها
" نعم " وكانت امنية المتمنى ، وغاية الحسن خلقا ، وخلقيا ، وموافقا
لى ، وكنت اباعدها ، وكنا قد تكافأنا المودة ، ففجعتنى به
الاقدار ، واخترمتها الليالى ومر النهار ، وصارت ثالثة التسرراب
والاحجار ، وسنى حين وفاتها دون العشرين سنة ، وكانت هى دونى فى

السن ، فلقد اقامت بعدها سبعة اشهر لا تجرد عن ثيابي ، ولا تفتري لى
دمعة على جمود عيني ، وقللة اسعاده ، وعلى ذلك فوالله ماسلوت حتى
الان ، ولو قبل فداء لفديتها بكل ما املك من تالد وطارف ، وبيع
اعضاء جسمى العزيزة على ، مسارعا طائعا ، وماطاب لى عيش بعده
ولانسيت ذكرها ولا آنس بسواها ، ولقد عفى حبي لها على كل ما قبله
وحرم ما كان بعده " • (١١)

فلنتأمل هذه الرقة تصدر من هذه النفس الشفافة ، وهى
المشاعر الصادقة يبعثها ابو محمد مليئة بالحزن والالم ... وما ذلك
الا لعظم شأن الحب عنده ... ووفائه واخلاصه لمحبيه حتى يعسده
البيين مهما بعد الزمان ...

وكان ابو محمد نهما فى الوصل •• وله قصص فى ذلك تنقض قول
من يدعى " أن دوام الوصل يودى بالحب ... فيرد قائلا : " وهذا
هجين من القول ، انما ذلك لاهل الملل ، بل كلما زاد وصلا زاد اتصالا
وها هو ذا يحدثنا عن نفسه قائلا : " وعنى أخيرك أنى مارؤيت قط
من ماء الوصل ولا زادنى الاظما ، وهذا حكم من تراوى برأيه ، وان رفه
عنه سريعا ولقد بلغت من التمكن بمن أحب أبعد الغايات التى
لا يجد الانسان وراءها مرمى ، فما وجدتنى الا مستزيدا ، ولقد طال بى
ذلك فما أحسست بسامة ولا رهقتنى فترة ... " (١٢) •

(١١) انظر ص ١٢٤ •

(١٢) طوق الحمامة ص ٩٢ •

واستمع اليه وهو يصور العلاقة بين قرب الوصال واشتعال
الاشواق ، يقول : " ولقد ضمنى مجلس مع بعض من كنت أحب ، فلــــم
اجل خاطرى فى فن من فنون الوصل ، الاوجدته مقصرا عن مرادى ، وغير
شاف وجدى ، ولاقاض اقل لبانه من لباناتى ، ووجدتنى كلمــــا
ازددت دنوا ازددت ولوعا ، وقد حث زناد الشوق نار الوجد بيــــن
ضلوعى .. " (١٣) وهكذا نجد أبا محمد يصل به الوله بالمحب السى
أبعد غاياته حتى انه لايجد مسلكا يوصله اليه الاأخذ به ، وماهذه
القصة الاشاهد على حرص ابن حزم على اخراج هذه التجارب التــــى
طالما أرقت ليله ، وشغلت باله .. وهى وان دلت على شىء فانما تدل
على تذوق ابن حزم للحب العذرى الذى طالما تغنى به الشعراء ..
وتغنى به ابن حزم .

والوصل فى نظر ابى محمد " حظ رفيع ومرتبة سرية ، ودرجة
عالية ، وسعد طالع بل هو الحياة المجددة ، والعيش السنى ، والسرور
الدائم ، ورحمة من الله عظيمة ..

ويسترسل أبو محمد فى حديثه عن الوصل قائلا : " ولقد جربت
الذات على تصرفها ، وأدركت الحظوظ على اختلافها ، فما للذنو مســــن
السلطان ، ولاللمال المستفاد ، ولا للآمن بعد الخوف .. من الموقع فى
النفس ماللوصل ، لاسيما بعد طول الامتناع ، وطول الهجر ، حــــتــــى

يتأجج عليه الجوى ويتوقد لهيب الشوق ، وتتفروم نار الرجاء ... " (١٤)

ولا يظن ظان من خلال هذا الكلام أن ابن حزم يريد هنا الوصول
الحرام كلا .. فان ذلك لا يتأتى ممن هو فى منزلته ، ويؤيد ذلك
قوله : " ... يعلم الله وكفى به عليما ، أنى برىء الساحة ، سليم
الاديم ، صحيح البشرة ، نقى الحجرة ، وانى أقسم بالله أجل الاقسام
أنى ما حطت مئزرى على فرج حرام قط ، ولا يحاسبنى ربي بكبيرة الزنا
مذ عقلت الى يومى هذا ، والله المحمود على ذلك ، والمشكور فيما
مضى ، والمستعصم فيما بقى ... " (١٥)

وإذا أردنا أن نتحقق من عفة ابن حزم فلنستمع الى هذه
القصة يرويها عن نفسه قائلا : " وانى أذكر أنى دعيت الى
مجلس فيه من تستحسن الایمار صورته وتألفه القلوب أخلاقه
للحديث والمجالسة دون منكر ولا مكروه ، فسارعت اليه ، وكان هذا
سحرا . فبعد ان صليت الصبح وأخذت زبي طرقتى فكر فسنتحت لى
أبيات ، ومعنى رجل من اخوانى ، فقال لى : ما هذا الاطراق ؟ فلم
أجبه حتى أكملتها ، ثم كتبتها ، ودفعتها اليه ، وأمسكت عن المسير
حيث كنت نويت ... " .

وابن حزم جرى فى ذلك على مزاجه الشاعرى الذى يعجب

(١٤) انظر ص ٩٠ .

(١٥) انظر ص ٩٠ - ٩١ .

بمجالى الحسن فى شتى صور الكائنات ... ومع ذلك لديه القدرة على الرجوع الى الاتزان النفسى ... فاذا به يروع هواه ... ويكبح جماح نفسه ، وينأى عماليتفق مع العفة ، والصيانة حتى يبتعد عما عسى أن يوقع الناس فى سوء الظن به .

تلك هى أهم القمص العاطفية لآبى محمد بن حزم ... وهى فى دقة واقعبتها وصدق تجربتها تعبر عن هوى كامن فى نفس صاحبهـــــــا لم يسعه كتمانها ، ولاكبتة ... فأخرجه الينا فى ضوء هذه الاعترافات الجريئة الصريحة ...

وينقلنا الحديث مع أبى محمد ليجل طائفة طيبة مـــــــن ملحوظاته الذكية المرتبطة بخبراته ومعاناته الشخصية فى الحساب وأولى هذه الملحوظات : بيان ماهية الحب ... وكيفية بدايتهـــــــه ونهايته ... ومدى دقة أسبابه ، وجلالة معانيه ... اذ يقول :

" والحب - أعزك الله - أوله هزل ، وآخره جد ، دقت معانيه

لجلالتها عن أن توصف فلا تدرك حقيقتها الا بالمعانة " ... (١٦)

ثم يوضح ماهية الحب بعيدا عن التجربة ، ولكن فى ضوء تأثراته الافلاطونية فيقول : " والذى أذهب اليه أنه اتصال بين أجـــــــزاء النفوس المقسومة فى هذه الخليقة فى أصل عنصرها الرفيع " . (١٧)

(١٦) طوق الحمامة ص ١٩ .

(١٧) طوق الحمامة ص ٢١ .

وكذلك يعرف العشق على نفس الطريق فيقول : " انه استحسان
روحانى وامتزاج نفسانى " (١٨) ... ويرى " أن محبة العشــــــــق
الصحيح الممكن من النفس لافناء لها الا بالموت " (١٩) ... وأن جميع
اجناس الحب " منقضية بانقضاء عليها، وزائدة بزيادتها، وناقصة
بنقصانها ومتأكدة بدنوها، فاترة ببعدها حاشا محبة العشق " (٢٠)
والحب لا يقع الا على الصورة الحسنة، ويعلل ذلك ابن حزم بقوله
" وأما العلة التى توقع الحب أبدا فى أكثر الامر على الصورة
الحسنة، فالظاهر أن النفس حسنة تولع بكل شىء حسن، وتميل إلى
التصاوير المتقنة فهى اذا رأت بعضها تثبتت فيه، فاذا ميــــــــزت
وراءها شيئا من أشكالها لم يتجاوز حبها الصورة . وذلك هو
الشهوة ... وان للصور لتوصيلا عجيبا بين أجزاء النفســــــــوس
الناثية ... " (٢١)

ثم يعود الى منهجه الاصيل مبتعدا عن مثاليات الافلاطونية
منعطفًا الى طريقه الاثير : طريق المعاناة والتجربة الذاتية
فيقول : " والحب - أعزك الله - داء عياء وفيه الدواء منه على
قدر المعاملة، ومقام مستلذ، وعلّة مشتهاة، لا يود سليمها اليــــــــرء

(١٨) طوق الحمامة ص ٢٢ .

(١٩) انظر ص ٢٢ .

(٢٠) انظر ص ٢٢ .

(٢١) انظر ص ٢٤ .

ولا يتمنى عليها الافاقه ... يزين للمرء ما كان يأنف منــــــــــــــــــــه
ويسهل عليه ما كان يصعب عنده حتى يحيل الطبايح المركبة والجليلة
المخلوقة " . (٢٢)

ومن خلال ذلك نلاحظ أن ابن حزم لم يجد حرجا فى أن يعتسرف
بعدد من تجاربه العاطفية ... وما حديثه عن علامات الحب الأدليــــــــــــــــــــل
صريح على صدق تجاربه وواقعيتهما ... فتأمله يقول : " وللحسب
علامات يقفوها الفطن، ويهتدى اليها الذكى ... فأولها : ادمــــــــــــــــــــان
النظر ، والعين باب النفس الشارع وهى المنقبة عن سرائرها ، والمعبرة
لضماثرها ، والمعربة عن بواطنها ، فترى الناظر لا يظرف يتنقــــــــــــــــــــل
بتنقل المحبوب ، وينزوى بانزوائه ، ويميل حيث مال كالحرباء مع
الشمس " . (٢٣)

ويستمر فى تعداد علامات الحب فيقول : " ومنها الاقــــــــــــــــــــبال
بالحديث فما يكاد يقبل على سوى محبوبه ، ولو تعمد ذلك " . (٢٤) ...
ومن هذه العلامات أيضا " الانصات لحديث المحبوب اذا حدث ، واستغراب
كل ما يأتى به ، ولو أنه عين المحال ، وخرق العادات ، وتصديقــــــــــــــــــــه
وانكذب ، وموافقته وان ظلم ، والشهادة له وان جار ، واتباعه كــــــــــــــــــــف

(٢٢) انظر ص ٢٦، ٢٥ .

(٢٣) انظر طوق الحمامة ص ٢٧ .

(٢٤) انظر طوق الحمامة ص ٢٧ .

سلك ، وأى وجه من وجوه القول تناول .. ومنها الإسراع بالسيير نحو المكان الذى يكون فيه ، والتعمد للقعود بقربه والدنو منه وإطراح الأشغال الموجبة للزوال عنه ... والزهد، والرغبة عنها والاستهانة بكل خطب جليل داع إلى مفارقتها، والتباطؤ فى المشى عند القيام عنه ... " (٢٥) ويواصل حديثه عن هذه العلامات مصورا لنا الحالة النفسية للمحب عندما يرى حبيبه فيقول : " ومنها ما يهت يقع ، وروعة تبدو على المحب عند رؤية من يحب فجأة وطلوعه بغتة ... " (٢٦) ولم يقف الأمر بحالة المحب عند رؤية محبوبه فحسب ، بل إن رؤية أى من الناس له شبه بمحبوبه أو ذكر أى شيء يتعلق به ليثير تغيرا على قسما وجهه ولاسيما عند ذكر اسمه وهذه الصفات من أبرز علامات الحب ، وهى لم تصدر من فراغ بل هى نتاج تجربة صادقة ... ولنسمعها من لسان أبى محمد ... يقول :

"ومنها اضطراب يبدو على المحب عند رؤية من يشبه محبوبه أو عند سماع اسمه فجأة ... " (٢٧) ثم يحدد وقت ظهور هذه العلامات بقوله : " وهذه العلامات تكون قبل استعمار نار الحب وتأجج حريقه ، وتوقد شعله ، واستطارة لهبه ... " (٢٨)

(٢٥) انظر طوق الحمامة ص ٢٧ .

(٢٦) انظر طوق الحمامة ص ٢٧ .

(٢٧) انظر ص ٢٧ .

(٢٨) انظر ص ٢٨ .

والحب المتمكن يجعل صاحبه لا يكاد يحس بأحد من الناس سوى محبوبه ، يقول في ذلك : " فأما إذا تمكن وأخذ مأخذه فحينئذ ترى الحديث سرارا ، والاعراض عن كل ما حضر الا المحبوب جهارا . " (٢٩) .

ثم يتابع حديثه مفعلا القول في الظواهر النفسية والسلوكية " ومن علاماته الانبساط الكثير الزائد والتضايق في المكان الواسع والمجاذبة على الشيء يأخذه احدهما ، وكثرة الغمز الخفى ، والمييل بالالتكأ ، والتعمد لمس اليد عند المحادثة ولمس ما أمكن من الأغصاء الظاهرة وشرب فضلة ما ابقى المحبوب في الاناء ، وتحري المكان الذى يقابله فيه . . . " (٣٠) . . . ولا يقف عند هذه العلامات المتوافقة في عالم الحب والمحبين - بل يرصد ظواهر من السلوك تبدو وكأنها متنافرة وتلحظ وكأنها متضادة على قدر الدواعى الدافعة ، والعوارض الباعثة ، والاسباب المحركة ، والخواطر المهيجة ، شتبين ذلك من خلال حديثه عن تكافؤ المحبين الذى يقول عنه " فنجد المحبين اذا تكافيا في المحبة وتأكدت بينهما تأكدا شديدا ، أكثر بهما جدهما بغير معنى ، وتضادهما في القول تعمدا ، وخروج بعضهما على بعض فى كل يسير من الامور ، وتتبع كل منهما لفظة تقع من صاحبه

• (٢٩) انظر ص ٢٨

• (٣٠) انظر ص ٢٨

وتأولها على غير معناها ... " (٣١) ويعلق على ذلك بقوله

" كل هذه تجربة ليبدو ما يعتقده كل واحد منهما في صاحبه " (٣٢)

ثم يشرح "سيكولوجية" الخلاف بين المحبين ... ويبين الفرق

الفارق بينه وبين الخلاف عند سائر الناس فيقول " والفرق بين

هذا وبين حقيقة والمضادة المتولدة عن الشحاء ، ومخارجة التشاجر

سرعة الرضا ... فانك بينما ترى المحبين قد بلغا الغاية

من الاختلاف الذي لا يقدر ، يملح عند الساكن النفس ، السالم من

الاحقاد في الزمن الطويل ، ولا يجبر عند الحقود ابدا ... فلاتليست

أن تراهما قد عادا الى اجمل الصبة ، واهدت المعاتبية

وسقط الخلاف ، وانصرفا في ذلك الحين بعينه الى المضاحكة

والمداعبة ... " (٣٣) ويؤكد هذا من تجاربه بقوله : " ودونكها

تجربة صحيحة وخبرة صادقة " . (٣٤)

ويواصل شيخنا حديثه في علامات الحب : " ومن أعلامه أنك

تجد المحب يستدعي سماع من يحب ، ويستلذ الكلام في اخباره ، ويجعلها

هجيره ولا يرتاح لشيء ارتياحه لها ، ولا يئنه عن ذلك تخوف

(٣١) انظر ص ٢٩، ٢٨ .

(٣٢) انظر ص ٢٩، ٢٨ .

(٣٣) انظر ص ٢٩ .

(٣٤) انظر ص ٢٩ .

أن يظن السامع ويفهم الحاضر .. " (٣٥) ويستشهد لذلك بالمثل
القائل : " وحبك الشيء يعنى ويصم " . ولذلك فالمحب " لو أمكن
ألا يكون حديث فى مكان يكون فيه الاذكر من يحب لماتعداه " . (٣٦)
وصدق المحبة يعرض صاحبه الى كثير من المشاق فهو يتعرض
للجوع ويفقد شهيته، ويغص بطعامه ، ونحو ذلك " ويعرض للصادق
المودة أن يبتدىء وهو له مشتة فما هو الا وقت ، ماتحتاج له من
ذكر من يحب ، صار الطعام غمة فى الحلق ، وشجى فى المرء ، وهكذا
فى الماء وفى الحديث ، فانه يفاتحكه مبتهجا ، فتعرض له خطرة
من خطرات الفكر فيمن يحب ، فتستبين الحوالة فى منطقـــــــــــــــــه
والتقصير فى حديثه .. " (٣٧) ويعرف ذلك فى ملامح وجه المحب فى
حركاته وسكناته ، وسائر تعرفاته .. يقول : " وآية ذلك : الوجوم
والاطراق ، وشدة الانغلاق ، فبيتما هو طلق الوجه ، خفيف الحركات ، صار
منطيقا متشاغلا ، حائر النفس جامد الحركة ، يبرم من الكلمــــــــــــــــة
ويضجر من السؤال .. " (٣٨) ولاريب أن هذه الاحكام لاتصدر الامم
عاشها ، وخاض غمار تجاربها بنفسه . وهذا الداء لاينفك عن صاحبه

• انظر ص ٢٩ (٣٥)

• انظر ص ٢٩ (٣٦)

• انظر ص ٢٩ (٣٧)

• انظر ص ٣٠ (٣٨)

فتجده كما يقول : يميل لحب الوحدة، ويأس بالانفراد ... (٣٩) ولذلك تجده نحيل الجسم دونما سبب يذكر أو وجع يمنعه من التقلب والحركة والمشى ... فهذا كما يقول " دليل لا يكذب ومخبر لا يخون عن كلمة فى النفس كامنة ... " (٤٠) وبقليل من التمعن فى هــ الكلمات نحس بما فيها من صدق التجربة، وحرارة العاطفة، وارتفاع النبض والاستراحة الى البوح بما يعتل فى الصدر . وأعراض الحب كثيرة منها : " الجرع الشديد والحمرة المتقطعة، تغلب عندمـا يرى من اعراض محبوبه عنه ونفاره منه ، وآية ذلك الزفير وقلبة الحركة، والتأوه، وتنفس المعداء ... " (٤١)

ومن خصال المحب أن عاطفته لاتقتصر على حبيبه فحسب ... ولكنها ترحب وتتسع حتى تشمل أهل محبوبه، وقرابته، وخاصته، حتى يكونوا أحظى لديه من أهله ونفسه، ومن جميع خاصته ... " (٤٢)

والحب الذى يدوم فى نظره هو ذلك الذى لا يأتى الا بعد عناء شديد، وصبر طويل، وملاحظة، وهذا هو مذهبه الذى يعبر عنه بقوله " ومن الناس من لاتصح محبته الا بعد طول المخافتة، وكثير المشاهدة

• (٣٩) انظر ص ٣٠

• (٤٠) انظر ص ٣٠

• (٤١) انظر ص ٣٢

• (٤٢) انظر ص ٣٢

ومتماذى الانس وهذا الذى يوشك أن يدوم ويثبت، ولا يحيك فيه مـسـر
الليالى ،فما دخل عسيرا لم يخرج يسيرا ،وهذا مذهبى " (٤٣) فتأمل
قوله " وهذا مذهبى " ،والذى نلاحظه أنه يسجل ذلك ،وهو يعانى
وليس لمجرد التسلية والتفكه ،لانه يمقت من يجب من نظرة واحـدـة
لان ذلك فى رأيه ضرب من الشهوة ،تأمل كيف يدافع عن هذا المذهب
فيقول : " ومالصق بأحشائى حب قط الامع الزمن الطويل ،وبعد ملازمة
الشخص لى دهرا ،وأخذى معه فى كل جد وهزل ... ولا أسرعت السـى
الانس بشيء أول لقائى له ،ولارغبت فى الاستبدال الى سبب مـسـن
أسبابى ،مذ كنت لأقول الافى الالاف والاخوان وحدهم ،ولكن فى كل
مايستخدم الانسان من ملبوس ومركوب ومطعم ،وغير ذلك " . (٤٤) وهو
لا يقوى على الفراق ،ويظل مشغول البال ،لا يهنأ بعيش ،وتذكـر
لماضيه يحرمه من لذة الحياة ،ويفقده بهجتها ،ويبقى اسير همومه
" وما انتفعت بعيش ،ولافارقنى الاطراق ،والانغلاق ،مذ ذقت طعم
فراق الاحبة ،وانه لشجى يعتادنى ،وولوع هم ماينفك يطرقنى ،ولقد
نغص تذكرى لمامضى كل عيش استأنفه ،وانى لقتيل الهموم فى عسداد
الاحياء ،ودفين الاسى بين اهل الدنيا ،والله المحمود على كل حال
لاله الا هو " (٤٥) ويعقب على هذا الطبع الذى طبع عليه مـسـن

(٤٣) انظر ص ٤٣، ٤٢ .

(٤٤) انظر ص ٤٤ .

(٤٥) انظر ص ٤٥ .

ذلك لا يخالف ماذهب اليه في صدر الرسالة من أن الحب اتصال بيــــن
أجزاء النفوس في أصل عالمها العلوي ... بل هو مؤكد له " (٤٦)
وفي كيفية التوصل الى المحبوب يرى أن " أول ما يستعمل
طلاب الوصل ، أو أهل المحبة فيكشف ما يجدونه الى أحبهم : التعريض
بالقول " ويكون ذلك التعريض " اما بانشاد شعر، أو بارسال مــــســــل
أو تسمية بيت ، أو طرح لغز أو تسليط كلام " . (٤٧)
ثم تختلف وسائل التعريض بالقول بحسب الموقف، فهناك نوع من
التعريض لا يكون الا بعد ارسال الشعر أو المثل ، وحصول الـــــــرد
بالاتفاق ، والتأكد من المحبة للمحبوب ، فاذا عرف ذلك ، وأحسس
بالقرب منه " فحينئذ يقع التشكى وعقد المواعيد، والتقريبـــــــر
واحكام المودات بالتعريض ، وبكلام يظهر لسامعه منه معنى غيـــــــر
ما يذهبان اليه ، فيجيب السامع عنه بجواب غير ما يتأدى الى المقصود
بالكلام ، على حسب ما يتأدى الى سمعه ، ويسبق الى وهمه ، وقد فهم كل
واحد منهما عن صاحبه ، وأجابه بما لا يفهمه غيرهما ، الا من أيســـــــد
بحس نافذ ، وأعين بذكاء ، وأمد بتجربة ، ولا سيما ان أحس من معانيهما
بشيء ، وقلمما يغيب عن المتوسم المجيد ، فهناك لاختفاء عليه قيمـــــــا
يريدان " . (٤٨)

(٤٦) انظر ص ٤٥ .

(٤٧) نفس المصدر ص ٥٢ .

(٤٨) نفس المصدر ص ٥٢ .

ومتى استطاع المحب أن يعرض بالقول، ووقع القبول، تلاه الإشارة بلحظ العين ... وللإشارة بلحظ العين طرق ومعان يصفها لنا بقوله " وأنا واصف ماتيسر من هذه المعانى : فالإشارة بمؤخر العين الواحدة نهى عن الامر، وتفتيرها اعلام بالقبول، وادامة نظرها آية الفرح، والإشارة الى اطباقها دليل على التهديد، وقلب الحدقة الى جهة ما ثم صرفها بسرعة تنبيه على مشار اليه، والإشارة الخفية بمؤخر العين كليهما سؤال، وقلب الحدقة من وسط العين الى الموق بسرعة شاهد المنع، وترعيد الحدقتين من وسط الحدقتين نهى عام، وسائر ذلك لا يدرك الا بالمشاهدة ... " (٤٩)

وللعين فى طرق الحب وظائف كثيرة ... منها أنها "تنوب عن الرسل، ويدركيها المراد، والحواس، الأربح ابواب الى القلب ومنافذ نحو النفس والعين أبلغها، وأصلحها دلالة، وأوعاها عمسلا وهى رائد النفس الصادق ودليلها الهادى، ومرآتها المجتوبة التى تقف على الحقائق وتميز الصفات، وتفهم المحسوسات، وقد قيل : ليس المخبر كالمعادين، وقد ذكر ذلك " أفليمون* " صاحب الفراسة، وجعلها معتمدة فى الحكم، وبحسبك من قوة العين أنها اذا لاقى شعاعها مجلوا صافيا اما حديدا مفصولا، او زجاجا او ماء او بعض الحجارة الصافية او سائر الاشياء المجتوبة البراقة ذوات الرفيف والبصيص

(٤٩) نفس المصدر ص ٥٤ .

(*) " أفليمون " أشهر مؤلف اغريقي فى علم الفراسة، وقد ازدهر فى القرن الثانى للميلاد . (نفس المصدر، ص ٢٥٤).

واللمعان، يتمل أقصى حدوده بجسم كثيف سائر مناع كدر ، انعكس شعاعها ، فأدرك الناظر نفسه ومازها عيانا، وهو الذى ترى فسى المرأة ، فأنت حينئذ كالناظر اليك بعين غيرك ... " (٥٠)

فإذا كان الامتزاج بين المحبين بدأت المحبة تتخذ نمطا هو المراسلة وفى ذلك يقول : " ينبغى أن يكون شكل الكتاب أطف الاشكال ، وجنسه املح الاجناس ، ولعمري ان الكتاب للسان فسى بعض الاحايين اما لخصر فى الانسان ، واما لحياء ، واما لهيبة " (٥١)

ويؤكد ذلك قائلا : " نعم ، حتى ان لوصول الكتاب الى المحبوب ، وعلم المحب أنه قد وقع بيده ورآه ، للذة يجدها المحب عجيبة تقوم مقام الرؤية ... وان لرد الجواب والنظر اليه سرورا يعدل اللقاء ، ولهذا ترى العاشق يفتح الكتاب على عينيه وقلبه ، ويعانقه " . (٥٢) فهذا هو تأكيد المجرب والممحص لاساليب الود بين المتحابين .

ولابد لهذا الاسلوب من سفير يوصل الرسالة الى المحبوب فيرى أنه " يجب تخيره وارتياحه واستجادته واستفراجه ، فهو دليل عقل المرأة ، وبيده حياته ، وموته ، وستره وفضيحته بعد الل

(٥٠) نفس المصدر ص ٥٦،٥٥ .

(٥١) نفس المصدر ص ٥٦ .

(٥٢) نفس المصدر ص ٥٦ .

تعالى " (٥٣)

ثم يذكر أن المحبين قد تعودوا أن يستعملوا في ارسال رسائلهم الى أحبهم " اما خاملا لايؤيه له، ولا يهتدى للتحفظ منه لصباه أو لهيعة رثة أو بذاذة في طلعتة . . . واما جليلا لالتحقه الظنن لانسك يظهره، أو لسن عالية قد بلغها وما أكثر هذا في النساء ولاسيما ذوات العكاكيز والتسابيح والثوبين الاحمرين " (٥٤)

وهو لا يرى صلاح هذا الصنف ولا سابقه للمراسلة لان هذا الصنف معروف وكثيرا ما يحذر النساء المحدثات منهن، فيقول : " وانسى لاذكر بقرطبة التحذير للنساء المحدثات من هذه الصفات حيثما رأيتها " . (٥٥)

وكذلك ذوات الصنعة، قد يمتنهن مهنة السفارة بين المحبين لان صنعتن تساعدن على ذلك " كالطبيبة، والحجامة، والسراقسة والدلالة، والماشطة، والناثحة، والمغنية، والكاهنة، والمعلمة والمستخفة، والصناع في المغزل والنسيج، وما أشبه ذلك " . (٥٦)

ونظرا لدخول هؤلاء كل البيوتات، فهن سفيرات يحتجن الى

• (٥٣) طوق الحمامة ص ٥٨

• (٥٤) طوق الحمامة ص ٥٨

• (٥٥) طوق الحمامة ص ٥٨

• (٥٦) طوق الحمامة ص ٥٨

الفحص والتروى وقد يكون السفير ذا قرابة من المرسل اليه... وهذا الصنف أقدر من غيره على استمالة المحبوب... وهنا يعلق ابن حزم بقوله: " فكم منيع سهل بهذه الاوصاف وعسير يسر، ويعيد قسرب وجموح أنس، وكم داهية دعت الحجب المصونة والاستار الكثيفة والمقاصير المحروسة، والسدود المضبوطة، لارباب هذه النعوت " (٥٧) وللحب قدرة عجيبة على تغير التركيب النفسى للمحب اذ ينسية كبرياءه، وينزل عند رغبة محبوبه صاغرا... مهما كان حرا وشهما وأبيا... فان الحب كقيل بتذليل هذه الانفة والانتصار على الشهامة والاباء، يقول أبو محمد: " ومن عجب ما يقع فى الحب طاعة المحب لمحبوبه، وصرف طباعه قسرا الى طباع من يحبه، وترى المرء شرس الخلق، صعب الشكيمة، جموح القيادة، ماضى العزيمة، حوى الانف آبن الخسف، فما هو الا أن يتنسم نسيم الحب، ويتورط غمره، ويعوم فى بحره، فتعود الشراسة لياننا، والصعوبة سهلة، والمضاء كلالسة والحمية استسلاما " (٥٨)

وعندما تحدث عن آفات الحب جعل العاذل فى مقدمتها لانسه مر بهذه التجربة والعدال اقسام: منها العاذل الزاجر. وهذا "لايفيق أبدا من الملامة وذلك خطب شديد وعبء ثقيل، ووقع لى مشسل

(٥٧) نفس المصدر ص ٥٨ .

(٥٨) نفس المصدر ص ٦٨ .

هذا ... " (٥٩) فتأمل قوله "وقع لى هذا" ألايدل على شعور أبسى محمد بقساوة التجربة، ومرارة العذل بسبب حب وقع فيه ... وقد صرح باسم هذا العاذل وهو أبو السرى عمار بن زياد، وهو كما يقول أكثر من عذله ... بيد أنه كان يتوقع وقوفه بجانبه فى الخطأ والمواب ...

ثم يكشف عن نفسية المرأة بمدد "عاطفة الحب" ويوازن بينها وبين الرجل فى هذه الناحية، فيجد ان المرأة أكثر أصالة وأشد حفاظا لما فى ذلك من أثر وظيفى فى حياتها " ومارأيت الاسعاد أكثر منه فى النساء، فعندهن من المحافظة على هذا الشأن، والتواصى بكتمانه ، والتواطؤ على طيه، اذا اطلعن عليه، ماليس عند الرجال ومارأيت امرأة كشفت سر متحابين الاوهى عند النساء ممقوتة مستثقلة، مرمية عن قوس واحدة، وانه لىوجد عند العجائز فى هذا الشأن ما لىوجد عند الفتيات لان الفتيات منهن ربما كشفن ما علمن على سبيل التغاير وهذا لا يكون الا فى الندرة، واما العجائز فقد يئسن من أنفسهن فانصرف الاشفاق محضا الى غيرهن " (٦٠)

ويسرد لنا أنماطا شتى من تجاربه ، تدل على معرفة قوية بطباع النساء فهذه امرأة ذات شأن ، ولها من المكان والجاه

(٥٩) نفس المصدر ص ٧٦ وما بعدها .

(٦٠) نفس المصدر ص ٧٨ .

مالها، ولها جارية وقعت في شراك الحب، فكانت تقسو عليها، ومسع ذلك لم تبج لها بشيء استمع اليه يقص خبرها : " واني لاعلم امرأة موسرة ذات جوار وخدم، فشاع على احدى جواريتها أنها تعشق فتى من أهلها، ويعشقها، وأن بينهما معانى مكروهة، وقيل ان جاريتهك فلانة تعرف ذلك، وعندها جلية أمرها، فأخذتها، وكانت غليظة العقوبة فأذاقتها من أنواع الضرب والايذاء مالا يبصر على مثله جليداً الرجال رجاء . أن تبوح لها بشيء مما ذكر لها، فلم تفعل البتة " (٦١)

وهذه امرأة " جلييلة حافظة لكتاب الله عز وجل، ناسكة مقبلية على الخير، وقد ظفرت بكتاب لفتى الى جارية كان يكلف بهـ وكان في غير ملكها، فعرفته الامر، فرام الانتكار، فلم يتهيا له ذلك فقالت له : مالك ؟ ومن ذا عصم ؟ فلاتبال بهذا، فوالله لا أطلع على سر كماً أحدا أبداً ، ولو امكنتنى أن أبتاعها لك من مالـ ولو احاط به كله، لجعلتها لك في مكان تصل اليها فيه ولا يشعـ بذلك أحد " (٦٢)

والنساء بصفة عامة كما يقول حريصات كل الحرص على التوفيق بين المحبين مهما كلفهن ذلك حتى " المرأة الصالحة المسنة

(٦١) انظر ص ٧٨ .

(٦٢) انظر ص ٧٨ .

المنقطعة الرجاء من الرجال وأحب أعمالها اليها وأرجاها للقبول عندها ،سعيها في تزويج يتيمة ،واعارة ثيابها وجليها لعــــروس مقلّة " . (٦٣) وسبب هذا الطبع المستفحل في النساء كما يقول " لانهن متفرغات اليبال من كل شيء الامن الجماع ودواعيه ، والغزل واسبابه والتآلف ووجوهه ،لاشغل لهن غيره ،ولاظنن لسواه " . (٦٤) ويستشهد على خلو أذهان النساء مما سوى ذلك بأنه " قرأ في سيرة ملوك السودان أن الملك منهم يوكل ثقة له بنسائه ،يلقــــى عليهن فريبة من غزل الصوف يشتغلن بها أبد الدهر،لانهم يقولون ان المرأة اذا بقيت بغير شغل انما تشوق الى الرجال،وتحن الى النكاح " . (٦٥) ولعمري ان هذه التجارب والخبرات بالنساء لم تصدر من فراغ ... بل هي المعرفة الاكيدة بأسرارهن ... وعاشا ثم دونها لنا ابن حزم ...

ويستمر في شرح آفات الحب ... ومنها الرقيب ،وهو مما يستثقل على المحبين يقول : " شاهدت يوما محبين في مكان قد ظنا أنهمما انفردا فيه ... وتأهبا للشكوى فاستحليا ماهما فيه من الخلووة ولم يكن الموضع حمي فلم يلبثا ان طلع عليهما من كانا يستثقلانه

(٦٣) انظر ص ٧٩ .

(٦٤) نفس المصدر ص ٧٨ .

(٦٥) نفس المصدر ص ٧٨ .

فرآنى فعدل الى ، واطال الجلوس معى ، فلو رأيت الفتى المحب وقد

تمازج الاسف البادى على وجهه مع الغضب لرأيت عجا " . (٦٦)

ويواصل حديثه عن أقسام الرقباء ... فهناك " رقيب قسـد

أحسن من أمرهما بطرف وتوجس من مذهبهما شيئا ، فهو يريد أن يستبين

حقيقة ذلك فيدمن الجلوس ، ويظيل القعود ، ويتخفى بالحركات ، ويرمق

الوجوه ، ويحصل الانفاس وهذا اعدل من الجرب ، وانى لاعرف من هم

ان يباطش- قيبا هذه صفته ... " . (٦٧)

وهناك " رقيب على المحبوب ... وهذا هو البلية لانه لاجيلة

الا بترضيه وإذا ارضى فذلك غاية اللذة ، واما اذا لم يكن من حيلة

الى ترضيه فلاطمع الا بالاشارة بالعين همسا ، وبالحاجب احيانا

والتعريض اللطيف بالقول ... وفى ذلك متعة وبلاغ الى حيلتين

يقنع به المشتاق ... " (٦٨)

وهناك محبان يلتقيان فى حب محبوب واحد .. وكل منهما

رقيب على صاحبه ... ويسجل أبو محمد هذا الموقف الشاك المعقد

فيقول :

" من طريف معانى الرقباء انى اعرف محبين مذهبهما واحدا

فى محبوب واحد بعينه ، فلعهدى بهما كل واحد منهما رقيب على

صاحبه ... " (٦٩)

(٦٦) نفس المصدر ص ٨٠ .

(٦٧) نفس المصدر ص ٨٠ .

(٦٨) نفس المصدر ص ٨١ .

(٦٩) نفس المصدر ص ٨٢ .

وفى الوشاية بين المحبين يذكر أن لأصحابها ضروبا من التنقيـل
فمنها أن يذكر للمحبوب عنـم يجب أنه غير كاتم للسـر، وهذا مـكان
صعب المعاناة، بطيء البرء الآن يوافق معارضا للمحب فى محبته
وهذا أمر يوجب النـفار، فلأفرج للمحبوب الإبان تساعده الاقـسـدار
بالاطلاع على بعض اسرار من يحب بعد ان يكون المحبوب ذا عقـل
وله حظ من تمييز، ثم يديمه المطاولة ... فاذا تكذب عنده نـقل
الواشى مع ما أظهر من الجفاء والتـحفظ، ولم يسمع لسره اذا عـسـة
علم أنه انما زور له الباطل، واضمحـل ماقام فى نفسه " (٧٠)
وهذا الامر بعينه مما شاهدته أبو محمد لبعض المحبين مع بعض
من كان يحب، وكان المحبوب شديد المراقبة عظيم الكتمان، وكثـر
الوشاة بينهما حتى ظهرت اعلام ذلك فى وجهه وحدث فى حب لم يكسـن
وركبته رحمة، واطلته فكرة ودهمته حيرة الى أن ضاق صدره وباح بما
نقل اليه ... الى أن يقول : " فلو شاهدت مقام المحب فى
اعتذاره لعلمت أن الهوى سلطان مطاع، وبناء مشدود الاواخـى
وسنان نافذ وكان اعتذاره بين الاستسلام والاعتراف، والانكسار
والتوبة والرمى بالمقاليد، فبعد لى ما صلح الامر بينهما " (٧١)
وفى اشفاق المحب على محبوبه يحدثنا قائلا :

(٧٠) نفس المصدر ص ٨٢، ٨٣ .

(٧١) طوق الحمامة ص ٨٣ .

" ولقد شاهدت من هذا المعنى كثيرا، وانه لمن المناظر العجيبة الباعثة على الرقة الرائقة المعنى لاسيما ان كان هـسوى يتكتم به ،فلو رأيت المحبوب حين يعرض بالسؤال عن سبب تفضيـله بمحبه، ووجلته فى الخروج مما وقع فيه بالاعتذار، وتوجيهه الى غير وجهه ... لرأيت عجا ... ولذة مخيفة لاتقاومها لذة، وما رأيت أجلب للقلوب ولاغوص على حياتها ، ولا انفذ للمقاتل من هذا الفعل وان للمحبين فى الوصل من الاعتذار ما أعجز أهل الازهان الذكيـة والافكار القوية " . (٧٢)

وطرق الوصل كثيرة فمنها : الوصل المختلس الذى يحاول صاحبه ان يخفيه عن الرقباء وهذا النوع له مكانة عجيبة فى نفس ابسن حزم اذ يقول فيه : " وان للوصل المختلس الذى يخاتل به الرقباء ويحتفظ به من الحضر مثل الضحك المستور والنحنة، وجولان الايـدى والضغط بالاجناب ، والقرص باليد والرجل، لموقعا من النفس شهيا " . (٧٣)

ثم يشيد بمن عاش محبا سليما من هذه الآفات ، مصورا عظم سعادة المحبين اذا لم ينغص حبهما بأى مما تقدم .. فاسمعه يقول :

(٧٢) طوق الحمامة ص ٩٤ .

(٧٣) طوق الحمامة ص ٩٤ .

" وما فى الدنيا حالة تعدل محبين اذا عدما الرقبا، وأمننا
 الوشاة، وسلمنا من البين، ورغبا عن الهجر، وبعدا عن الملل، وفقدا
 العذال، وتوافقا فى الاخلاق وتكافيا فى المحبة، واتاح لهما رزقا
 دارا، وميشا قارا، وكان اجتماعهما على ما يرضى الرب من الحال
 وطالت صحبتهم، واتصلت الى وقت حلول الحمام الذى لامرد لسنه
 ولا بد منه، هذا عطاء لم يحصل عليه احد، وحاجة لم تقض لكل طالسب
 ولولا ان مع هذه الحال الاشفاق من بغتات المقادير المحكمــــة
 فى غيب الله عز وجل، من حلول فراق لم يكتسب، واخترام منية فى
 حال الشباب أو ما اشبه ذلك لقلت انها حال بعيدة من كل آفــــة
 وسليمة من كل داخله " ... (٧٤)

ونتابع أبا محمد وهو يحدثنا عن بقية آفات الحب ... فالهجر
 من أبرز هذه الآفات ولاسيما الهجر الذى يلزم من ورائه التحفظ من
 الرقبا ... وخاصة الرقيب الحاضر ... وهو فى نظره " أحلى من
 كل وصل، ولولا ان ظاهر اللفظ، وحكم التسمية يوجب ادخاله فى
 هذا الباب لرجعت به عنه، ولاجلته عن تسطيره فيه " ... لانك تلاحظ
 " الحبيب منحرفا عن محبه، مقبلا بالحديث على غيره، ومع ذلك
 فطبعه جاذب الى محبه تراه منحرفا كمقبل، وساكتا كناطق، وناظرا
 الى جهة نفسه فى غيرها ... " ولكن " الحاذق الفطن اذا كشف بوهمه

عن باطن حديثهما علم ان الخافى غير البادى ، وما جهر به غيسر
نفس المخبر ، وانه لمن المشاهد الجالية للفتن ، والمناظر المحركة
للسواكن الباعثة للخواطر ، المهيجة للضمائر الجاذبة للفتوة " (٧٥)
ويواصل حديثه عن سائر أنواع الهجر ... وضمن هذه الانواع : هجر
يوجبه التذلل ... وهذا قد عرض له فى الصبا مع بعض من كان يحسب
ولكن هذا النوع " لا يلبث أن يضمحل ثم يعود " . (٧٦)

ويحدثنا عما شاهدته فى هذا من أن محبين خلا لهنما الجو من
الرقباء ... ودخلا فى عتاب طويل لذنب حصل من المحب منهما ، وكأنسى
باين حزم . يحكى هذه القصة عن نفسه ، ونفهم ذلك من قوله : " فهل
شاهد مشاهد أو رأت أعين ، أو قام فى فكر ، ألد وأشهى من مقام
قد قام عنه كل رقيب ، وبعد عنه كل بغيف ، وغاب عنه كل واشى
واجتمع فيه محبان قد تصارم بالذنب وقع من المحب منهما ، وطال ذلك
قليلا ، وبدأ بعض الهجر ، ولم يكن ثم مانع من الاطالة للحديث
فابتدأ المحب فى الاعتذار والخضوع ، والتذلل ، والادلاء بحجته
من الادلال ، والاذلال ، والتذمم بما سلف ، فطورا يدل ببراءته ، وطورا
يرد بالعفو ، ويستدعى المغفرة ، ويقر بالذنب ، ولاذنب له ، والمحبوب
فى كل ذلك ناظر الى الارض ، يسارقه اللحظ الخفى ، وربما ادامه فيه

(٧٥) انظر ص ٩٨ .

(٧٦) انظر ص ٩٨ .

ثم يبسم مخفيا لتبسمه . وذلك علامة الرضا، ثم ينجلي مجلسهم
عن قبول العذر، ويقبل القول ، وامتحنت ذنوب النقل، وذهبت آثسار
السخط ووقع الجواب بنعم وذنبتك مغفور، ولو كان فكيف ولاذنب، وختما
أمرهما بالوصل الممكن، وسقوط العتاب، والاسعاد، وتفرقا على
هذا . . . " . (٧٧)

ثم يعلق على هذا قائلا :

" هذا مكان تتقاصر دونه الصفات، وتتلكن بتحديدته الالسنسة
ولقد وطئت بساط الخلفاء، وشاهدت محاضرات الملوك فما رأيت هيبسة
تعديل هيبسة محب لمحبوبه، ورأيت تمكن المتغلبين على الرؤساء
وتحكم الوزراء، فما رأيت أشد تبجحا ولا اعظم سرورا بما هو فيه
من محب أيقن أن قلب محبوبه عنده، ووثق بميله اليه، ومحسنة
مودته له " . (٧٨)

كذلك " التجنى" يخبرنا ابن حزم انه من " عوارض الهجران
وهويقع في اول الحب وآخره، فهو في اوله : علامة صحة المحبة، وفي
آخره علامة لفتورها، وباب للسلو . . . " . (٧٩)

وللبين في نفس أبي محمد وقع شديد وكرب عظيم، فلنستمع اليه

(٧٧) انظر طوق الحمامة ص ١٠١، ١٠٠ .

(٧٨) انظر طوق الحمامة ص ١٠١ .

(٧٩) انظر طوق الحمامة ص ١٠٢ .

وهو يقسمه تقسيم المعانى منه فيقول :

" والبين ينقسم أقساما : فأولها مدة يوقن بانصرامه —
وبالعودة عن قريب ، وانه لشجى فى القلب ، وغصة فى الحلق —
لاتبرأ الا بالرجعة وانا اعلم من كان يغيب من يحبه عن بصبره
يوما واحدا فيعتريه من الهلع والجزع ، وشغل البال ، وترادف الكرب
مايكاد يأتى عليه ...

ثم بين منع من اللقاء ، وتحضير على المحبوب من ان يسراه
محبه ، فهذا — ولو كان من تحبه معك فى دار واحدة — فهو بيأس
لانه بائن عنك ، وان هذا ليولد من الحزن والاسف غير قليل ، ولقصد
جربناه فكان مرا ... " (٨٠)

فهذه هى معرفة المجرب ، الخبير بذلك ... ثم يضرب لنا مثالا
بمحب عرفه كان قد " علق بهوى له ، وكان فى حال شطف ، وكانت له
فى الارض مذاهب واسعة ، ومناديح رحبة ، ووجوه متصرف كثيرة ، فهان
عليه ذلك ، وآثر الاقامة مع من يحب ... " (٨١) فهذا من
النوع الذى لايحتمل او يقوى على مرارة البين .

والاشد من ذلك : بين الرحيل الذى لايعقبه رجعة ، وهذا كما

يقول :

• (٨٠) ص ١١٧

• (٨١) ص ١١٩

" هو الخطب الموجع ، والههم المفظع ؛ والحادث الأشنع ... وأكثر ما يكون الهلع فيه إذا كان السائى هو المحبوب " (٨٢) ويؤكد شدة هذا الصنف فيقول: "واني لأعلم من نأت عنده دار محبوبه زمنا ، ثم تيسرت له أوبة فلم يكن إلا بقدر التسليم واستيفائه ، حتى دعته نوى ثانيه فكاد أن يهلك ... " (٨٣) ويحدثنا عن موقفه له : " ولقد نعسى الى بعض من كنت احب من بلدة نازحة ، فقامت فارا بنفسى نحو المقابر وجعلت امشى بينها ... " (٨٤)

ويشغل ذهن ابن حزم ويهز كيانه رحيل المحبوب ، ولساعة الوداع اثر عظيم على قلبه ، اذ يصف هذا بقوله :

"وانه لمن المناظر الهائلة والمواقف الصعبة التى تفتضح فيها عزيمة كل ماضى العزائم ، وتذهب قوة كل ذى بصيرة ، وتسكب كل عين جمود ، ويظهر مكنون الجوى ... " (٨٥) وهنا يقسم قائلا :

" ولعمري لو أن ظريفا يموت فى ساعة الوداع ، لكان معذورا إذا تفكر فيما يحل به بعد ساعة من انقطاع الامال وحلول الاوجال وتبدل السرور بالحزن ، وانها ساعة ترق القلوب القاسية ، وتليين

• (٨٢) ص ١١٩

• (٨٣) انظر ص ١٢٠

• (٨٤) انظر ص ١٢١

• (٨٥) انظر ص ١٢١

الافئدة الغلاظ وان حركة الرأس، وادمان النظر، والزفرة بعد الوداع
لهاتكة حجاب القلب وموصلة اليه من الجزع بما تفعل حركــــــــــــة
الوجد في ضد هذا ... " (٨٦)

ويقرن البين بالهجر واختلاف الناس في أيهما أشد، وهو يرى
" أن كليهما مرتقى صعب، وموت أحمر، وبليّة سوداء، وسنة شهباء
وكل يستبشع من هذين ماضد طبيعه، فأما ذو النفس الابية الألسوف
الحنانة الثابتة على العهد، فلا شيء يعدل عنده مصيبة البين .. وأما
الهجر فهو داعية السلو ورائد الاقلاع ... " (٨٧)

وأما ذو النفس التواقّة الكثيرة النزوع، والتطلع، القلسوق
العزوف، فالهجر داؤه، وجالب حتفه، والبين له مسلاة ومنساة " (٨٨)
وأما هو ف " الموت - عنده - أسهل من الفراق، وما الهجر
الاجالب للكمد فقط ويوشك ان دام يحدث اضرارا " (٨٩)

ولما كان للبين من تأشير عظيم في نظره فقد وقف عنده مرات
متعددة، وقام بتحليله من الناحية النفسية في ضوء ما عرفه عن
اصحابه، فيقول :

(٨٦) انظر ص ١٢١ .

(٨٧) انظر ص ١٢٥ .

(٨٨) ص ١٢٥ .

(٨٩) ص ١٢٥ .

" ولقد رأيت من يستعمل هجر محبوبه، ويتعمده خوفا من مرارة
البين، وما يحدث به من لوعة الاسف عند التفرق، وهذا وان لم يكن
عندى من المذاهب المرضية، فهو حجة قاطعة على أن البين أصعب من
الهجر، وكيف لا وفى الناس من يلوذ بالهجر خوفا من البين، ولم
أجد أحدا فى الدنيا يلوذ بالبين خوفا من الهجر، انما يأخذ
الناس أبدا الاسهل، ويتكلفون الالهون ٠٠٠٠ " (٩٠)

ويواصل حديثه عن البين معللا " وانما قلنا انه ليس من
المذاهب المحمودة لان اصحابه قد استعجلوا البلاء قبل نزول نفسه
وتجرعوا غصة الصبر قبل وقتها ولعل ما تخوفوه لا يكون، وليس من
يتعجل المكروه، وهو على غير يقين مما يتعجل، بحكيم ٠٠٠ " (٩١)
والتهادى ساعة البين شئ ضرورى ٠٠٠ وتختلف الهدايا
باختلاف المحبين، واختلاف المواقف هناك التهادى بالمساويك بعد
مغفها ٠٠٠ وقد سجل ذلك بقوله : " وما رأيت قط متعاشقين الا وهما
يتهاديان من خصل الشعر مبخرة بالعنبر، مرشوشة بماء السوسور
وقد جمعت فى أصلها بالمصطكى وبالشمع الابيض الممضى . ولفت فى
تطريف الوشى والخز، وما أشبه ذلك لتكون تذكرة عند البين ٠٠ " (٩٢)

(٩٠) ص ١٢٥ .

(٩١) ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٩٢) ص ١٢٩، ١٣٠ .

ثم يقول: " وأما تهادى المساويك بعد مفضها، والمصطفى اشر
استعمالها فكثير بين كل متحابين قد حظر عليهما اللقاء " (٩٣)
ولابن حزم كلام لطيف فى القناعة بطيف المحبوب اذ هو منتهى
القناعة "ومن القنوع الرضا بمزار الطيف، وتسليم الخيال، وهذا
انما يحدث عن ذكر لايفارق، وعهد لايحول، وفكر لاينقض، فـ اذا
نامت العيون، وهدأت الحركات سرى الطيف ... " (٩٤)
ومن القناعة " أن يقنع المحب بالنظر الى الجدران ورؤية
الحيطان التى تحتوى على من يحب ... ومنها أن يرى المحب من
رأى محبوبه، ويأنس به ومن أتى من بلاده، وهذا كثير ... " (٩٥)
ثم استعرض بعض معانى الشعراء فى القنوع " أرادوا فيـه
اظهار غرضهم، وابانة اقتدارهم على المعانى الغامضة، والمرامى
البعيدة، وكل قال على قدر قوة طبعه ... فمنهم من قنع بأن السماء
تظله هو ومحبوبه ... والارض تقلهما ... ومنهم من قنع باستواثهما
فى احاطة الليل والنهار بهما ... وأشباه هذا ... " (٩٦)
ونقف عند هذا الحد من خبرات ابن حزم وتجاربه الشخصية فى
الحب فى بعض ذلك بلاغ لمذهبه المتميز فى الحياة العاطفية

• (٩٣) ص ١٣٠

• (٩٤) ص ١٣١

• (٩٥) ص ١٣١

• (٩٦) ص ١٣٥

وطريقة معالجتها ...

ويروى أبو محمد قصص حب واقعية، ولكن عن بعض أصدقاؤه
ومعارفه ... وهي تؤكد المنهج الذى التزمه فى بداية رسالتيه
من ايراد ماصح عنده بنقل الثقات ... وترد هذه القصص على
شكل اعترافات شأن الاعترافات التى اوردها عن نفسه .

وقد مهد لذلك بايراد ماصح من اعترافات بعض من أحب مسن
ال خلفاء المهديين والائمة الراشدين ... وذكر منهم بالاندلس عبدالرحمن
بن معاوية وحب لدعجاء ... وعبدالرحمن بن الحكم وشغفه
بطروب أم عبدالله ابنه ، ومحمد بن عبدالرحمن وأمره مع غزلان
أم بنيه ، والحكم المستنصر وفتنته بصح أم هشام المؤيد
بالله ... (٩٧)

ثم اندفع يروى قصص من احب من اصحابه الموثوق بهم ... وقد
كان من اعجب ذلك مارواه عن صاحب له : أحب فى نومه ، وهـ
أبو السرى عمار بن زياد يقول : " دخلت يوماً على أبي
السرى فوجدته مفكراً مهتماً
فسألته عما به ، فتمنع ساعة ثم قال لى : أعجوبة ماسمعت قسط
قلت : وماذاك ؟ قال : رأيت فى نومي الليلة جارية فاستيقظت
وقد ذهب قلبي فيها ، وهمت بها ، وانى لفى اصعب حال من حبها ولقد
بقى اياما كثيرة تزيد على الشهر مغموما ... الى أن عدلته وقلت له

من الخطأ العظيم أن تشغل نفسك بغير حقيقة ... يقول : فما زلت به
حتى سلاوماكاد ... " (٩٨)

ويروى لنا قصة عن يوسف بن هارون الرمادى الشاعر المعروف
وقد رأى جارية عند باب العطارين ، فأخذت بمجامع قلبه ، فتبعها
وهى ناهضة نحو القنطرة ... ثم يقول :

" فجازتها الى الموضع المعروف بالريش ، فلما صارت بيــــن
رياض بنى مروان المينية على قبورهم ... نظرت منه منفردا عن
الناس لاهمة له غيرها ، فانصرفت اليه فقالت له : مالك تمشى
ورائى ؟ فأخبرها بعظيم بليته بها ، فقالت له : دع عنك هــــذا
ولاتطلب فضيحتى ، فلامطمع لك فى البته ... فقال لها : انى أقنع
بالنظر ، فقالت : ذلك مباح لك ، فقال لها : أحره أنت أم مملوكة ؟
فقالت : مملوكة . فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : خلوة . قال : ولمن
أنت ؟ فقالت له : علمك والله بما فى السماء السابعة أقرب اليك
مما سألت عنه ... فدع المحال ... " ثم وعدته بأنه يراها فى
هذا المكان فى نفس هذه الساعة من كل جمعة . ثم تفرقا ... يقول
" فوالله لقد لازمت باب العطارين والريش ... فما وقعت لها على
خبر ... وان فى قلبى منها لآخر من الجمر ... وهى خلوة التــــى
يتغزل بها فى شعره " . (٩٩) فذلك شأن من أحب من نظرة واحــــدة

(٩٨) نفس المصدر ص ٣٧ .

(٩٩) نفس المصدر ص ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

بالنسبة للرجال ... وأما النساء فقد روى عنهن هذا الخير السدى
يقول فيه : " واني لاعلم فتى من أبناء الكتاب رأته امرأة سريفة
النشأة ، عالية المنصب غليظة الحجاب ، وهو مجتاز ، ورأته في موضع
تطلع منه في منزلها ، فعلقته وعلقها ، وتهاديا المراسلة زمانا
على ارق من حد السيف ... " (١٠٠)

ثم تعرض لاسرار بعض الكبراء في عصره ... ومن ذلك أن بعض
الشعراء بقرطبة " قال شعرا تغزل فيه بصيح أم المؤيد ... فغنت به
جارية أدخلت على المنصور محمد بن أبي عامر ليبتاعها فأمر
بقتلها ... " (١٠١)

وكان الحب أيضا سببا في هلاك آل مغيث عندما تغزل أحمد بن
مغيث باحدى بنات الخلفاء ... " (١٠٢)

وبعض المحبين يمل بهم الوله الى اظهار الناس على مايقع
منهم تجاه المحبوب دون أن يتنبهوا لذلك حتى يقعوا في الخطأ ...
ومن ذلك مارواه عن موسى بن عاصم اذ حدثه بحديث حباله فقسال
" كنت بين يدي أبي الفتح والدى رحمه الله ، وقد أمرنى بكتساب
أكتبه ، اذ لمحت عينى جارية كنت أكلف بها ، فلم أملك نفسى

(١٠٠) نفس المصدر ص ٦٤، ٦٣ .

(١٠١) نفس المصدر ص ٦٤ - ٦٥ .

(١٠٢) نفس المصدر ص ٦٤ - ٦٥ .

ورميت الكتاب عن يدي ،وبادرت نحوها،وبهت أبي ،وظن أنه عرض لسي
عارض ،ثم راجعني على فمسحت وجهي ،ثم عدت،واعذرت بأنــــه
غلبني الرعاف " (١٠٣) ولكن هذا ليس يحسن لأنه كمايقول ابن حزم
" داعية نفار المحبوب ،ولأنه فساد في التدبير ،وضعف فـــــــسي
السياسة " . (١٠٤)

والملاحظ من خلال (طوق الحمامة) أن الامة في المجتمع : الاندلس
كن يمارسن حريتهن العاطفية دون ضغط ... ومن ذلك ماذكر عن سعيد
ابن منذر بن سعيد ،صاحب صلاة جامع قرطبة ،من انه " كانت له جارية
يحبها حبا شديدا ... فعرض عليها أن يعتقها،ويتزوجها،فقالت له
ساخرة به وكان عظيم اللحية : ان لحيتك أستبشع عظمها،فـــــــان
حذفت منها كان ماترغبه ... يقول أبو محمد : فما كان منه الا أن :
" أعمل الجلمين فيها حتى لظفت ثم دعا بجماعة شهود،وأشهدهم
على عتقها ثم خطبها لنفسه فلم ترض به ،وكان في جملة من حضر
أخوه حكم بن منذر فقال لمن حضر اعرض عليها أنى أخطبها أنــــسا
ففعل فأجابت اليه ،فتزوجها في ذلك المجلس بعينه . " (١٠٥) فيعلق
أبو محمد على ذلك بقوله :

(١٠٣) نفس المصدر ص ٦٤ - ٦٥ .

(١٠٤) ص ٦٥ .

(١٠٥) ص ٦٩ - ٧٠ .

" ورضى بهذا العار الفادح على ورعه ونسكه، واجتهاده " (١٠٦)

فهذا نمط يذكره ابن حزم عمن يثق به ،وهى فى الحقيقة قصة
عجيبة تحدث من فقيه مشهور سلم قياده لهوى جارية من جـ وارى
منزله وفى آخر الامر تفضحه امام الناس بحلق بعض من لحيتسه...
وتتزوج من اخيه .

ويقص علينا خبر مغامرة جريئة لجارية هامت بفتى يجهل
حبها له ... ولكنها فى سبيل الوصول اليه خرقت الاعراف المرعية
والتقاليد الاجتماعية فيقول عنها :

" وانى لاعرف جارية اشتد وجدها بفتى من أبناء الرؤساء
وهو لاعلم عنده ،وكثر غمها وطال أسفها، الى أن فزيت بحبه ،وهو
بغرارة الصبي لايشعر، ويمنعها من ابداء امرها اليه الحياء منه
لانها كانت بكرًا بخاتمها مع الاجلال له عن الهجوم عليه بما
لاتدرى لعله لا يوافقه ، فلما تمادى الامر ، وكانا الفين فى النشأة
شكت ذلك الى امرأة جزلة الرأى ، كانت تثق بها لتوليها تربيتها
فقال لها : عرض له بالشعر . ففعلت المرة بعد المرة ، وهو
لا يابى فى كل هذا ، ولقد كان لقنا ذكيا لم يظن ذلك فيميل الى
تنتيش الكلام بوهمه ، الى أن عيل صبرها ، وضاقت صدرها ، ولم تمسك
نفسها فى قعدة كانت لها معه فى بعض الليالى منفردين ، ولقد كان

يعلم الله عفيفا متماونا بعيدا عن المعاصي ، فلما حان قيامها عنه بدرت اليه فقبلته في فمه ، شمولت في ذلك الحين ، ولم تكلمه بكلمة ، وهي تتهادى في مشيها ... يقول أبو محمد عن الغلام : فيبست وسقط في يده وقت في عضده ، ووجد في كبده ، وعلته وجمة ، فما هـو إلا أن غابت ، ووقع في شرك الردى ، واشتعلت في قلبه النار ، وتصعدت أنفاسه ، وترادفت أوجاله ، وكثر قلقه ، وطال أرقه ، فما أغمض تلك الليلة عينا ، وكان هذا بدء الحب بينهما دهرا ... الى أن جذت جملتها يد النوى ... وان هذا لمن مصائد ابليس ودواعي الهوسوى التي لا يقف لها أحد ... الامن عصمه الله عز وجل " (١٠٧)

وهذا نمط من الوصل عجيب ، يدل على أن الحب يفعل الغرائب لدرجة أن يفقد الانسان لبه في وقت من الاوقات .

ويسوق لنا ايضا في حيل الوصل قصة فتى وجارية . " كان يكلف كل منهما بصاحبه ، فكانا يظطجان اذا حضرهما احد وبينهما المسند العظيم من المساند الموضوعة عند ظهور الرؤساء على الفرش ، ويلتقي رأساهما وراء المسند ويقل كل واحد منهما صاحبه ، ولا يريان وكأنهما انما يتمددان من الكلل ، ولقد كان بلغ من تكافيهما فسى المودة امرا عظيما ، الى أن كان الفتى المحب ربما استطال عليها ... " (١٠٨)

(١٠٧) انظر نفس المصدر ص ٩٢ .

(١٠٨) انظر نفس المصدر ص ٩٤ .

ويروى لنا قصة أخرى عن امرأة كان يشق بها : " أنها شاهدت فتى وجارية، كان يجد كل واحد منهما بصاحبه فضل وجد، اجتمعا في مكان على طرب، وفي يد الفتى سكين يقطع بها بعض الفواكه، فجرها جرا زائدا فقطع ابهامه قطعاً لطيفاً ظهر فيه دم، وكان على الجارية غلالة قصب خزائنية لها قيمة، فصرفت يدها، وخرقتها وأخرجت منها فضلة شد بها ابهامه ... " (١٠٩) ويعلق أبو محمد قائلاً :

" وأما هذا الفعل للمحب فقليل فيما يجب عليه، وفرض لازم - وشريعة مؤداة وكيف لا، وقد بذل نفسه وهب روحه فما يمتنع بعدها ... " (١١٠) فتأمل قوله : " شريعة مؤداة " ... انه يدل على عظم امر الاخلاص في الحب عند أبي محمد .

وهذه قصة عجيبة يستمر فيها الوصل حتى بعد الموت، حيث تبييت الزوجة المحبة رفقة زوجها الميت في دثار واحد ... يقول :

" وأنا أدركت بنت زكريا بن يحيى التميمي المعروف بابن برطال ... وكانت متزوجة بيحيى بن محمد ابن الوزير يحيى بن اسحاق فعاجلته المنية وهما في أغص عيشهما، وأنضر سرورهما، فبلغ من اسفها عليه أن باتت معه في دثار واحد ليلة مات ... وجعلته آخر العهد به وبوصله، ثم لم يفارقها الاسف بعد الى حين

(١٠٩) انظر نفس المصدر ص ٩٥ .

(١١٠) ص ٩٥ .

موتها ... " (١١١)

وهذا خبر يرويه عن يثق به ويجله من اهل البيوتات يقسول

فيه :

" ولقد حدثني ثقة من اخواني جليل من أهل البيوتات ، أنه علق
في صباه جارية كانت في بعض دور آلّه ، وكان ممنوعا منها فهم علقه
بها ، قال لي : فتنزهنا يوما الى بعض ضياعنا بالسهلة ، غربى قرطبة
مع بعض أعمامى ، فتمشينا في البساتين وأبعدنا عن المنازل ، وانبسطنا
على الانهار ، الى أن غيمت السماء وأقبل الغيث فلم يكن بالحضرة
من الغطاء ما يقي الجميع ... قال : فأمر عمى ببعض الاغطيصة
فألقي على ، وأمرها بالاكتنان معى ، فظن بما شئت من التمكن على
الملا وهم لا يشعرون وبالك من جمع كخلاء ، واحتفال كانفراد ... قال
لي : فوالله لانسيت ذلك اليوم أبدا ... ولعهدي به ، وهو يحدثنى
بهذا الحديث واعفاؤه كلها تضحك ، وهو يبهتز فرحا على بعد العهد
وامتداد الزمن ... " (١١٢)

ولايفتأ أبو محمد يحدثنا عن بديع الوصل ... فهذه قصة
أحد اخوانه كان يهوى فتاة في المنزل المصاقب لمنزله " فكانت
تفله في ذلك الموضع وكان فيه بعض البعد ، فتسلم عليه ويدها

(١١١) ص ٩٦،٩٥

(١١٢) ص ٩٦،٩٥

ملفوفة في قميصها، فخاطبها مستخيرا لها عن ذلك، فأجابته
انه ربما أحسن من أمرنا شيء فوق لك غيري فلم عليك، فرددت عليه
فصح الظن، فهذه علامة بيني وبينك، فاذا رأيت يدا مكشوفة
تشير نحوك بالسلام فليست يدي فلاتجاوب ... " (١١٣)

ومما يعرض للمحب الملل ... فيحدثنا أبو محمد عن أبي
عامر محمد بن أبي عامر أنه يرى الجارية فلا يصبر عنها ... حتى
يمتلئها ... فاذا كان ذلك بدأ ينفر منها ... وكان يتمتع بجمال
وحسن وجهه، وكمال صورة عجيبة ... وكان الناس يجتمعون عند بابسه
لأشياء سوى النظر اليه ... ويذكر ابن حزم أنه يعرف " جارية منهن
كانت تسمى عفراء يقول " وعهدى بها لاتستتر بمحبته حيثما جلت
ولاتجف دموعها ... " وهو ملول حتى من ذكر اسمه فضلا عن غير ذلك
ولقد مات من محبته جوار كن علقن أو هامهن به، ورثيق له، فخانهن
مما أملنه منه فصرن رهائن البلى، وقتلتهم الوحدة ... (١١٤) .

وما هذه الجارية الا واحدة منهن ...

ويورد لنا الشيخ رحمه الله قصة غريبة جدا في وفاء المحبوب
لمحبه بعد موته فيقول : " ولقد حدثتني امرأة أشق بها، أنه
رأت في دار محمد بن احمد بن وهب المعروف بابن الركيزة من ولد

(١١٣) ص ٩٧ .

(١١٤) طوق الحمامة ص ١٠٤، ١٠٥ .

بدر الداخل مع الامام عبدالرحمن بن معاوية رضى الله عنه جارية رائعة جميلة، كان لها مولى فجاءته المنية فبيعت فى تركته فأبست أن ترضى بالرجال بعده، وما جامعتها رجل الى أن لقيت الله عز وجل وكانت تحسن الغناء، فأنكرت علمها به، ورضيت بالخدمة، والخروج عن جملة المتخذات للنسل، واللذة، والحال الحسنة، وفاء منها لمن قد دثر ووارته الارض، والتأمت عليه الصفائح، ولقد رامها سيدها المذكور أن يضمها الى فراشه مع سائر جواريه ويخرجها مما هى فيه فأبست، فضربها غير مرة وأوقع بها الادب، فصبرت على ذلك كلــــه فأقامت على امتناعها، وان هذا من الوفاء غريب جدا " . (١١٥)

وهذه قصة ممتعة طريفة يحكيها عن فتى يهوى جارية فى الصبا فكانا يتراسلان وكان السفير بينهما أحد اقاربه الذى استطاع بغدرة أن يستأثر بها دونه واليك القصة :

" ولقد حدثنى القاضى يونس بن عبد الله قال : أذكر فى الصبا جارية فى بعض السدد يهواها فتى من اهل الادب من أبناء الملوك وتهواه، ويتراسلان وكان السفير بينهما والرسول بكتبهما فتى ممن اترا به، كان يصل فلما عرضت الجارية للبيع، اراد الذى كان يحبها ابتياعها، فبدر الذى كان رسولا فاشتراها، فدخل عليها يومــــا فوجدها قد فتحت درجا لها تطلب فيه بعض حوائجها، فأتى اليهــــا

وجعل يفتش الدرج، فخرج اليه كتاب من ذلك الفتى الذى كان يهواها
مضمخا بالغالية، مصونا مكرما، فغضب وقال : من أين هذا يافاسقة ؟
قالت : أنت سقته الى . فقال : لعله محدث بعد ذاك الخين فقالت :
ما هو الأيمن قديم تلك التى تعرف، قال : فكأنما القمته حجسرا
فسقط فى يديه وسكت . . . " (١١٦)

ويروى قصة تتعلق بصديق له داره ألمرية - ولعله الصديق
الذى أشار اليه فى المقدمة من أنه اقترح عليه تصنيف رسالة
فى الحب - وقد عنت له حوائج الى شاطبة فقدمها نازلا بها لى
أبى محمد مدة اقامته فيها، وكان له بألمرية علاقة هى أكبر
همه، وادهى غمه، وكان يؤمل بتها وفراغ أسبابه، وأن يوشك بالرجعة
ويسرع الاوبة . . . ولكنه لم يرجع الى هدفه بسبب الجيوش والعسكر
التي أليها الموقف صاحب الجزائر لمنابذة خيران صاحب ألمرية
فانقطعت الطرق بسبب هذه الحرب، يقول أبو محمد : " فتضاعف كربسه
اذ لم يجد الى الانصراف سبيلا البيتة، وكاد يطفأ وصار لا يأنس بغيسر
الوحدة، ولا يلجأ الا الى الزفير والوجوم، ولعمري لقد كان ممن
لم أقدر قط فيه أن قلبه يدعن للود، ولاشراة طبعه تجيب الى
الهوى . . . " (١١٧)

(١١٦) نفس المصدر ص ١١٦ .

(١١٧) ص ١١٨ .

ويورد لنا هذه القصة، التي يمكن أن تضرب مثلا لمنتهى القناعة والرضا في الحب . . . يقول فيها : " وأخبرني بعض اخواني عن سليمان بن احمد الشاعر، أنه رأى ابن سهل الحاجب بجزيرة صقلية وذكر أنه كان في غاية الجمال، فشاهده يوما في بعض المنتزهات ماشيا، وامرأة خلفه تنظر اليه، فلما ابعد اتت الى المكان الذي قد اثر فيه مشيه فجعلت تقبله، وتلثم الارض التي فيها اثره " (١١٨)

ويقص علينا خبر جارية بارعة الجمال ذات مكانة سامقة وشرف رفيع من سلالة القادة كاد الحب يودي بها، ويذهب عقلها فيقول " وانى لاعرف جارية من ذوات المناصب والجمال والشرف مسن بنات القواد، وقد بلغ بها حب فتى من اخواني جدا من أبناء الكتاب مبلغ هيجان المرار الاسود وكادت تختلط، واشتهر الامر، وشاع جدا حتى علمه، الى ان تدوركت بالعلاج، وهذا انما يتولد عن ادمان الفكر فاذا غلبت الفكرة، وتمكن الخلط السوداوي، خرج الامر عن حدد الحب الى حد الوله والجنون، واذا اغفل التداوى في الاول السبب المعاناة قوى جدا، ولم يوجد له دواء سوى الوصال . . . " (١١٩)

ويروى لنا خبرا عن يذهب الحب بعقله فيقول :

" حدثني جعفر مولى أحمد بن محمد بن حدير أن سبب اختلاط

(١١٨) ص ١٣٠ .

(١١٩) ص ١٣٨ .

مروان بن يحيى بن أحمد بن حدير وذهب عقله، اعتلقه بجارية لاخته
فمنعها منه وباعها لغيره، وما كان في اخوته مثله، ولا تم أدبها
منه " . (١٢٠)

وهناك قصة مشابهة لها يقول فيها :

" وأخبرني أبو العافية مولى محمد بن عباس بن أبي عبدة
أن سبب جنون يحيى بن محمد بن أحمد بن عباس بن أبي عبدة، ببسب
جارية له كان يجد بها وجدا شديدا، كانت أمه باعها وذهبت إلى
انكاحه من بعض العامريات " . (١٢١)

ويعلق ابن حزم على هاتين القصتين قائلا :

"فهذان رجلان جليلان مشهوران فقد ا عقولهما واختلطا، وصارا فسى
القيود والاعلال " . (١٢٢)

ويخبرنا عن جارية لبعض الرؤساء بلغه في جهتها شيء لم يكن
يوجب السخط، ولكنه باعها، فجزعت لذلك جزعا شديدا، وما فارقها
النحول، والاسف، ولا بان عن عينيها الدمع إلى ان سلت، وكان ذلك
سبب موتها، ولم تعش بعد خروجها عنه إلا أشهرا . . . يقول :

" ولقد أخبرتنى عنها امرأة أثق بها أنها لقيتها وهى

• (١٢٠) ص ١٢٩

• (١٢١) ص ١٢٩

• (١٢٢) ص ١٢٩

قد صارت كالخيوط نحو لا ورقة ، فقالت لها : أحسب هذا الذى بك من
 محبتك لفلان ؟ فتنفست المعدا٦ وقالت : والله لانسيته أبــــــــــــدا
 وان كان جفانى بلا سبب ، وما عاشت بعد هذا القول الايسيرا " (١٢٣)٠
 وفى قصة لآخيه أبى بكر رحمه الله مع زوجته عاتكة بنت قنـــــد
 صاحب الثغر الاعلى ايام المنصور ٠٠٠ وهى كما يقول : " كانت التى
 لامرمى وراءها فى جمالها ، وكريم خلالها ، ولاتأتى الدنيا بمثلها فى
 فضائلها ، وكانا فى حد الصبا وتمكن سلطانه ، تغضب كل واحد منهمـــــــــا
 الكلمة التى لا قدر لها فكانا لم يزالا فى تغاضب وتعاتب مــــــــــــدة
 ثمانية أعوام ٠٠٠ وكانت قد شغفها حبه وأضناها الوجد فيه وأنحطها
 شدة كلفها به ، حتى صارت كالخيال المتوسم دنفا ، لا يلهيها مــــــــــــن
 الدنيا شىء ، ولاتسر من أموالها على عرضها وتكاثرها الى أن توفى
 أخى رحمه الله فى الطاعون ، فما انفكت منذ بان عنها من السقم
 الدخيل ، والمرض ، والذبول ، الى أن ماتت بعده بعام ٠٠٠ ولقــــــــــــد
 أخبرتنى عنها أمها وجميع جواريتها أنها كانت تقول بعده : ما يقوى
 صبرى ويمسك رمقى فى الدنيا ساعة واحدة بعد وفاته الاسرورى وتيقنى
 أنه لا يضمه وامرأة مضج أبدا ٠ فقد أمنت هذا الذى ما كنت
 أتخوف غيره ، وأعظم امالى اليوم اللحاق به " (١٢٤)٠

(١٢٣) ص ١٥٣ ٠

(١٢٤) ص ١٥٣ - ١٥٤ ٠

ويذكر ممن مات بسبب العشق أيضا أحد فقهاء بغداد، ولم يصرح

باسمه يقول :

" حدثني أبو القاسم الهمداني رحمه الله قال : " كان معنا ببغداد أخ لعبدالله بن يحيى بن أحمد بن دحون الفقيه ، الذي عليه مدار الفتيا بقرطبة ، وكان أعلم من أخيه ، وأجل مقدارا ، ما كان في أصحابنا ببغداد مثله ، وأنه اجتاز يوما بدرب قطنه ، في زقــــــــساق لاينفذ ، فدخل فيه ، فرأى في أقصاه جارية واقفة مكشوفة الوجــــــــه فقالت له : يا هذا ان الدرب لاينفذ ، قال : فنظر اليها فهام بها قال : وانصرف الينا ، فتزايد عليه امرها ، وخشى الفتنة فخرج الى البصرة فمات بها عشقا رحمه الله وكان فيما ذكر مـــــــــــــــــن الصالحين . . . " (١٢٥)

وفي الجمع بين المحبين يروي قصة عن بعض ملوك البربر تحكى محاولة انتحار رجل اندلسي بسبب جارية باعها نتيجة فاقــــــــسة أصابته ، من رجل من أهل ذلك البلد ، ولم يظن بائعها أن نفســــــــه تتبعها ذلك التتبع فلما حصلت عند المشتري ، كادت نفس الاندلسي تخرج ، فأتى الى الذي ابتاعها منه ، وحكمه في ماله أجمع ونفســــــــه نفسه ، فأبى عليه ، فتحمل عليه بأهل البلد ، فلم يسعف منهم أحد فكاد عقله أن يذهب ورأى أن يتصدى الى الملك ، فتعرض له وصــــــــساح فسمعه فأمر بادخاله ، والملك قاعد في عليه له مشرفة عالية فوصل

اليه ، فلما مثل بين يديه أخبره بقصته ، واسترحمه وتضرع اليه ، فرق له الملك فأمر باحضار الرجل المبتاع فحضر ، فقال له : هذا رجل غريب ، وهو كما تراه ، وأنا شفيعه اليك . فأبى المبتاع ، وقال : أنا أشد حبا لها منه ، وأخشى ان صرفتها أن استغيث بك غدا ، وأنسى في أسوأ من حالته ... فعرض له الملك ومن حواليه من أموالهم فأبى ولج ، واعتذر بمحبته لها . فلما طال المجلس ، ولم يرو منه البتة جنوحا الى الاسعاف ، قال للاندلسي : يا هذا مالك بيستدي أكثر مما ترى ، وقد جهدت لك بأبلغ سعى ، وهو تراه يعتذر بأنه فيها أحب منك ، وأنه يخشى على نفسه شرا مما أنت فيه ، فاصبر لما قضى الله عليك ... فقال له الاندلسي : فمالى بيدك حيلة ؟ قال له : وهل هاهنا غير الرغبة والبذل ما أستطيع لك أكثر ... فلما يئس الاندلسي منها جمع يديه ورجليه ، وانصب من أعلى العلية الى الارض ، فارتدع الملك وصرخ ، فابتدر الغلمان من أسفل فقضى أنه لم يتأذ في ذلك الوقوع كبير أذى ، فصعد به الى الملك ، فقال له : ماذا أردت بهذا؟ فقال : أيها الملك لاسبيل لى الى الحياة بعدها ، ثم هم أن يرمى نفسه ثانية فمنع ... فقال له الملك : الله أكبر - قد ظهر وجه الحكم في هذه المسألة ، ثم التفت الى المشتري ، فقال : يا هذا انك ذكرت أنك أود لها منه ، وتخاف أن تصير في مثل حاله ، فقال : نعم ، قال : فان صاحبك هذا أبدى عنوان محبته ، وقذف بنفسه ، يريد الموت ، لولا أن الله عز وجل ، وقاه ، فأنت قم فصحح حبك ، وترام من

أعلى هذه القصة، كما فعل صاحبك - فإن مت فبأجلك - وان عشت كنت أولى بالجارية، اذهى فى يدك، ويمضى صاحبك عنك، وان أبيت نزعست الجارية منك رغما ودفعتها اليه ...

فتمنع ثم قال : أترامى ، فلما قرب من الباب ونظر السسى الهوى تحته رجح القهقرى ، فقال له الملك : هو والله ماقلت، فهم ثم نكل ، فلما لم يقدم قال له الملك : لاتتلاعب بنا ، يا غلم - ان خذوا بيديه وارموا به الى الارض ، فلما رأى العزيمة ، قال : أيها الملك ، قد طابت نفسى بالجارية ، فقال : جراك الله خيرا ، فاشتراها منه ، ودفعتها الى بائعها وانصرفا " (١٢٦)

وحكى قصة عن ثقة من اخوانه كان مشهورا بالفقه والملايكة فى دينه ، وقع فى حب جارية ، فنفرت منه ... فزاد به الوجد السسى أن حملة فرط حبه لها مع عمى الصبا أن نذر أنه متى نال منها مراده تاب الى الله توبة صادقة ، قال ابن حزم : فمرت الليالى والايام حتى اذعنت ... فسأله : أبا فلان وفيت بعهدك ؟ فقال : إى والله ... يقول أبو محمد : فضحكت ... " (١٢٧)

والهوى اذا غلب صاحبه أوقعه المهالك ... فهذا خلف مولسى هشام بن سليمان بن الناصر ، طلب بسبب جارية له بقرطية .. " (١٢٨)

(١٢٦) ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(١٢٧) ص ١٦٣ .

(١٢٨) ص ١٧٤ .

وهذا أبو بكر محمد بن الوزير عبدالرحمن بن الليث ، يفر
هاربا الى محلة البرابر بسبب جارية يكلفها ٠٠٠ (١٢٩)
وتلحظ دائما أن أب محمد ينتصر للعفة حين يقع الصراع بين
الشهوة الحيوانية، وقواعد الاخلاق ٠٠٠ وفي ذلك يذكر خيرا طريفا
عن شاب حسن الوجه من اهل قرطبة قد تعبد ورفض الدنيا ٠٠٠ وكان له
أخ فى الله زاره ذات ليلة، وبات عنده فخرج صاحب المنزل ليقضى
بعض حاجته ٠٠٠ وكانت له زوجة غاية فى الحسن ٠٠٠ فتأخر رب المنزل
ولم يمكنه العودة فعلمت الزوجة بفوات الوقت، وأن زوجها لا يمكنه
المجيء تلك الليلة، فتاقت نفسها الى ذلك الفتى فبرزت اليه
ودعته الى نفسها ٠٠٠ ولائالهما الا الله عز وجل، فهم بهما
ثم تاب الى عقله، وفكر فى الله عز وجل فوضع اصبعه على السراج
فتفقق ثم قال : يانفس ذوقى هذا، وأين هذا من نار جهنم فهال
المرأة ما رأته، ثم عاودته، فعاودته الشهوة المركبة فى الانسان
فعاد الى الفعلة الاولى، فانبلج الصباح، وسبابته قد اصطلتها
النار ٠٠٠ فهذا منتهى العفة، والخشية من عذاب جهنم ٠٠٠ (١٣٠) ٠٠٠
أعاذنا الله منه .

وفى عفة المرأة يسوق خبرا حدثته به امرأة يثق بهما

• (١٢٩) ص ١٧٥، ١٧٤

• (١٣٠) ص ١٨٥

أنه علقها فتى مثلها فى الحسن ، وعلقته ، وشاع القول عليهم —
فاجتمعا يوما خاليين ، فقال : هلمى نحقق ما يقال فىنا ، فقال —
لا والله لا كان هذا أبدا ، وأنا أقرأ قول الله تعالى : " الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين " ... قالت : فما مضى قليل حتى
اجتمعا فى حلال ... " (١٣١)

وهناك شخص خلا بجارية كانت له مفاركة فى الصبا ، فتعرضت
لبعض تلك المعانى فقال لها : كلا ، ان من شكر نعمة الله فىما
منحنى من وصالك الذى كان اقصى آمالى ، أن أجتنب هواى لامسره
فيعلق ابن حزم قائلا : ولعمري ان هذا لغريب ، فيما خلا من
الازمان ، فكيف فى مثل هذا الزمان الذى ذهب خيره ، وأتى شره " . (١٣٢)

* * *

تلك باقة مونقة من القصص الواقعى النضير ، والملحوظات
الذكية النافذة لآبى محمد على بن سعيد فى (عاطفة الحب) وأحوال
المحبين ... وبها ينفرد عن جملة من ألف فى هذا الموضوع الدقيق
قبل كتابه المتميز (طوق الحمامة) وبعده ... ولولا أنه وزع أقاصيمه
بين أبواب كتابه الثلاثين التى التزم فيها التقسيم المنطقى ...

• (١٣١) ص ١٨٦

• (١٣٢) ص ١٨٦

ولولا بعض اللمحات الأفلاطونية ، وبعض الملامح العلمية والتحليلات
النفسية لقلنا ان هذه مجموعة قصص قصيرة أصدرها ابن حزم نفسى
القرن الخامس الهجرى .

وعلى الجملة فان هذه الأناصيص القصيرة الممتعة الفواحة
تعتبر ترجمة ذاتية لحياة ابن حزم العاطفية ... وتعتبر فى
الوقت نفسه مرآة شديدة الصفاء ، تعكس ملامح (الحب) فى عـصـره
وبخاصة فى قرطبة ... وهذا ليس بالشئ القليل ...

ولعل الفارق الدقيق بين ابن حزم وغيره ممن تقدمه او تأخر
عنه ممن كتبوا فى هذه القضية أن كتابة أبى محمد تنبع من الداخل
أما كتابات غيره ، فتجئ من الخارج ... وبعبارة دقيقة يمكن
القول : ان كتابة ابن حزم تجربة قلبية ذاتية ... أما كتابات
غيره فتجربة عقلية ثقافية .

وسنفرّد لذلك مزيدا من التفصيل فى الفصل الثالث الذى يلى
هذا الفصل والذى نقفه على ابراز (الملامح الفنية ، والفكرية
للطوق) ...

الفصل الثالث

الملاح الفنية والفكرية في « طوق الحمامة »

يعتبر كتاب طوق الحمامة من أوائل مؤلفات ابن حزم رحمه الله ،
فقد ألفه في حوالى السنة الثامنة عشرة بعد الأربعمائة من الهجرة ،
تلبية لرغبة صديق له يسكن " ألمرية " يطلب منه تأليف رسالة فى
" مفة الحب ومعائنه وأسبابه وأعراضه ، وما يقع فيه وله على سبيل
الحقيقة لا مزيدا ، ولا مفتنا ولكن مورد لما يحضره على وجهه ، وبحسب
وقوعه ... " وقد قام بتأليفه فى فترة شبابه قريبا من السادسة والعشرين
من عمره ... وهو بهذه المثابة يعد نموذجا لايام سعيدة قضاها فى قرطبة
وقد وجد هذا الكتاب اهتماما كبيرا من الدارسين العرب والمستشرقين
بحسبه أول دراسة تحليلية تقوم على التجارب الخاصة لعاطفة الحب
والمحبين وقد أشعبت المكتبات الغربية بترجمات هذا الكتاب حيث توفى
على ترجمته عدد من المستشرقين وأولهم " بتروف " الروس ، و " نيكول"
الامريكى ، و " برشيه " الفرنسى " و " جارثياجومث " الاسبانى (١) .

ويعتبر هذا الكتاب فلسفة خاصة بابن حزم فى موضوع الحب لانسه
يعتمد على التجربة والملاحظة ، والتحليل النفسى ، واستخلاص
النتائج ... فهو يعرض تجارب عاشها بنفسه ، وأخرى رواها عن غيره

(١) انظر طوق الحمامة - ت فاروق سعد ، ص ٩ .

بشيء من التفصيل ... (٢)

وتاريخ وضع هذا الكتاب يحتاج منا الى وقفة متأملة لنعرف متى بحث هذه القضية فتاريخ وضعه يمكن أن يستخلص من نفس هذا الكتاب اذ يشير فيه ابن حزم الى ما كان بين مجاهد صاحب الجزائر الشرقية، وخيزان صاحب ألمرية من منابذة ومحاربة ... ويفهم ذلك من كلام أبي محمد الذي يقول فيه : " ولعهدي بصديق لى داره ألمرية فعنت له حاجة الى شاطبة ، فقصدتها وكان نازلا بها فى منزلى مدة اقامتى بها ... وكان له بألمرية علاقة هى أكبر همهم ... وأدهى غمه ... الخ القصة " . وقد وقعت هذه الخصومة فى ربيع الثانى سنة ٤١٧هـ واذا فلابد أن يكون تأليف الكتاب جاء بعد ذلك لورود خبرها فى أشنائه ... " وهناك اشارة أخرى تجعل تأليف هذا الكتاب قبل سنة ٤٢٠هـ وهى السنة التى توفى فيها أو نحوها الحكم بن المنذر بن سعيد كما يذكر ذلك ابن بشكوال فقد أشار اليه ابن حزم فى سياق بعض الاخبار، بقوله : " وحكمهم المذكور فى الحياة ، فى حين كتابتى اليك بهذه الرسالة . وقد كف بصره ، وأسن جدا ... " .

وهناك اشارة ثالثة تقصر هذا المدى موجودة فى سياق قصيدة مدح بها هشام بن محمد تدل على أن مدحته له كانت قبل أن يلى

شئون الحكم ، وبما أن هشاما بويح بالخلافة سنة ٤١٨هـ فى ربيعِ —
الثانى واذن فلا بد أن يكون ابن حزم قد وضع كتابه قبل هـ —
التاريخ ٠٠٠ وهكذا نستطيع القول بأن ابن حزم كتب (ط —
الحمامة) فى الفترة ما بين ربيعِ الثانى سنة ٤١٧هـ وربيعِ الثانى
سنة ٤١٨هـ . (٣)

ولتأليف هذا الكتاب دواعى وملابسات لابد من الوقوف عندها —
فمن المعروف أن أبا محمد رحمه الله كان من كبار فقهاء الاندلس —
وقد ملأ علمه الدنيا ، وشغل الناس ٠٠٠ وتأليفه فى الحب لابن —
أن يحدث ضجة فى الوسط الذى ينظر اليه من زاوية أنه فقيه —
فكيف حدث ذلك ؟

للإجابة على ذلك ٠٠٠ لابد من معرفة الاطوار الاولى لحياته —
الباكرة ٠٠٠ لانها تبرز التبدلات التى عاشها ابن حزم ٠٠٠ وتقفنا —
على الدوافع الكامنة وراء هذا التأليف ويجب الا نسلم لابن حزم —
حينما يذكر أنه ألف هذا الكتاب بطلب من صديق له يقطن ألمريسة —
فلعل هذا القول منه كان من قبيل العادة التى جرى عليها القدماء —
فى ذكر أسباب مؤلفاتهم ، واذا كان هذا قد حصل بالفعل ف —
صادف حصوله هوى فى نفسه ٠٠٠ فالواقع أن كتاب طرق الحمامة —

(٣) انظر الصلة ص ١٤٩ .

وابن حزم (صورة أندلسية) للحاجرى ص ١٥٤ .

مدى لحياته الباكرة التى قضاهها فى قرطبة واعتبرها أجمل أيام عمره ... وبما أن نشأته الأولى كانت بين النساء اللاتى قمن على تربيته وتعليمه ... ولذلك عرف من طباعهن ما لم يتح لغيره ... وخبر من أسرارهن ما جعله قليل الثقة بهن ... فليس بغريب إذن أن يؤلف كتابا بهذه المثابة يودعه تجاربه الحميمة كما يعكسها جسده المرهف، وعقله الذكى ... هذا الى ما عرف عنه من صراحة فى الرأى ومقدرة فى الجدل، وقوة المنطق، وميل الى الانضواء ... وربما قصد من وراء ذلك أن يعرف عامة الناس ما يحدث فى قصور خاصتهم، من أمراء ووزراء، ما لم يتح لهم أن يعرفوه ...

ولكن الغريب حقا أن يكتب ابن حزم أشياء صريحة فى الحب ينسبها الى نفسه ... تدل دلالة قاطعة على تورطه فيه ووقوعه فى أغلاله وقيوده ... فكثيرا ما أورد " وعنى أخبرك ... وعن أحدثك ... وبأنى أحد من دهى بهذه الفادحة ... ونحو ذلك متجاهلا مكانته المرموقة كفقيه من كبار الفقهاء فى بلاده، ... مغضيا عما عسى أن يناله من وراء ذلك من لوم وتشريب .

ولكن ذلك الاستغراب يزول عندما يتحدث ابن حزم عن الحب فى مقدمة كتابه فنجده يقول : " انه ليس بمنكر فى الديانة ولا محذور فى الشريعة " ... (٤)

(٤) انظر طوق الحمامة ص ٥٠

قام ابن حزم بتقسيم كتابه تقسيماً منطقياً، فبدأ بـ———— شرح
أسباب تأليفه له وتحدث عن طريقة تناوله آياه ٠٠٠ وجاء الكتاب
في ثلاثين باباً .

منها : في أصول الحب عشرة أبواب ٠٠٠ ومنها في صفات الحبيب
وأعراضه المحمودة والمذمومة اثنا عشر باباً، وستة أبواب في
الآفات الداخلة في الحب، وفي فضل التعفف ٠٠٠ وان كان هو قــــ
استجاز تقسيماً آخر لأسباب منها استحقاق بعض هذه الأبواب في
التقدم على غيرها جاعلاً الضد إلى جانب ضده .

ومن خلال هذا المنهج يرى أن طوق الحمامة عندما عرض للحب
لايعول فيه صاحبه على الاخبار المأثورة في الحب او الآثــــ
المروية المحفوظة مما تقدم به الزمان أو اختلف فيه المكــــ
بل ان ابن حزم قد تنصل تنصلاً من هذه الاخبار في مقدمته ٠٠٠ بل
أراد أن يعبر به عن الحالة التي كان يعيشها في قرطبة ٠٠٠ تلك
الحالة التي يعبر عنها بقوله : " وما انتفعت بعيش ولافارقنــــ
الاطراق، والانغلاق مذ ذقت طعم فراق الاحبة، وانه لشجى يعتادنــــ
وولوع هم ماينفك يطرقنى، ولقد نغص تذكرى ماضى كل عيش أستأنفه
٠٠٠ وانى لقتيل الهموم في عداد الاحياء، ودفين الاسى بين اهــــ
الدنيا، والله المحمود على كل حال، لاله الا هو " ٠٠٠ فكــــ
أبا محمد أراد أن يسترد حياته تلك في قرطبة على النحو الــــ
يستطيع أن يملكه ويحققه، فكان له ذلك على هذا الاسلوب، وكان كتاب

(طوق الحمامة) فهو اذا شئنا كان صورة من حياته التى تعبر عن ذكريات عهد النضارة والكنز الذهبى الذى يدخره الانسان فى خياله ليرجع اليه ... واذا شئنا كان صورة من تلك الحالة النفسانية التى استبدت به بعد خروجه من قرطبة، وما يداخلها من يأس مضمّن ... فقد جمع بين ذكرياته الماضية، وحاله التى عاناها، نلمس ذلك من قوله " والكلام فى مثل هذا انما هو مع خلاء الذرع، وقرع القلب، وان حفظ شيء، وبقفاء رسم، وتذكر فائت لمثل خاطرى، لعجب على ماضى ودهمنى - فأنت تعلم ذهنى متقلب، وبالى متهضم بمسنا نحن فيه من نبوءة الديار، والجلاء عن الاوطان، وتغير الزمان، ونكبات السلطان، وتغير الاخوان، وفساد الاحوال، وتبدل الايام، وذهاب الوفرة، والخروج عن الطارف التالدة، واقتطاع مكاسب الآباء والاجساد والغربة فى البلاد، وذهاب المال والجاه، والفكر فى صيانة الاهل والولد، واليأس من الرجوع الى موضوع الاهل، ومدافعة الدهر وانتظار الاقدار، ولاجعلنا الله من الشاكين الااليه واعادنا السلى افضل ماعودنا، وان الذى أبقى لاكثر مما أخذ ... " (٥)

وانه ليتبين لنا بعد استعراضنا لمحتويات (طوق الحمامة) فى الفصل السالف أنه يشتمل على خبرات عاطفية متنوعة ... وتجارب

(٥) انظر طوق الحمامة ص ٥٦ .

وانظر - ابن حزم صورة اندلسية للدكتور طه الحاجرى

شخصية ذات مذاق واقعى ٠٠٠ استمدتها صاحب (الطوق) من حياته الخاصة
الخاصة تفرد له استقلاله الشعورى ، والذهنى ٠٠٠ ثم كعضو فسى
مجتمع دقيق الحس بما يعتمل بين أنحاءه من قضايا ، شاقب النظر
لما ينجم فيه من ظواهر ٠٠٠

وقد تمثلت خبراته فى ثلاث مجموعات :

المجموعة الاولى خبرات عاطفية ذاتية مارسها الفتى على بن
سعيد نفسه ، وقد اعترف بها فى جرأة واضحة ، وباح بها فى صراحة
كاملة ٠٠٠ وقدمها فى اطار من الحكايات الصغيرة والقصص
القصيرة ٠٠٠ بل ان من هذه الخبرات العاطفية لتمثل خطوته الباكرة
مما وقع له فى فجر حياته ٠٠٠ من ذلك خبر صاحبه الشقراء (٦)
وحديث صاحبه التى تحسن الضرب على العود ، وتجيد الفناء (٧) وقصة
(نعم) وما شعر به معها من حرقة الفقد (٨) وحكاية الجارية
التي علق بها قلبه فى الصبا وعاوده الحنين اليها فسى
الشباب (٩) ٠٠٠ الخ .

المجموعة الثانية : خبرات شخصية تمثلت فى ملحوظات ذكية

(٦) الطوق ص ١٢٤ .

(٧) الطوق ص ١٢٤ .

(٨) الطوق ص ٢٩ .

(٩) الطوق ص ١٦٦ .

حول أطوار الحب وأحوال المحبين ... وقد اختلط في هذه التجارب ما هو خاص يتعلق بصاحب (الطوق) وما هو عام يتعلق بما هو ملحسوظ في الغير ... وقد ساق هذا الجانب في تفصيل دقيق أحاط خبرا فيسه بخبايا النفوس، ونبضات القلوب، من ذلك : كشفه عن علامات الحسب ومظهرها نفسيا وجسديا ومزاجيا (١٠) والحب الذى ينطوى داؤه على دوائه (١١) وتبدل أخلاق المحبين وطبائعهم (١٢) والتحليل النفسى لحب الشهوة (١٣) وطبائع النساء والحب (١٤) ونفسية المرأة والحب (١٥) وطرق الوصل (١٦) وأنواع الهجر (١٧) والموازنة بين البين والهجر (١٨) والقناعة بالظيف (١٩) وأنواع التعرييض (٢٠) والرقباء وطرق ارضائهم والاحتياى عليهم (٢١) والاعتسراف والاستسلام والتوبة والرمى بالمقاليد ... الخ (٢٢)

(١٠) الطوق ص ٢٧ - ٣٠ .

(١١) ص ٢٤ .

(١٢) ص ٧١ .

(١٣) ص ٢١ .

(١٤) ص ٧٨ .

(١٥) ص ٨٠ .

(١٦) ص ٩٤ .

(١٧) ص ٩٨ .

(١٨) ص ١٢٧ .

(١٩) ص ١٢٥ .

(٢٠) ص ١٣١ - ١٣٥ .

(٢١) ص ٥٤ .

(٢٢) ص ٨١، ٨٠ .

المجموعة الثالثة : خبرات عاطفية وقعت لعدد من معاصريه
ممن يثق بهم ، منهم الاخ والصديق والجار والمخالط ... وقد يشير
الى هذا الجانب لدى بعض الخلفاء والكبراء . ربما ليقول: ان
الناس جميعا سوا . أمام جيروت هذه العاطفة الرقيقة .
من ذلك قصة بنت زكريا بن برطال وزوجها (٢٣) وأبي عامر
محمد بن عامر وصاحبته عفران (٢٤) ومروان بن حدير وذهاب الحب
بعقله (٢٥) ويحيى بن عبدة وجاريتته (٢٦) وأبي بكر بن حزم وزوجته
(٢٧) والجارية التي ماتت حبا (٢٨) والجارية التي لم تستسلم
لمولاها الجديد بعد موت مولاها القديم (٢٩) واقدام أندلس على
الانتحار فى سبيل الحب (٣٠) وقصة خلف مولى هشام وجاريتته التي
طلب من أجلها (٣١) والجارية التي تقبل موطن قدم حبيبها (٣٢)

(٢٣) ص ٩٥ .

(٢٤) ص ١٠٥ .

(٢٥) ص ١٣٩ .

(٢٦) ص ١٥٢ .

(٢٧) ص ١٥٤ .

(٢٨) ص ١٥٢ .

(٢٩) ص ١١١ .

(٣٠) ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٣١) ص ١٨٦ .

(٣٢) ص ١٣٠ .

وقصة الجارية التي تكلم فتاها رمزا (٣٣) ٠٠٠ الخ:٠٠
وهكذا عندما نوازن بين (طوق الحمامة) وبين غيره من الكتب
التي تناولت ظاهرة (الحب) يظهر لنا أنه يختلف عنها اختلافاً
واضحاً في أنه ينبثق من الواقع النفسى لشخصية ابن حزم، بينما
غيره ينبثق من الواقع الثقافى، وهذا هو جوهر القضية ٠٠٠
وقد كان أبو محمد بادىء ذى بدء يشعر بهذا شعوراً أكيداً
ويقصد إليها قصداً ظاهراً ٠٠٠
استمع إليه يقول فى غير جمجمة " ودعنى من أخبار الاعراب
والمتقدمين، فسبيلهم غير سبيلنا، وقد كثرت الاخبار عنهم " (٣٤)
ثم يردف: " ومأزبهى أن انضى مطية سواى، ولأن أتلقى
بلى مسعار " ٠ (٣٥)
وكثيراً ما يصدر قصصه بقوله: " وعنى أخبرك " و " عنسى
أحدثك " ٠ (٣٦)
أو يتحدث عن عاطفة الحب، فيقول: " ولقد جربناه فـكـان

٠ (٣٣) ص ٩٧

٠ (٣٤) الطوق ص ١٧

٠ (٣٥) ص ١٧

٠ (٣٦) ص ١٢٤

مرا " ٠٠٠ (٣٧)

هكذا يصرح بالتجربة ٠٠٠ ويشعر بالمرارة ٠٠٠ وينفض ما يحس به
نفضا ٠٠٠ وقد يقول بصدد تجارب عاطفية وقعت لبعض خلطاءه
" وقع لى مثل هذا " ٠ (٣٨)

هكذا بتلقائية شديدة وعفوية سهلة فى غير تكلف ولا حرج
ويقول أيضا مؤكدا استقلاله عن غيره فيما يكتب فى هذا الموضوع
الشائك : " وهذا هو مذهبي " ٠ (٣٩)

بل ان لغته المتوترة فى (الطوق) لتشهد له بالاستقلال فى
التجربة الشعورية والطاقة التعبيرية معا، وتنطق بخصوصيته
البالغة التفرد فى عالم الحب ٠٠٠ وتميز لغته عما عداها من
لغات المحبين، وأمامنا باقة من أقواله الملتاعة التى تكشف عن
أسرار قلبه الحميمة :

" مالمق بأحشائى حب قط الامع الزمن الطويل - ما انتفعت
بعيش ولا فارقنى الاطراق ، مذ ذقت طعم فراق الاحبة - وطشت بسياط
الخلفاء ، وشاهدت محاضر الملوك ، فما رأيت هيبة تعدل هيبة محب
لمحبوبه - جريت اللذات على تصرفها ، وأدركت الحظوظ على

٠ (٣٧) ص ٤١

٠ (٣٨) ص ٦٢

٠ (٣٩) ص ٢٥

اختلافهما ،فما للدنو من السلطان ،ولالجمال المستفاد،ولا للأمن
بعد الخوف من الموقع فى النفس ماللوصل بعد طول الامتناع - انسى
لقتيل الهموم فى عداد الاحياء ،ودفين الاسى بين أهل الدنيا
قد حث زناد الشوق نار الوجد بين ضلوعى - لقد نعى الى بعض من
كنت أحب ،فممت قارا بنفسى بين المقابر - ولعمري لو كان ظريف
يموت فى ساعة الوداع لكان معذورا - الموت أسهل من الفسراق
الحب : " لذة مخيفة لاتقاومها لذة " - الفراق هو " الخطيب
الموجع ،والهم المفظع ،والحادث الاشنع " -

ثم هاهى ذى طائفة من أقواله الذكية التى تكشف عن أسرار
قلوب الآخرين ...

" نلاحظ الحبيب منحرفا عن محبه ،مقبلا بالحديث على غيره ،ومع
ذلك قطبعه جاذب ،تراه منحرفا كمقبل ،... ساكتا كناطق ... ناظرا
الى جهة نفسه فى غيرها ،ان للمحبين فى الوصل من الاعتذار ،ما أعجز
أهل الازهان الذكية ،والافكار القوية - العاشق يضع الكتاب على
قلبه وعينييه ويعانقه - الهوى سلطان مطاع ،وبناء مشدود الاواخسى
وسنان نافذ - مارأيت امرأة كشفت سر متحابين الاوى عند النساء
ممقوتة ،مرمية عن قوس واحدة ... " .

ولكن ... هل معنى ذلك أن ابن حزم لم يتأثر اطلاقا بغيره
ممن تقدمه ؟...

من التعسف الشديد أن يقال مثل هذه القالة ... اذ معنسى

ذلك أن الرجل لم يقرأ تراث من تقدمه ... وهذا شيء غير وارد، لأن
أبامحمد قارىء نهم ... ومثقف كبير ... وجهله بتراث المتقدمين
يعتبر تقصيرا في حق أمثاله ...

اذن من المسلم أنه قد قرأ انتاج من تقدمه في هذا الموضوع
أو على أقل تقدير قرأ معظمه ... ولم يند عنه الاماعسى أن يكون
بعيدا عن متناول يده ... ومن المحقق أن هذا القليل البعيد عن
متناوله، خلاصته مودعة في بطون الكتب الاخرى التي وصلت الي
يديه ... اذ من المؤلف في التأليف العربية أن السابق يأخذ عن
اللاحق ...

أجل هذه قضية لا يصح الخلاف حولها ...

ولكن مامدى تأثر ابن حزم بمن ألف قبله في موضوع الحب ...؟

الواقع أن طوق الحمامة قسمان :

قسم نظري يأخذ صيغة منطقية شكلية جافة : وهي التي تتمثل
في التقسيمات، والتعريفات، والنظريات، والابواب، والفصول
والمفردات التي تشكل معجم الحب من (وصل) و (هجر) و (بيــــــــن)
و (غزل) وما الى ذلك .

وهذا القسم يلتقى فيه أبو محمد مع كل من كتب في الحب
من سابقه ولاحقيه، من لدن الجاحظ الى داود الانطاكي مرورا بكتابي
(الزهرة) و (الموشى) بوصفهما ألمع كتابين في هذه القضية ... ومع
ذلك فان المستشرق الاسباني " جارشيا جومث " حتى في هذا الجانب

يقرر: "أنه ليس شمة شك في أن (الطوق) أفضل نهجا وتنظيمًا
وترتيبًا من كتابي (الموشى) و (الزهرة) " (٤٠) .
وعلى كل ... فان هذا القسم يشكل مادة ثقافية مباحة لكل
من يكتب في الحب، لايحظر على باحث ولايمنع منه دارس ...
والحقيقة أن هذا القسم يعتبر أضعف ما في كتاب (طوق الحمامة)
... بل هو نقطة الضعف الوحيدة فيه .
ولو خلا منه ... لكان (الطوق) خالص التوجه لفن الادب وحسده
ولكان ارضن وحدة وأروع شاعرية ... ولاستطاع ابن حزم أن يطاول
به أحدث الكتابات المعاصرة في (فن الاعترافات العاطفية) .
أما القسم الثاني من الطوق فهذا هو الذى ينفرد به على بن
سعيد عن سائر من ألف من العرب في موضوع " الحب " فقد أودع فيه
تجاربه العاطفية الحميمة في جرأة عجيبة ... ولانعرف فـــــــى
الادب العربى من فعل ذلك في فن النشر قبل هذا الفقيه الجدل الحاد
الطبع الذكى الحس والنفس ... ومما تجدر ملاحظته في هذا الموطن
تسمية كتابه (طوق الحمامة) ... فالحمام رمز الدعة والوداعة
ورقة العاطفة ... وهل في الدنيا أرق من زوجى حمام ... يتبادلان

(٤٠) مجلة الاندلس - المجلد ١٦ سنة ١٩٥١ مقالة لجارثيا جومت .
عن كتاب دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة - د. طاهر

المحبة... ويدين سألدهما متقاره العاجى فى منقار الآخر... فى
مرح رشيق... ؟

وأخذه من الحمامة (طوقها) ... والطوق عقد دقيق فى رقبة
الحمامة يزيدا وداعة... فياله من رمز شاعرى لمضمون (الحب)
فى كتابه الرائع الجميل...

بقى أن نعرف موقف الذين جاؤوا بعده من مؤلفى العرب ممن
كتبوا فى الحب...

هل تأثروا بالطوق؟

وان كان... فمن أى الجوانب...؟

ونبادر للإجابة فنقول: نعم تأثروا به... ولكن فى الناحية
الشكلية الخارجية... تأثروا به فى القضايا النظرية، والتقسيمات
المنطقية، والنزعة الدينية، والمعجم التقليدى لمفردات الحب
المطروقة... واندفعوا يحشدون الاخبار والنوادر... ويحتسرون
الزاد الثقافى المألوف فى هذا الموضوع...

تماما كما سبق أن تأثر أبو محمد بمثل ما تأثروا به ممن
السالفين كما سبق أن فعلنا القول... وهذه القضية لا يصح أن تكون
موضع نقاش لوضوحها، ولا ينبغى أن تسود صفحات لكشف وجه الحقيق
فيها... فان الحق واضح ظاهر لكل من تصفح أيا من كتــــــــــــــــب
الخالفين... بد ١٦ بابن السراج وابن القيم وابن الجوزى وغيرهم
... الى داود الانطاكى، ويوسف بن مرعى الحنبلى... على

تفاوت بينهم فى ذلك كله ... أما الشئ الذى تحاموه جميعا فهو
نهجه الاخير الذى انفرد به بين كل من كتب فى الحب ... وهسسو
الاعتماد على الخبرات الحية والتجارب الواقعية ... فلم يسلك
أى منهم هذا السبيل ...

ومما تجدر الاشارة اليه أن المستشرق الاسبانى " جارثيا
جومث " يرى أنه ربما كان لطوق الحمامة أثر فى الادب الاسبانى
ويضرب لذلك مثلا بكتاب (الحب المحمود) لكاهن هيتا من مفكرى
القرن الرابع عشر ، وكتاب (مزايا الفضيلة) للراهب الكرملسى
" جوزيفادى خوس مارية " من مفكرى القرن السادس عشر . (٤١)

وإذا صح لنا أن نستوحى عنوان الكتابين قلت ... ولعل هذا
الاثر أيضا كان فى ضوء فهمهم لنظرية الحب عند ابن حزم التى
يفهمها القوم فهما مغلوطا يمزجون فيه مزجا شائها بين العرقية
العنصرية بحسبهم على بن سعيد أسبانى النسب كما يؤكد أبو حيان
وبين المسيحية بحسبهم الجد الاعلى للرجل نصرانيا ، وبين الافلاطونية
بحسبها من بين تراثهم الأوروبى ، وبين الحب العذرى بحسبه مسس

(٤١) مجلة الاندلس - مجلد ١٦ - سنة ١٩٥١م مقالة لجارثيا جومث -

نقلا عن (دراسات عن ابن حزم) د . طاهر مكى ص ٣٢٠ .

نتاج المسيحية والافلاطونية جميعا . (٤٢)

والواقع أن (مفهوم الحب عند ابن حزم) لا يدين بشيء لغير
الاسلام دين الله القيم الذى ينظر الى الحب نظرة واقعية يدفع بها
نحو (طريق) ايجابى هو الزواج وبناء الحياة .
حقا ان المتصفح للطوق يلمس فيه تأثيرات افلاطونية يتضح
ذلك فى مثل قوله عن الحب (والذى أذهب اليه أنه اتصال بين
النفوس المقسومة فى هذه الخليقة فى أصل عنصرها الرفيع) . (٤٣)
وقوله : (العشق استحسان روحانى ، وامتزاج نفسانى) . (٤٤)

الى غير ذلك ...

ولكن الشيء الذى جعله يقبل هذا هو عنصر (العفة) التى
يلتقى فيها الاسلام مع الحب العذرى ، والافلاطونية جميعا ، ولاشئ
وراء ذلك .

ومجمل القول فى هذه القضية أن الذى يظهر لى بعد السـدرس
والبحث أن الحب الذى يعتقده أبو محمد نوعان ليس وراءهما شئ

(٤٢) اميل اسين بلاثيوس - ابن حزم القرطبى ، وانظر أيضا فى
مناقشة هذه القضية : مقدمة طوق الحمامة للفيلسوف الاسبانى
(اروتيجا اى جاسيت) عن كتاب (دراسات عن ابن حزم) د . طاهر
مكى .

(٤٣) الطوق ص ١٩ .

(٤٤) الطوق ص ٢١ .

آخر :

أحدهما : حب يقوم على التوافق الروحي ، الخالص بعيدا على
الانجذاب الجسدى أو ما يسميه ابن حزم الصورة الحسنة (٤٥) وهذا
أرقى أنواع الحب الذى يشير اليه الحديث الشريف : (الأرواح جنود
مجندة ، ماتعارف منها ائتلف ، وماتناكر منها اختلف) . (٤٦)

وثانيهما : حب يجمع بين التوافق النفسى والتوافق
الجسدى . . . ولأحياة لمثل هذا الحب الا بأحد أمرين :

أما بالزواج الذى يعمر الكون ويبنى المجتمع ، وهذا هو
الهدف الاول لشريعة الاسلام ، وأما بالعفة ، ومن وراء العفة
المعانة ، ومن وراء المعانة ، تجارب شعورية نبيلة ، ومن
وراء ذلك كله اخصاب الاداب والفنون ، ورقى المجتمعات الانسانية
والاسلام أيضا لا يأتى هذا . . . وهل كان (طوق الحمامة) الا من
عطاء ذلك ؟ .

أما ما يخرج عن هذه الدائرة فهو الذى يقع فى نطاق قبس
المعصية ، الذى وقف عليه أبو محمد بابا فى (الطوق) . (٤٧)

• (٤٥) الطوق ص ٢٤

• (٤٦) أخرجه مسلم

• (٤٧) الطوق ص ١٦٠

ان الاسلام لاينكر وجود غريزة الحب فى البشر،يقول ابن القيم
" ان الله سبحانه وتعالى لم يأمره بصرف قلبه عن هوى النساء
جملة، بل أمره بصرف ذلك الهوى الى نكاح ما طاب له منهن من واحدة
الى أربع، و من الاماء ماشاء، فانصرف مجرى الهوى من محل السنى
محل ... " (٤٨)

ومن ذلك يبدو أن حب المرأة فى الاسلام لابد أن يكون وراءه هدف
واضح وهذا الهدف، اما أن يكون الاستحلال بالزواج أو غير ذلك
كالسماع عن امرأة سالحة، فتكن لها المحبة لما اتمفت به من
صفات حميدة، فتكون المحبة فى جناب الله، دون أى صلة عاطفية ...
وميل الرجل للمرأة، وميل المرأة للرجل شئ فطرى، فقد قرره
الله عز وجل فى كتابه العزيز عندما قال : " هو الذى خلقكم من
نفس واحدة، وجعل منها زوجها ليسكن اليها... " الآية (٤٩) وقوله
سبحانه : " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا
اليها، وجعل بينكم مودة ورحمة ... " الآية (٥٠)

فشريعة الاسلام تجيز لكل من الرجل والمرأة التعرف على
الصفات التى ينطوى عليها كل من الآخر اذا كان القصد من وراء ذلك

(٤٨) روضة المحبين ص ١٠، دار الكتب العلمية - بيروت .

(٤٩) الاعراف : ١٨٩

(٥٠) الروم : ٤٩

الزواج، ولذلك شرع النظر الى المخطوبة ،حيث قال صلى الله عليه وسلم : " انظر اليها فانه احرى أن يؤدم بينكما " (٥١)
وشرع الاسلام الحجاب ،وجعل ضوابط معينة لمعاملة المرأة الاجنبية ،فلا يخلو بها رجل غير ذى محرم ،ولا يسافر بها . . . ولا يحادثها وتحادثه بخضوع فى القول حتى لا يطمع فيها ويعشقها على اشر سماع صوتها ،لما فى ذلك من وقوع فى مالاتحمد عقباه . . . ولذلك منع الاسلام المرأة من السفر بدون محرم وكذلك الحج بدون محرم الا أن تكون فى جملة نساء صالحات أو رفقة مأمونة وقد ذكر ذلك ابن حزم عن بعض أهل العلم* ويجتمع ذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم : " ألا لا يخلون رجل بامرأة ،ولا تسافرن امرأة الا ومعها ذو محرم " . (٥٢)

كل ذلك لضبط المعاملة بين الرجل والمرأة مادامت الصلوة بعيدة بينهما ،وليس بينهما حرمة نسب أو رضاع ونحوه .
وأبو محمد وهو الفقيه الظاهرى ،قد انطلق من وجهة اسلامية يدعمها بقوله : " والحب ليس بمنكر فى الديانة ،ولا بمحذور فى الشريعة اذ القلوب بيد مقلبيها عز وجل . . . " (٥٣) ثم ساق لنا أمثلة كثيرة لأئمة صالحين وقعوا فى برائن هذه العاطفة . . . ولم

(٥١) الحديث رواه (الترمذى فى باب النكاح ص ٢٥) وفى مسند احمد ج ٤ ص ٤٥٥ - ٤٤٦ .

(*) (أنظر المحلى جزء ٧ - كتاب الحج ص ٤٧ ، دار الفكر .

(٥٢) الحديث رواه الشيخان .

(٥٣) طوق الحمامة ، ص ٥ .

يجز لآحد ان يظن به :ظنا سيفا ... وكان يعرف أن هناك من سينكسر
عليه هذا التأليف ... ولكن ابن حزم قصد به الحب العفيف ، ولذلك
كل ما أورده هو قصص حب لجوار مملوكات ... وهذا ليس بمنكر
ولامحذور ...

أما ما يؤدى الى هتك أعراض الناس ... ويخرج عن تعاليم
الاسلام ، فابن حزم منه براء ، ولا يمكن أن تكون هذه الرسالة مدعاة
الى الرذيلة ، ان لم تكن مدعاة الى الفضيلة فيها هو ذا يقف بابسين
فيها لهذا الهدف بابا لبيان فضل التعفف ، وبابا لبيان قبح
المعصية ... ووقف من الفساق موقفا حاسما ... وبين بشاعة
الزنا ، وفضاعة المعصية ... ويقسم أنه ما خلع ازاره على فـرج
حرام مذ عقل ، ولا يحاسبه ربه بكبيرة الزنا . (٥٤)

فهو عند ما كتب هذه الرسالة لا يقصد بها جواز الحب المسودى
الى الفاحشة ، نلمس ذلك فى حديثه عن العفة عندما يقول : " فبحسب
المرء المسلم أن يعف عن محارم الله عز وجل التى يأتيتها
باختياره ، ويحاسب عليها يوم القيامة ... وأما استحسان
الحسن ، وتمكن الحب فطبع لا يؤمر به ولا ينهى عنه ، اذ القلوب بيد
مقلبها ولا يلزمه ؛ غير المعرفة والنظر فى فرق الخطأ والصواب
وأن يعتقد الصحيح باليقين ... وأما المحبة فخلقها ... وانما يملك

الانسان حركات جوارحه؛ المكتسبة ٠٠٠ " (٥٥)

وابن حزم عندما طلبت منه كتابة هذه الرسالة تردد فيها
ولكنه لبي رغبة صاحبه كما يقول : " ولولا الايجاب لك لما تكلفتها
فهذا من العفو، والاولى بنا مع قصر اعمارنا ألا نصرفها الا فيما
نرجو به رحب المنقلب، وحسن المآب غدا ٠٠٠ ويستشهد بحديث ينسبه
الى القاضي حمام بن أوس يرفعه الى أبي الدرداء أنه قال :
" أجموا هذه النفوس بشيء من الباطل ليكون عوناً لها
على الحق " ٠٠٠ وأقوال الصالحين من السلف المرضى : من لم
يحسن يتفتى لم يحسن يتقربى ٠٠٠ وفى بعض الاثر : " أريحوا هذه
النفوس فانها تصدأ " ٠٠٠ (٥٦)

ولكن الذى يؤخذ على ابن حزم هو ايراده لبعض القصص التى
كان يجب أن يترفع عن ايرادها، كالتى وردت فى العلاقات المثلية
وكقصة النسوة اللاتى عبرن بحر القلزم واعتوار ربان السفينة
عليهن ٠٠٠ (٥٧) فان هذا الخبر الاخير آخرى به أن يكون من
مسامرات العامة لابتذاله وبعد وقوعه ٠٠ فكيف تسنى لراوي قصة
الخبر العجوز أن ترى دقائق هذا الامر بالتفصيل والدقة فى وصف
ما يصب وصفه بالليل لعدم اتضاح الرؤية ٠٠٠

(٥٥) الطوق ص ٦٠ .

(٥٦) طوق الحمامة ، د. فاروق سعد ص ٥٣ .

(٥٧) انظر طوق الحمامة ص ١٣٢ .

أما معالجة ابن حزم لموضوعات الحب فهي قائمة على الاستقراء والتتبع ... مرتكزا على ثقافته الإسلامية ... فعندما يعالج موضوعا من موضوعات الحب نجده يتناوله من وجهتين : وجهة واقعية ووجهة تجريدية ... فهو يبدأ القضية من قضايا الحب واقعية تنبع الفكرة، وينبع الرأي عنده من الواقع بعينه أو من تجربته الحسية الذاتية، أو تجربة الغير، التي يثق بصدق صاحبه ... وصحتها ... ثم ينتهي بالقضية الى نطاق تجریدی تنفصل فيهِ أو تكاد عن متبعا الاميل الواقع ، وقد يحدث العكس أى أنه يبدأ القضية من عالمها المثالي، وينتهي بها الى أصلتها الواقعية . (٥٨)

أما تقسيمه للرسالة : فهو تقسيم منطقي ، يعتمد على التحليل ، والتفسير لقضايا الحب ... والذي جعله يتبع هذا السبيل هو حديثه عن الحب باعتباره واقعا لاخيالا ...

وهذا النمط من الدراسة يلتقى كثيرا مع نظريات علم النفس لاعتمادها على معرفة طبائع النفوس ...

وتبرز الاصاله الفنية فى (الطوق) واضحة ... يتمثل ذلك فى أنه يعكس الملامح الشخصية لمؤلفه ، فيبدو أبو محمد من خلال رجلا شديد الغيرة (وأصل ذلك غيرة طبعت عليها) وافر الوفاء (وفاء لايشويه تلون قد استوت فيه الحضرة والغيبة، والباطن والظاهر) .

عزيز النفس : (عزة نفس لاتقر على الضيم ، موثرة للمــــــــــــــــوت

عليه ٠٠٠) .

حاد الطبع : (فلم أزل أداوى ذلك حتى وقفت عند ترك اظهار

الغضب جملة بالكلام والفعل والتخبط) .

معترفا بعيوبه : (كانت فى عيوب فلم أزل بالرياضة مداواتها

حتى أعان الله عز وجل على أكثر ذلك) .

شجاع النفس والفكر (حد الشجاعة بذل النفس عن الديــــــــــــــــن

والحریم وعن الجار المضطهد وعن المستجير المظلوم ، وعن الهزيمة

ظلما فى المال والعرض ، وفى سائر سبل الحق ٠٠٠ والتقصير عمــــــــــــــــن

ذكرنا جبن وخور ، وبذلها فى عرض الدنيا تهور وحمق ٠٠٠ وأما الذى

يعيبنى فيه جهال أعدائى من أنى لأبالى فيما اعتقده حقا عــــــــــــــــن

مخالفة من خالفته ، ولو أنهم جميع من على ظهر الأرض ٠٠٠ فهــــــــــــــــذه

الخصلة عندى من أكبر فضائلى) .

مؤثرا للصدق (ما أحببت قط كذابا) (وما رأيت أخزى من كذاب) .

محتقرا لأهل النميمة (النميمة طبع يدل على نثن الاصلــــــــــــــــل

ورداءة الفرع ، وخبث النشأة) .

مأمون الجانب (ما سمحت لنفسي قط فى الفكرة باضرار مــــــــــــــــن

بينى وبينه أقل ذمام) .

منصفا للمصديق (فع امر اخيك على أحسنه حتى يأتىك ما يغلبك

عليه) .

رقيق الحس مقدرًا للحسن (النفس الحسنة تولع بكل شئ)

• (حسن)

عفيفًا طاهر العرض (يعلم الله أنى برىء الساحة ، نقى

الحجزة ... ما حلت مئزرى على فرج حرام قط ... ولا يحاسبنى

• ربي بكبيرة الزنا)

منزها عن شرب الخمر (معاذ الله أن تكون معصية الله

• بشرب الراح لنا خلقا)

مدلا بوضعه الاجتماعى فيردد أمثال هذه الأقوال (أيسام

• وزارة أبى) و (أيام دولتنا وامتداد ظلنا)

حاد اللسان فى نقد مجتمعه (كل مدير مدينة فى شئ من

أندلسنا ... محارب لله تعالى وساع فى الأرض بفساد ... ولا يفرنكم

المنتسبون الى الفقه ... اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع)

مراقبا ربه : (اذا لم يكن بد من اغضب الناس أو اغضب

• الله عز وجل ، فاغضب الناس ، ولا تغضب ربك)

محتقرا للمال (ذمنى بعض من تعسف الامور ... بأنى أضيع

مالى ... اننى لأضيع منه الاماكان فى حفظه نقص دينى ، او اخلاق

عرضى ، او اتعاب نفسى ، فانى أرى الذى أحفظ من هذه الثلاثة وان قل

• أجل ... مما يضيع من مالى ولو أنه كل ما ذرت عليه الشمس)

والذى يعزوه هذه الرسالة الى الفن والادب هو : ايراد هذا

الكم الوفير من القصص فى الحب العذرى ... وقد جاءت فى صياغة

أدبية خالية من السجع، والازدواج، والتزويق اللفظي أو التصنع فهو يهتم بسرد الحقائق ولا يهتم بالزخرفة والزينة... يكثر من الشواهد، والأمثلة... فنجد البساطة وعدم التكلف في أسلوبه... لكن غلبة المنطق عليه، واهتمامه بالعلل، والمقدمات والنتائج وإيراده لبعض المصطلحات الفقهية والدينية جعلت من نشره نموذجاً مستقلاً عن غيره من الأدباء الذين كتبوا في (فن النشر) مثل ابن شهيد، والبديع وغيرهما . (٥٩)

وعلى ذلك يمكن أن نحدد أسلوب ابن حزم... فهو ينحصر في

ثلاثة أنواع :

نوع يعالج الأفكار والنظريات : ويعنى بالتقسيم المنطقي والتحليل الذهني والعبارة الدقيقة، ويتبين ذلك في قوله يحلل عاطفة الحب (وقد اختلف الناس في ماهيته وقالوا وأطالوا، والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع... لاعلى ما حكاه محمد بن داود رحمه الله عن بعض أهل الفلسفة : الأرواح أكر مقسومة لكن على سبيل مناسبة قواها في مقر عالمها العلوي، ومجاورتها في هيئة تركيبها) . (٦٠)

(٥٩) الأدب الاندلسي - احمد هيكل ص ٤٠٠ .

(٦٠) طوق الحمامة ص ٦ + ت : الأبياري .

وعنايته بالتقسيم والتحليل تتجلى فى تقسيمه للرسالة السى
 أبواب حلل فيها عاطفة الحب تحليلا دقيقا ... يتضح فيه الطابع
 المنطقى، ويتسم بالجفاف ويخلّوه من الطلاوة الفنية : ومن ذلك
 قوله : " ومن آفات الحب الواشى وهو على ضربين . أحدهما : واشى
 يريد القطع بين المتحابين فقط ...

والثانى : واشى يسعى للقطع بين المحبين ... الخ وعلى
 هذا النمط يسير ابن حزم فى تقسيمه ... (٦١)

ونوع يعالج تجارب موضوعية عامة لا تتسم بالخصوصية ، ويظهر فيه
 طلاوة التعبير، وبراعة التصوير ... ويتشخ بالطابع الادبى المصقول
 ومن ذلك قوله : " انى تنزهت أنا وجماعة من اخوانى من أهـــــــــل
 الادب ، والشرف الى بستان لرجل من أصحابنا فجلنا ساعة ... ثم
 أفضى بنا القعود الى مكانة دونها يتمنى ... فتمددنا فـــــــــى
 رياض أريضة، وأرض عريضة ، للبصر فيها منفسح ، وللنفس لديها مسرح
 بين جداول تطرد كأباريق اللجين ... وأطيّار تفرد بألحان تـزرى
 بما أبدعه معبدوا القريض، وثمار مهدلة قد ذلت للأيدي ودنست
 للمتناول ، وظلال مظلة تلاحظنا الشمس من بينها ... فتتصور أيدينا
 كرقاع الشطرنج ... والشباب المدبجة وماء عذب يوجدك حقيقة
 طعم الحياة، وأنهار متدفقة تنساب كبطون الحيات لها خريـــــــــر

يقوم ويهدأ ، ونواوير مونقة ، مختلفة الالوان تصفحها الرياح الطيبة
النسيم ، وهوا ٦ سجع ، وأخلاق جلاس تفوق كل هذا ، فى يوم ربيعـــــــــــــــــ
ذى شمس ظليلة ، تارة يغطيها الغيم الرقيق ، والمزن اللطيفـــــــــــــــــ
٠٠٠ وتارة تنجلي فهى كالعذراء ٦ الخفرة والخريدة الخجلة ، تتراءى
لعاشقها من بين الاستار ، ثم تغيب فيها حذر عين مراقبة ، وكأن
بعضنا مطرقا كأنه يحدث أخرى ٠٠٠ وذلك لسر كان له ، فعرض لـــــــــ
بذلك وتداعبنا حيننا فكلفت أن أقول على لسانه شيئا فـــــــــــــــــ
ذلك ٠٠٠ الخ " ٠ (٦٢)

ونوع يتصل بتجاربه الذاتية الحميمة ، والاسلوب هنا شديـــــــــد
الروعة والشفافية تغلب عليه أنافة التعبير ، وحرارة الانفعـــــــــال
يكاد يصل فيه فن النثر الى غنائية الشعر ٠٠٠ ويظهر ذلك من قوله
فى باب الوصل : (ومن وجوه العشق الوصل ، وهو حظ رفيع ، ومرتبـــــــــة
سرية ، ودرجة عالية ، وسعد طالع ، بل هو الحياة المجددة ، والعـــــــــيش
السنى ، والسرور الدائم ورحمة من الله عظيمة ٠٠٠ ولولا أن الدنيا
دار ممر ومحنة وكدر ، والجنة دار جزاء ٦ وأمان من المكاره لقلنا
ان وصل المحبوب هو الصفاء الذى لا كدر فيه ، والفرح الذى لا شائـــــــــبة
ولا حزن معه ، وكمال الامانى ، ومنتهى الارجى ٠ ولقد جريت للذات على
تصرفها ، وأدركت الحظوظ على اختلافها ، فما للذنو من السلطـــــــــان

ولالجمال المستفاد، ولا للوجود بعد العدم، ولا للآوبة بعد طــــول
الغيبية، ولا للأمن بعد الخوف، ولللتروح على المال من الموقع فــــى
النفس ماللوصل، لاسيما بعد طول الامتناع، وحلول الهجر، حتــــى
يتأجج عليه الجوى، ويتوقد لهيب الشوق وتتضرم نار الرجــــاء
... وما أصناف النبات بعد غب القطر، ولا اشراق الازاهير بعد اقــــلاع
السحاب الساريات فى الزمان السجسج ولاخيرير المياه المتخللــــة
لافانين النوار، ولاتأنق القصور البيض قد أحدقت بها الرياض الخضر
بأحسن من وصل حبيب قد رضيت أخلاقه، وحمدت غرائره، وتقابلت فــــى
الحسن أوصافه، وأنه لمعجز السنة البلغاء، ومقصر فيه بيــــان
الفصحاء، وعنده تطيش الالباب، وتعزب الافهام ... " (٦٣)

ومجمل القول فى اسلوب ابن حزم أنه فى الغالب : اســــلوب
مرسل لايعنى كثيرا بزخرفة اللفظ، وتزويق الكلام ... فقد أجمــــع
النقاد على : (أن نشره هو آيته الادبية فى الروعة، وأنه كــــان
ذا نظر ثاقب فى نقد الاساليب، وتمييز المذاهب النثرية ... وهو
فى ذلك طليعة مدرسة النشر الفنى بين الاندلسيين ... ودليــــل
من أدلة العالمية فى الادب العربى ويرى بعض مؤرخى ابن حــــزم
أن نشره لايكاد يفترق عن شعره من ناحية الجرس والموسيقــــى
الداخلية ... والسلاسة التلقائية ... والسهولة الممتعة .. (٦٤)

(٦٣) طوق الحمامة ص ٩٠ .

(٦٤) انظر الادب الاندلسى - أحمد هيكى ص ٤٠٠ .

وغنى عن البيان أن ابن حزم فى كتابه هذا الذى دون فىه
اعترافاته الشخصية واعترافات بعض أصدقائه ، لم ينسحب فيه على
أذيال غيره ، وأن هذا الجانب من (طوق الحمامة) يعد فنا جديدا فى
جنس النشر من الأدب العربى ...

الباب الثالث

مغامرة الفكر بين رياض الفن

أو

قصة «حي بن يقظان»

الفصل الأول

قصة «حيّ بن يقظان» ونظائرها...

سلك ابن طفيل (1) في تأليفه قصة "حي بن يقظان" مسلك أدباء
الغرب في القديم والحديث... إذ كان بعضهم يعتمد على موضوع

(1) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل الأندلسي

القيسي .

ولد حوالي (500 هـ / 1106م) في وادي آشي الواقع إلى الشمال
الشرقي من مدينة غرناطة ، وخدم حاكمها ، ثم طبيباً للسلطان أبي
يعقوب يوسف " من الموحدين " سنة 558 هـ ، ثم اشتهر بالفلسفة ، قال
عنه ابن سعيد : قال والدي : " لقيت علماء كثيرة يغلون على
فيلسوف الأندلس أبي بكر ابن باجه الذي يعتبر ابن طفيل أحد أتباعه
في فكره وفلسفته ، وكان معجبا به في طريقة تفكيره ، وما قصة "حي
بن يقظان" لابن طفيل في أساسها سوى فكرة "المتوحد" لابن
باجه.....

وعن معنفاته يقول المراكشي : " رأيت له تعانيف في أنواع الفلسفة
من الطبيعيات والالهيات وغير ذلك ، ورأيت بخطه رسالة له في "النفس"
.... وكان أمير المؤمنين أبو يعقوب شديد الشغف به ، والحب له ، يقيم
عنده ابن طفيل أياما ليلا ونهارا ، لا يظهر ، ومن هنا استطاع أن يهين
مستقبل ابن رشد عند الأمير ، لكونه أحد تلاميذه الناشئين ، وقد
اقترح عليه تلخيص " كتب أرسطو وتقريب عباراتها ... " فأتاح له
فرصة القيام بعمل عظيم في التاريخ الفكري والفلسفي .

ولابن طفيل رجز في الطب مخطوط في أكثر من سبعة آلاف وسبعمائه
بيت ورأيته بخزانة القرويين بفاس ، وله شعر جيد أورد المراكشي
وابن سعد نماذج منه ، وقد فاخر به الشقندي أهل
المشرق في رسالته التي وردت في نفخ الطيب بقوليه =

-
- = " وهل لكم فى الطب مثل ابن طفيل صاحب رسالة " حى بـسـنـن
يقظان " .
- هذا وقد توفى ابن طفيل بمراكش سنة ١١٨٥/٥٥٨١ م ومن شيع
جنارته السلطان أبو يعقوب بنفسه " " للتوسع فى ترجمته
ينظر ما يأتى :
- ١ - المعجب فى تلخيص أخبار المغرب - عبدالواحد المراكشى
ليدن ٨٨١ م ص ١٧٢، ١٧٣ .
 - ٢ - طبقات الاطباء - لابن أبى أصيعة ٧٨/٣ .
 - ٣ - المغرب فى حلى المغرب - لابن سعيد ٨٥/٢ ، ط دار المعارف
القاهرة .
 - ٤ - نفع الطيب ١٩٣/٣ ، ط دار صادر ، بيروت .
 - ٥ - المقتضب من تحفة القادم
 - ٦ - البدر السافر : الورقة ١٨ .
 - ٧ - تاريخ الفلسفة فى الاسلام تأليف ت . بي . ده . بور .
ترجمة محمد عبدالهادى أبو ريذة - القاهرة ١٣٥٧ هـ .
 - ٨ - دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ط دار الشعب
مادة ابن طفيل .
 - ٩ - تاريخ الفكر العربى - بيروت دار العلم للملايين ١٣٩٢ هـ
عمر فروخ .
 - ١٠ - ابن طفيل وقصته حى بن يقظان ، عمر فروخ - دار لبنان
بيروت ١٤٠٢ هـ .
 - ١١ - الميتافيزيقيا فى فلسفة ابن طفيل - محمد عاطف عراقى
دار المعارف ، ط ٢ . =

-
-
- ١٢ - حى بن يقظان - فاروق سعد - دار الافاق الجديدة
بيروت ط ٣ .
- ١٣ - حى بن يقظان ورينسون كروزو - حسن محمود عباس ، ط ١
المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- ١٤ - فلسفة ابن طفيل - عبدالحليم محمود، دار الكتاب
الليبانى ، بيروت ط ٣ .
- ١٥ - الادب المقارن - غنيمى هلال ، دار العودة ، بيروت ، ط ٥ .
- ١٦ - حى بن يقظان لابن سينا وابن طفيل ، والسهروردى ؛ احمد
أمين - دار المعارف .
- ١٧ - الادب الاندلسى موضوعاته وفنونه - مصطفى الشكعة
ص ٦٨٥ ، دار العلم للملايين ، ط ٤ .
- ١٨ - الادب فى موكب الحضارة الاسلامية - مصطفى الشكعة
ج ٢ دار الكتاب الليبانى ، ط ٢ ص ٦٦٤ .

تراثى قديم فيجعله موضوعا له يدير حوله ملحمة أو مسرحية ويستغله استغلالا فنيا خاصا به ،يبعده تماما عن الاصل المأخوذ عنه . قد فعل ذلك أدباء اللاتين مع الاغريق ... وفعل ذلك أدباء عصر النهضة مع تراث اللاتين والاعريق جميعا ... وما زال يفعلهم أدباء الغرب والعرب المحدثون مع تراث الاقدمين (٢) .

وهكذا عمد ابن طفيل الى تراث من سبقه فى الفكر العربى فاستعار منه موضوع " حى بن يقظان" فجعله عنوانا لقصته التى عالج من خلالها قضية " المعرفة" التى شغلت رجال الفكر قبله علاجا فنيا خالصا .

وقد صرح ابن طفيل أنه استقى موضوعه من ابن سينا (٣) واقتبس منه عنوان قصته التى تحمل نفس الاسم بيد أنه لم يأخذ منه بعد

(٢) من ذلك مسرحيات شوقى : عنتره، مجنون ليلى، كيلو باترا .

ومن ذلك أعمال توفيق الحكيم : أهل الكهف، شهر زاد، سليمان الحكيم .

ومن ذلك أعمال أحمد على باكثير : واسلاماه، مسمار جحا، اخناتون ومن ذلك مسرحيات عزيز أباظة : العباسة، قيس ولبنى، غروب الاندلس .

ومن ذلك مسرحيات صلاح عبدالصبور : ليلى والمجنون، الحلاج ...

(٣) ابن سينا : هو أبو على الحسين بن عبدالله بن سينا ، ولد فى صفر سنة ٣٧٠هـ فى أفسنة من قرى بخارى لقب بالشيخ الرئيس برع فى الطب، والفلسفة، والرياضيات، وغير ذلك وتوفى بهمذان سنة ٤٢٨هـ . أنظر ترجمته فى كتاب طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة المطبعة الوهيتيين ١٨٩٢م ، ج ٢ ، ص ٢ .

ذلك الأسماء مجردة عارية من الحياة ... فلما وظفها فنيا في نسق
أحداث قصته لم تليث أن جرت في شرايينها الدماء ...
ولعل قصة " حوين يقظان " لابن طفيل هي القصة الأولى ... بل
الوحيدة في الأدب العربي القديم التي عالجت قضية فكرية فلسفية
اسلوب فني ...

وتعرض أحداثها الغريبة في طورين :

الطور الأول : تمثل شخصية " حى بن يقظان " الدور الرئيسي
فيه ...

أما الطور الثانى : فيقوم بالدور المهم فيه شخصيتان
تراثيتان هما "سلامان" و "أبسال" . (٤)
والحقيقة أن قارئ هذه القصة يشعر من خلالها أن هناك
تأثيرات يونانية وان كانت غير مباشرة ... تدل على أن صاحب قصة
"حى بن يقظان" قد استوعب الكثير مما خلفه اليونان وأبدعه العرب
من بعدهم من تراث فكرى بالغ الثراء ... (٥)

(٤) وردت قصة "سلامان ، وأبسال" لدى ابن سينا، ولدى ابن طفيل
ووردت كقصة منفردة لدى السهروردي ، ولكن الأسماء من ألفاظ
الشيخ الرئيس ابن سينا كما قال ابن طفيل . ينظر في ذلك
ابن طفيل وقصته حى بن يقظان - عمر فروخ .
(٥) ينظر في ذلك " حى بن يقظان " ت : أحمد أمين ص ١٧ وما بعدها .
" حى بن يقظان " ت : عمر فروخ ص ٣٣ وما بعدها .

ولما كان ابن طفيل يتمتع بقدرة فنية وذهنية فائقة... استطاع أن يقف من هذه الآثار العقلية موقفا ابداعيا ظهرت فيه قدرته على الموازنة بين ماهو فكر وماهو فن ،ومن ثم جاءت قصته ذات طابع متميز أبعده تماما عن الطريق الوعر المتجهم الذى سبق أن سار فيه الشيخ الرئيس ابن سينا .

هذا وانه لتجدد الإشارة الى أن قصة " حى بن يقظان " لابن طفيل لها نظائر فى التراث العالمى لابد من التعرف لها حتى نحدد مكانها تماما من السياق الأدبى العام ...

ولاشك أن من أهم هذه النظائر قصة الشيخ الرئيس ابن سينا ... لأن ابن طفيل قد صرح بأنه قد تأثر بها ... حيث يقول فى بدايته :
قصته :

" فأنا واصف لك قصة " حى بن يقظان " و " أسال وسلامان " اللذين سماهما الشيخ أبو على ، فى قصصهم عبرة لاولى الالباب وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ... " (٦)
ومن أجل ذلك نقدم الكلام عنها أولا ... ثم نعرض بعد ذلك لبقية النظائر ...

وعند النظر فى قصة ابن سينا يظهر لنا أنها تتكون من رسالتين :

(٦) حى بن يقظان : أحمد أمين ص ٦٦ .

الرسالة الاولى هي : " حى بن يقظان " .

وقد استعار ابن طفيل هذا الاسم ، وجعله عنوانا لقصته ... ثم أدار حول شخصيته أحداث الجزء الاول منها بحيث أصبح البطول الرئيسى فى سائر القصة .

الرسالة الثانية هي : " أسبال وسلامان " ...

وقد استعارهما أيضا ابن طفيل ... ولكن لم يجعلهما عنوانا لقصة منفردة مستقلة كما فعل الشيخ أبو على ... بل أورد حـول شخصيتها أحداث الجزء الثانى من قصته الرئيسية .

والرسالة الاولى من رسالتى الشيخ الرئيس التى تحمل اسم " حى بن يقظان " تسرد رحلة الانسان الى المعارف الخالصة بصحبة حواسه وماله من الاهواء والغرائز والشهوات وسائر الملكيات والنوازع الانسانية ، ويتم اللقاء مع شيخ مهيب قد أكسبته السنون والرحلات تجارب عظيمة ، هذا الشيخ الوقور يدعى " حى بن يقظان " .

والرسالة الثانية التى تحمل اسم " سلامان وأسبال " تقص خبر شقيقين أكبرهما يسمى " سلامان " وأصغرهما يدعى " أسبال " .

وكان لسلامان زوجة شريرة غير حافظة للعرض مفرطة فى شرفها ... وقد هامت حبا بأخيه الأصغر " أسبال " وحاولت أن تغريه ولكنه استعصم بالشرف ولم يستجب لها ... فلجأت الى الحيلة حيث عرضت عليه الزواج من أختها وأقنعت بذلك ... حتى اذا حان وقت دخوله بأختها تسللت خفية الى فراشها بعسـد أن

أقنعتها بأن "أبسال" لن يحضر اليها فى الليلة الموعودة... وهكذا استطاعت خداع أختها... ودخلت مخدعها وحاولت خداع أبسال فاطفأت الانوار وأظلمت المكان .

فدخل "أبسال" وكاد يهجم بها، وإذا ببرق يلوح ويضئ الغرفة فيبصر زوجة أخيه مستلقية فى الفراش محل عروسه فانسحب فوراً من الغرفة . (٧)

وهناك كتاب يونانى يشبه قصة "حى بن يقظان" اسمه "أيمسـن ادريس" أى "حافظ الناس" منسوبٌ الى "هوملص" . وهو محاوراة امتزج فيها المذهب الافلاطونى بمذاهب قدماء المصريين (٨)

وهناك قصة نقلها حنين بن اسحاق من اليونانية تسمى "سلامان وأبسال" وهى تحكى خبر ملك حكيم اسمه هرمانوس بن هرقل... رغب فى أن يكون له ولد ولكنه كان يكره مباشرة النساء، فعرض عليه وزيره الحكيم أن يأخذ شيئاً من ماء حياته ثم يجعله فى اناء ويربيه فيخرج له ولد... ففعل... فلما رزق ولداً على هذا الشكل

(٧) ينظر : ١ - "حى بن يقظان" ت : فاروق سعد ص ٢١ وما بعدها .
٢ - تاريخ الفكر العربى الى أيام ابن خلدون : عمــــر فروخ ص ٦٢٦ .

(٨) انظر "حى بن يقظان أحمد أمين ص ١٧ . ويقول أحمد أمين
" وقد عرض هذا الكتاب وأشار اليه القفطى فى تاريخ الحكماء
ص ١٧ " دار المعارف . ط بدون .

سماه "سلامان" وطلب له مرضعة اسمها "أبسال" ... فلما كبر الولد
تعلق بأبسال واشتغل بها عن تدبير الملك وطلب الحكمة . (٩)
وهناك قصة الولد المسيب أو المتروك وحيدا في الطبيعة
معرضا للاخطار والمجهول أو المعروف الابوين ، نظير " حى بن يقظان"
يقظان" ... وهو من النماذج التي عرفتها الترهات القديمة فى
قالب اخبار أو قصائد أو ملاحم ... منها : ما يرويه " هوميروس"
عن "بان" الوليد الذى سيته أمه ومرضته خشية من والده "هرمس"
الذى التقط ابنه (بان) وغطاه بجلد أرنب وحمله الى قمة جبل
الأولمب . (١٠)

ويروى الدكتور "كارل غوستاف يونغ" ترهتين احدهما : تروى
خبر طفل يعيش وحيدا فى عزلة تامة بعد موت أبويه ... والاخرى
تروى قصة فتى عاش يتيما يتحدث مع ثعلب ، وهى مصوغة فى قالب
شعرى .

وهناك قصة اسطورية تسمى " الصنم والملك وابنته " ذكرها
"جارثيا جومث" ذاهبا الى أن قصة " حى بن يقظان" تعود فى بعض
أصولها الى هذه الاسطورة لانها اشتهرت فى اسبانيا قبل زمــــن

(٩) ينظر فى ذلك عمر فروخ فى كتابه "حى بن يقظان" ص ٣٦ . دار

لبنان للطباعة والنشر ، ط ١ .

(١٠) ينظر فى ذلك "حى بن يقظان" تحقيق فاروق سعد ص ١٤ .

ابن طفيل ... ويرى "سارطون" أن قصة "حى بن يقظان" تعود إلى قصة عربية مشهورة استعار منها أسماء شخصيات قصته . (١١)
هذا وهناك قصتان متأخرتان جاءتا بعد قصة ابن طفيل ... نذكرها لكونهما يحملان نفس الاسم ، وبعض الأسماء الموجودة لدى ابن طفيل لأكثر ولأقل .

فالأولى : هي قصة "حى بن يقظان" للسهروردي . وقد نشرها الاستاذ أحمد أمين مع قصتي ابن سينا وابن طفيل ... ومفهوم هذه القصة كما تحدث به السهروردي قائلا :

" لما رأيت قصة (حى بن يقظان) - يقصد قصة ابن طفيل - فصادفتها مع مافيها من عجائب الكلمات الروحانية ، والاشعار العميقة معترية من تلويحات تشير إلى الطور ... إلى أن قال :
" أردت أن أذكر طورا في قصة سميتها أنا قصة "الغريبة الغربية" ... إلى أن انتهى من سردها . (١٢)

والثانية : قصة "سلامان وأيسال لعبد الرحمن جامي . وهي قصة شعرية تنتهج نهج ابن سينا وابن طفيل من الناحية الرمزية وان كان موضوعها يشبه القصة التي ترجمها "حنين بن اسحاق" .

(١١) ينظر في ذلك "حى بن يقظان" تحقيق فاروق سعد ص ١٩، وأحمد أمين ص ٩ .

(١٢) انظر قصة حى بن يقظان . ت : أحمد أمين ص ٨ .
وانظر قصة حى بن يقظان . ت : فاروق سعد ص ٣٣ .
وانظر قصة حى بن يقظان ت : عمر فروخ ص ٣٦ .

وهناك العديد من الحوادث الواقعية التى حفل بها التاريخ تحكى اكتشاف أولاد ذكور واناث يعيشون فى الادغال والبرارى بحضانة حيوان فيذكر " لوسيان مالسون" فى كتابه " الاولاد المتوحشون" المادرة طبعته سنة ١٩٦٤ ثلاثة وخمسين ولدا متوحشا عشر عليهم يعيشون فى الغابات أو الصحارى أو السهوب، وذلك بين سنة ١٣٤٤ و ١٩٦١م . . . فكانت هذه الاكتشافات موضع الدراسة والابحــاس التى قام بها علماء الاجتماع .

وهناك قصة تعزى مصادرها الى شيشرون وآخرين حول ولادة "حى" من التراب - تزعم بأن وليدا اسمه "تاجس" خرج من التراب أمام أنظار فلاح كان يقوم بالحراثة . . .

وقد نشرت جريدة فى لبنان خلال شهر حزيران سنة ١٩٧٣م عن طفل عشر عليه فى أدغال جنوب جزيرة سيلان يعيش مع القردة وأطلق عليه اسم "تيسا" نسبة الى قرية "تيساماهاراما" التى تقيم فيها المرأة التى عثرت عليه . (١٣)

وأخيرا فان هناك قصة واقعية من نظائر " قصة حى بسن يقظان" نشرتها جريدة الاهرام هذا العام تقول فيها : " عشر على طفل ضئيل الحجم يأتى بتمرفات القردة فى غابة فى " منطقة مثلث لويرو" التى كانت مسرحا لمذابح وعمليات قتل أثناء الحروب

(١٣) انظر " حى بن يقظان" ت : فاروق سعد ص ١٤ وما بعدها .

الاهلية فى " أوغندا " .

وتصدر عن الطفل الذى لا يألف الآدميين حركات وأصوات مشـمـلـة
تلك التى تصدر عن القردة على الرغم من أن عمره يتراوح بين
خمسـة وسبعة أعوام ويبلغ وزنه عشرة كيلو جرامات .
عـثـرت قوات الحكومة الاوغندية على الطفل فى الشهر الماضى
وهو يعيش بين القردة، ويوجد الطفل حالياً فى دار لرعاية اليتامى
فى " كمبالا " حيث أطلقت عليه الممرضات اسم " روبرت " .
ويعتقد العاملون فى الدار أن " روبرت " فقد أبويه بعد ولادته
أثناء القتال الذى شهدته منطقة " لويرو " وقامت شامبانسى
أو غوريلا بتربيته . (١٤)

بعد استعراض هذه المرويات من نظائر قصة " حى بن يقظـان "
لابن طفيل نلاحظ أنها تنقسم الى ثلاث مجموعات :
مجموعة منها واقعية حدثت فى أزمان متأخرة عن تأليف قصة
ابن طفيل سجلتها كتب التاريخ أو حفظتها يوميات الصحف ... ولاوجه
بالطبع للقول بتأثر قصة ابن طفيل بها ... وانما ذكرناها هنا
لنقول ان الهوة بين الواقع والخيال ليست واسعة ... بل قد تضيق
الى درجة يلتقى فيها الواقع والخيال كما يتضح منها أن خيال
ابن طفيل من الاخيلة السوية التى لاتنفصل عن الواقع ، ولاتتوغل

فى الوهم والتخليط ... (١٥)

ومجموعة أخرى تحمل بعض الملامح من قصة ابن طفيل مثل قصة
السهروردى ومنظومة عبدالرحمن جامى ... ولكن هذه المجموعة
جاءت فى الزمن بعد قصة ابن طفيل ... واذن فليس هناك شبهة
فى تأثره بها ...

ومجموعة الثالثة سقت قصة ابن طفيل وتشترك جميعا فى ملامح
محددة واضحة القسمات مع قصة ابن طفيل تلك هى : العزلة، والضياع
بل ان بعضها يزيد على ذلك اشتراكه مع قصة ابن طفيل فى أسماء
الشخصيات مثل قصة "حسنين بن اسحق التى ترجمها عن اليونانية
ومثل قصة ابن سينا السالفة الذكر ..."

ولاوجه للقول بأن^{ابن} طفيل قد تأثر بالقصة اليونانية التى
ترجمها حسنين بن اسحق، فقد سبق أن أشرنا الى أنه قد صرح بتأثره
بابن سينا ... واذا فمن المحتمل أن يكون أبو على هو الذى
تأثر بهذه القصة ... ثم جاء ابن طفيل فتأثر بقصة ابن سينا ...
ولكن لنا أن نتساءل : ما مدى تأثر ابن طفيل بقصة الشيخ
الرئيس ...؟ وفى الاجابة عن ذلك نقول : ان تأثر ابن طفيل بهذه
القصة لا يعدو التلاقى فى الاسماء، وذلك لما تميزت به كل مسـ

(١٥) تأثير القصص العربى، د. عبدالحكيم حسان، محاضرات الموسم
الثقافى ص ١٠٣ مطبوعات كلية اللغة العربية - جامعة

أم القرى .

القصتين عن الاخرى ...

فرسالة ابن سينا تتسم بالجفاف، والايغال في الرمز، ولذا
تعتبر بمنأى عن الادب، لما لها من طابع فلسفي بحث ينحو منحى
الاشراق ... وقد جاءت سمجة الاسلوب عادية المعنى، ولا أدل على
ذلك من أنها اذا جردتها عن رمزياتها، أصبحت عادية يمكن لكل
شخص أن يكتبها ... (١٦)

اذا فابن طفيل قد استقى الاسماء فحسب من ابن سينا وهذا
أمر عادى بالنسبة لتاريخ الآداب قديما وحديثا، وقد سبقت الإشارة
الى ذلك أول هذا الفصل .

من هنا يتبين لنا أن قصة ابن طفيل ذات طابع خاص يميزها
عن كل نظائرها، وسنتعرف على ذلك من خلال دراستنا للجوانب الفنية
والفكرية لهذه القصة في الفصل الثالث الذى سنخصصه لهذا
الهدف ان شاء الله تعالى ...

(١٦) انظر " فلسفة ابن الطفيل" عبدالحليم محمود، دار الكتاب

الليمانى، بيروت، ط٣، ١٩٧٥م .

الفصل الثاني

رحلة «حيّ بن يقطان» في جزيرة المجهول

يتحدث ابن طفيل في "صنعة" حي بن يقظان " عن ثلاث جزر:
الجزيرة الاولى: تدعى جزيرة " واق الواق " من جزر الهند
تقع تحت خط الاستواء ، أعدل بقاع الارض موقعا ، وأطيبها هواً ، وأتمها
لشروق النور الاعلى عليها استعدادا . . . فهي متوازنة الحرارة ، متهيئة
لان يتخلق من طينتها المتخمرة طفل هو " حي بن يقظان " .

الجزيرة الثانية: نائية منعزلة بعيدة عن العمران ، وهي تلك
التي وصل اليها " حي " ونشأ نشأته الاولى فيها ، وشب وترعرع بيمن
جنباتها ، وواجه الكون والكائنات فيها وحيدا ، وكان عليه أن يعتمد
على خبراته الذاتية في كل ما يعادفه من كبيرة أو صغيرة فـ
أنحاشها .

الجزيرة الثالثة: تبدو الحياة مخالفة فيها للجزيرتين
السابقتين : فالحياة فيها مشرقة ، أهلة بالسكان ، حافلة بالعمران
معادلة في تكوينها للمجتمعات الانسانية المألوفة ، لها ديانتها
وأعرافها ومثلها الاجتماعية وأخلاقها المتوازنة . . . ولها نظام سياسي
يديره ملك يدعى " سلامان " وله أخ اسمه " أبسال " .

ووافق أن ابن طفيل قد اتخذ جزيرته الاولى " واق الواق " كتمهيـد
لقصة التي تدور أحداثها في الجزيرتين الأخرين اللتين تكونان وحدة
فنية لقصته .

وكان ابن طفيل يريد أن يقول ان الحياة اذا كان من الممكن
أن تتخلق من طين الجزيرة الاولى ، اذا فما يمنع أن ينشأ فى
أحضانها بشر سوى ... وأن يعيش وحيدا فريدا يواجه الكائنات
والكائنات وحده ...

وإذا " فحى بن يقظان" الذى سيقص أخباره ، ويصف أظوار
حياته فى تلك الجزيرة البعيدة المنعزلة عن البشر ، ليس أمره
عجيبا ولا غريبا ...

وهكذا بعد أن أدخل فى روع قارئه أن قصة حى بن يقظان
تدخل فى دائرة الاحتمال ولاتخرج عن حيز الامكان يستطرد فى سرد
الاحداث حول الظروف التى أحاطت بحى فيقول : " كان بازاء تلك
الجزيرة جزيرة أخرى عظيمة متسعة الاكفاف كثيرة الفوائد عامرة
بالناس يملكها رجل منهم شديد الانفة والغيرة ، كان له أخسنت
ذات جمال باهر فعزلها ومنعها من الزواج اذ لم يجد لها كفوًا
وكان له قريب يسمى يقظان فتزوجها سرا ، ثم أنجبت طفلا ... وعندها
خشيت أن يقتله الملك ويقتلها معه ... فأعدت له صندوقًا
وأرضعته ... ثم وضعت فى الصندوق ... وخرجت به فى الليل فى
جملة من خدمها ، وأسلمته الى البحر وقلبها يتقطع عليه ، ودعت
الله أن يحفظه .

ويمتد الموج بهذا الطفل حتى أدخله فى أجمة ملتفة الشجر
مستورة عن المياه والشمس ... مضت أيام على الطفل ... وتراكمت

الرمال على الاجمة بقدره الله عز وجل ... وترتب على ذلك عسدم
وصول الماء اليها ... وبمرور الايام ضعفت ألواح الصندوق وتفككت
مساميره ... وبما أن الطفل كان منقطع الغذاء في هذه الفترة
اشتد به الجوع فأخذ يبكي ويصرخ ... ولكن عناية الله ترعاه ...
فوقع صراخه في أذن ظبية تبحث عن طلاها ... وقدمت الى مكان
الصوت ظنا منها أنه ولدها ... فأخذت تتحسس راحة الطفل وهو يئن
من ألم الجوع ... فقدمت له ضرعها ليشرب منه لبنا سائغا . وظلت
تعاوده ، وترضعه بين الحين والآخر ، حتى كبر وشب وترعرع .

واستمرت هذه الظبية مع الطفل لاتغيب عنه الا للرى شمم
تعود اليه . فلما تم له حولان تدرج في المشى ... وظهرت أسنانه
فكان يتبع مرضعته الى حيث تجد له الغذاء ، فكانت تطعمه من
شمرات الاشجار ... وتساعده على كسر ماكان صلب القشرة بطواحنها
ثم تعاوده الرضاعة وتسقيه الماء ... وكلما لجت رغبته في شىء
بادرت بتلبيته ...

وتبدأ عملية النطق لدى " حى " بمحاكاة الظبية وترديده
أنغامها ... ومحاولة تقليد الطيور فى أصواتها ... ومتابعة
حركات سائر الحيوان ، حتى ألفها وألفته ... ثم أخذ " حى " يتأمل
هذه الكائنات ... فرأى أن الحيوانات مكتسية بالاشعار والابصار
والريش ولاحظ قدرتها على العدو السريع .. واستخدام قرونها
للدفاع عن أنفسها ، ونظر الى شخيه فوجد أنه مفترق الى مثل ذلك

فليس لديه مايستر جسمه ولاعورته ،ولامايذافع به عن نفسه شأن أترابه
من أولا الطباء التى نبتت لها قرون ،وهو لم ينبت له شيء ... لم
يجد "حى" لنفسه شيها بين هذه الكائنات ...

واستمر كذلك حتى بلغ السابعة من عمره ثم اهتدى الى
استخدام أوراق الاشجار لستر عورته ... حتى اذا تساقطت استبدلها
واستخدم عيدان الشجر للدفاع عن نفسه وصد عدوان الوحوش ... وعند
ذلك فطن الى أن يده هذه التى تمسك العصى وتحركها للذود عن نفسه
هى أفضل من قرون الحيوانات ... فعظمت نفسه فى نظره ...

ويبقى "حى" ملازما لامه الطيبة حتى أدركها الكبر، وضعفت
قواها ... وجاء دوره هذه المرة ليقوم بخدمتها ،وليسدى اليها
ماكانت تبذله له من عطف وحنان " وهل جزاء الاحسان الا الاحسان " .
فجعل يرتاد بها المراعى الخصبة ،ويجتنى لها الثمرات
ويطعمها ويسقيها كما كانت تفعل معه فى طفولته ... وكلما تقدمت
الظبية فى السن ازداد هرمها وسيطر الهزال على جسمها الى
أن غادرت الحياة ... فسكنت حركاتها ... وتآلم "حى" لذلك وجزع
جزعا شديدا ،فكان يناديها بالصوت الذى كانت تجيبه به عند سماعه
فلايرى لها حركة ولا تغييرا .

جلس "حى" يتأمل ويتساءل ما الذى أفقد الظبية حركتها
ولم يكن بها آفة ظاهرة ؟ وهل بالامكان أن ترد اليها حركتها ؟
ذلك محال !!؛ خطر له أن الآفة ربما تكون فى عضو غائب عن

العيان ... أى فى باطن الجسد ... وأنه لاينوب منابه شيء ،ولـه
تأثير على سائر جسم الظبية ...

مكت "حى" يفكر طويلا أين يوجد هذا العضو ؟ واستقر فـى
تفكيره أن العضو فى منطقة الصدر فعزم على شق صدرها وتفتيشه
فاتخذ له من قطع الاحجار الصلدة وشقوق القصب اليابسة أشباه
السكاكين ،فشق بها صدر الظبية بعد لآى لقوة أضلاعها،وبعد محاولات
عديدة وجد ضالته وهو القلب ،فألغاه مجلا بغشاء قوى موثـق
بمعاليق شديدة وعند ذلك قال فى نفسه : ان كان لهذا العضو من
الجهة الاخرى مثل ماله من هذه الجهة فهو فى حقيقة الوسط
ولامحالة أنه مطلوبى مع ماأرى له من حسن الوضع وجمال الشكل
وقلة التشتت وقوة اللحم وأنه محجوب بمثل هذا الحجاب الذى لم
أر مثله لشيء من سائر الاعضاء .

ثم فتش الجانب الآخر من الصدر فوجد فيه الحجاب المستبطـن
للأضلاع ووجد الرثة على ماوجده من هذه الجهة ... ثم حكم بـأن
ذلك العضو هو مايبحث عنه ،ثم شقه وجرده فرآه مصمتا من كل جهة
فتظر هل يرى فيه آفة ظاهرة فلم ير شيئا،ولكنه لاحظ تجويفا
فقال : ولعل مطلوبى الاقصى انما هو فى داخل هذا العضو ،وأنا
حتى الآن لم أصل اليه ... حاول مرة ،وثانية حتى وجد فيـه
تجويفين : أحدهما : من الجهة اليمنى مملوء بعلق ودم . والثانى
من الجهة اليسرى لاشء فيه ..ونظرا لأنه قدجرحتـه الوحوش وعرف الدم

فقد اعتبر ذلك شيئا طبيعيا ... ولعل بغيته فى التجويف الايسر الذى يخلو من أى شىء ... فتفكر فى هذا التجويف لابد أن به ساكنا ارتحل عنه تبقئ خاليا، وتعطل بسببه الجسد، وشلت حركته ... وعندها عرف أن أمه الطيبة لم تكن شيئا بدون ذلك الشىء ، وأنه كـان سببا لحركتها ... وفى أثناء هذه المدة تغيرت رائحة جسد الطيبة مما جعل "حيا" ينفر منه لشدة ننته ... ففكر ماذا يعمل ؟ فـإذا غرابان يقتتلان أمامه حتى قتل أحدهما الآخر ... ثم وراه فى التراب ... فتعجب "حى" قائلا : " ما أحسن ما صنع هذا الغراب فى مواراة جيفة صاحبه، وان كان قد أساء فى قتله اياه، وأنا كنت أحق بالاهتداء لهذا الفعل بأى ، ثم فعل ذلك .

وبقى "حى" حبيس تأملاته للطباء يرمق حركاتها ... وألفهـا وتـقرب اليها لكونها على شكل أمه التى فقدت حركتها ... مكث "حى" مع هذه الحيوانات فلم يبر منها شيئا يلائم شكله ! ... وكان يعتقد أن العالم هو هذه الجزيرة وهذه الحيوانات فقط ... وفى ذات ليلة آنس "حى" نارا قد انقذحت ولم يكن يعرف هذا المنظر من قبل فسارع اليها ودنا منها ومد يده اليها فأحرقتها ... ثم أخذ عودا منها لم تأكله النار بكامله وذهب به الى حيث يأوى وظل يمد هذه النار بالحطب والحشيش ليل نهار، وكم آنست هذه النار وحشته ونورت ظلمة ليله ... فأعجب بها وظن أنها أفضل شىء

رآه ... وانها من ضمن الجواهر السماوية ، لأن لها شررا يتطاير
الى أعلى .

استمرت تجارب "حى" مع النار، ووضع بها بعض حيوان البحر
فأنضجته النار وفاحت رائحة الشواء الذى حرك لديه شهوة الطعام
فأكل منه فاذا هو لذيق الطعم ... واتجه الى صيد حيوان البحر
والبحر ... ليلقى به فى هذه النار ويسد به رمقه ... ويقوده
ذكاؤه الى الربط بين حرارة النار وحرارة الحيوان وهو حى
وبرودته بعد موته ... فدعاه ذلك الى شق حيوان حى ، ليفتح قلبه
... ففعل ورأى هواء بخاريا يخرج من القلب ... فلمسه بيده
فاذا هو شديد الحرارة ... ومات الحيوان فوراً ... عند ذلك أيقن
أن هذا البخار الحار هو مصدر حركة الحيوان ... وهو لدى كل
حيوان ومتى ذهب عنه مات .

ويستمر "حى" يشرح الحيوانات ليتعرف على سائر أعضائها
وصلتها بهذا الهواء .

فتوصل الى أن كل حيوان مهما كثرت أعضاؤه واحد باعتباره
ذلك الروح الذى قراره واحد يوزعه على سائر الاعضاء التى تخدمه .
بلغ "حى" عامه الواحد والعشرين وهو يتأمل هذا الوجود ...
فتوصل الى أن كل حيوان ينطلق بهذه الروح ، ويتعطل بفقدانها ...
ويستمر فى استكشاف الحيوانات المتوحشة ليستعين بها فى
الصيد .

ويعاوده التفكير فى ماهية الروح ... وكأنها بمثابة الشيء
الواحد بالنسبة لسائر هذه الحيوانات، وأنها لو جمعت فى اناء
واحد لكونت شيئا واحدا يوزع على أوان كثيرة ... وكان "حى"
يتصور سائر الحيوانات فى نفسه فيراها متفقة فى الاحساس والغذاء
والحركة بإرادتها ... فظهر له أن الروح لدى هذه الحيوانات
واحد، وان وجد اختلاف فهو يسير يختص به نوع دون آخر، مثل
الماء اذا وزع فى أوان كثيرة بعضه حار وبعضه بارد ولكن أصله
واحد ... فترتب فى ذهنه أن جنس الحيوان كله واحد باعتبار
الروح .

ثم نظر الى النبات على اختلاف أنواعه وتشابه أشكاله وحركاته
بالنسبة للشمس، ولكنه يشترك فى شيء واحد هو بمثابة الروح
للحيوان فيجعله شيئا واحدا، وأنه يجتمع مع الحيوان فى الغذاء
والنمو ... ويختلف عنه فى الحركات والاحساس، والادراك لدى
الحيوان .

ويصل "حى" من جراء تأمله وتفكيره فيما حوله الى أن هناك
صفتين لا يخلو شيء مما رآه منهما : احدهما : الحركة الى العلو
مثل الدخان والهواء واللهب ...

والثانية : الحركة الى السفلى كحركة الماء وأجزاء
الارض والنبات، وأجزاء الحيوان وهذه الحركة تستمر ما لم يكن ثمة
عائق يعوق الجسم عن الاتجاه اليها كالحجر عندما يصادف الارض صلبة

فلا يخرقها .

ثم لاحظ صفة الجسمية بخفها وثقلها موجودة في سائر الاجسام فالجسم : اما خفيف ، واما ثقيل ... وهناك شيء زائد على الجسمية لا يدرك بالحس ... وانما يدرك بالنظر العقلي وهذا أول شيء لاح له من العالم الروحاني كما يقول ابن طفيل . ثم أخذ يهتم بالجسم الموجودة في المخلوق ، وجعل طريقه لذلك هو : تصفح الاجسام الموجودة كلها من جهة كونها ذوات صور تلزم عنها خواص ينفصل بعضها عن بعض .

وتقود "حيا" تأملاته الى أن كل حادث لابد له من محدث في هذا الوجود ... وهنا يدخل عامه الثامن والعشرين ... ويصل فيه الى أن السماء وما فيها من الكواكب اجسام لأنها ممتدة في أقطار ثلاثة هي : الطول ، والعرض ، والعمق ... فاذا ما وصل الى الخامسة والثلاثين انتهت به المعرفة الى العلم بالوجود الحق الرفيع الثابت الذي لا سبب لوجوده ، وهو سبب لوجود جميع الاشياء ثم أخذ يتأمل في حواسه الخمس ورأى أن ادراكها قاصر على ما كان جسما أو ما هو في جسم ... ثم تبين له أن هذا : الموجود الواجب الوجود متصفا بأوصاف الكمال كلها ، ومنزه عن صفات النقص .

وبقى "حى" يتأمل ويتفكر على هذا الحال الى أن دخل عامه الخمسين ، وفيها التقى برجل يسمى "أبسال" ولأبسال هذا رحلة طريفة نقصها الآن :

ملخص هذه القصة : أن أبسال وسلامان أخوان شقيقان يقطنان جزيرة قرب جزيرة "حى" وكانت قد انتقلت اليها ملة من المــــلال الصحيحة المأخوذة عن بعض الانبياء المتقدمين صلوات الله عليهم وقد تبنى نشر هذه الملة ملك الجزيرة وحمل الناس على التمسك بها ٠٠٠ وممن تلقى هذه الملة هذان الاخوان وتمسكا بها وعمــــلا بجميع شرائعها، واصطحبا على ذلك، فكانا يجلسان للتفقه فيهما وفهم ألفاظها، ومعرفة صفات الله عز وجل وملائكته والشــــواب والعقاب ٠٠٠

وكان أبسال يطمح دائما للغوص فى الباطن لأنه أكثر عشورا على المعانى الروحانية ويحنج دائما للتأويل ٠٠٠ وأما سلامان فكان متمسكا بالظاهر وليس له ميل الى التأويل ٠٠٠ الأتھمــــا يلتقيان فى الاعمال الظاهرة ومحاسبة النفس ومجاهدة الهــــوى وكان فى تلك الشريعة تعاليم تدفع الى العزلة، وأخرى تحث على ملازمة الجماعة مما جعل أبسال يطلب العزلة، وسلامان يلزم الجماعة ٠٠٠ فكان ذلك سبب تفرقهما .

وبعد ذلك انطلق أبسال الى الجزيرة التى نشأ بها "حى" قاصدا العزلة ٠٠٠ فلما أبحر اليها ونزل بساحها ظل يتعبد الله ويتفكر فى أسمائه الحسنى، وصفاته الكاملة دونما انقطاع أو ملل الا اذا احتاج للغذاء فيأخذ منه مايسد رمقه ثم يعود لتبتله ٠٠٠بقى على هذه الحال حتى شاء الله غير مايريد هو ٠٠٠ فهو يظــــن

أن الجزيرة خلو من أى شخص ... ففى ذات ليلة خرج يتنزّه فــــى
الجزيرة فوافق خروجه خروج "حى بن يقظان" وهو يلتمس غذاة ...
فوقع بصر كل منهما على الآخر ،فماذا كان تفسير كل منهما لصاحبه
ياترى ؟

أما أبسال : فظن أنه عابد خرج للعبادة كما هو الشــــأن
بالنسبة له ...

وأما "حى " فكان موقفه التّعجب ،موقف من يرى شيئا جديدا
لم يألفه ... ويستمر فى تعجبه لأبسال ولما يلبسه على جسده الــــى
أن دفع به حب الاستطلاع الى القرب منه ... ففر أبسال هاربا مخافة
أن يشغله عن العبادة ... فاشتد "حى" فى أثره فلم يدركه ...
فاختفى ايها ما له أنه تراجع عنه حتى اطمأن أبسال ... وشرع فى
صلاته ... فكان يقرأ ويدعو ويتضرع الى الله فى خشية وبكاء شديد
حتى أنه لا يكاد يشعر بمن حوله ... وكان "حى" يقترب منه شيئا
فشيئا ويستمتع لقراءته ودعواته ... فارتاحت نفسه لذلك الصوت
الحسن ... وهذه الكلمات الرقيقة التى لم يعهدها من قبل مــــن
أقرانه الأطباء ولامن سائر الحيوان ... ثم جلس يتفرس شكل أبسال
فرأى أنه على صورته ... وأن لباسه ليس جلدا طبيعيا ... ثم عاد
بفكره الى استماع القراءة والدعاء ،فقال فى نفسه : ان هذا مــــن
الذوات العارفة بالحق ... فزاده ذلك شوقا اليه ليعرف حقيقته
ويتعلم مما عنده ... فلما دنا منه فر هاربا ... وانطلق
"حى" خلفه حتى قبض عليه لما وهبه الله من قدرة وقوة بدنية

لنشأته بين الحيوانات السريعة العدو . وينعكس المشهد ... حيث
اصبح أبسال هو الذى يتأمل "حيا" وهو مكتسب بجلود الحيوانات
وتعجب من شعره الذى كسا كثيرا من جسمه ... ولكنه شعر بالخوف
لقوة "حى" وشدة بطشه عندما اشتد فى اثره ... فحاول التخلص منه
بكلمات لايفهمها "حى" ولكنه عرف أنه خائف ... فأخذ يشعـره
بالانس والطمأنينة، ويمسح بيده على رأسه حتى هدأت نفسه وعرف أنه
لايريد به سوءا ... عند ذلك أخذ أبسال يحدث "حيا" بلهجات شتى
لانه قدتعلم اكثر الالسن ، الا أن "حيا" لايفهم مايقول ... ثم يقوم
أبسال ليقدّم "لحى" بعض طعامه ... فتردد "حى" فى أكله خشية
أن يكون هذا الطعام مضرًا به لانه لايعرف حقيقته !... ومازال أبسسال
يحاول اقناعه ليأكل منه وهو متردد ولكنه خشى أن تردده هذا
قد يؤدي الى نفور أبسال منه مرة أخرى ... فاضطر الى الاكـل
معه ... فلما ذاقه أعجبه ... الا أنه أحس بأنه أخل ببعض عهدود
أخذها على نفسه ... ففكر فى الانفصال عن أبسال ... لكنه ؛لسم
يحقق شيئا بعد وهو يريد التعرف على ما عنده من عالم الحس ، لأن
فارق اللغة قد حال بينهما ... فاضطر "أبسال" الى تعليمه اللغة
والدين محتسبا ذلك عند الله ... وكانت وسيلته لذلك هى النطق
مقرونا بالاشارة الى مسميات الاشياء الموجودة ، حتى من الله عليه
بالنطق والقدرة على المحادثة ... وبعد ذلك أخذ يوجه اليه
تساؤلات كيف وجد فى هذه الجزيرة ؟ وكيف وكيف ؟ ولكن "حيا"

لم يزد على أن قال له أنه لا يعرف كيف وجد، ولا يعرف سوى الظبيسة
التي قامت برعايته .

وانما شرح له بداية تعلمه الذاتى من جراح موت الظبيسة
وتشريحها وتشريح بعض الحيوانات ... وتفكره فيما حوله حتى وصل
الى ما وصل اليه ... فجعل أبسال يقارن بين ما عرفه من الشرع
وما ذكره "حى" فوجد فى نفسه تعظيما له ... ثم حدثه عن جزيرته
التي خرج منها ووصف له حال أهلها قبل وصول الملة اليه
وبعدها ... فأمن "حى" بما ذكر وشهد برسالة صاحب هذا الشرع ...
فعلمه أمور الدين من صلاة وزكاة وسائر العبادات ... لكن "حيا"
لا يفتأ يسأل ويتعجب !! .

فمن بين تساؤلاته : لماذا ضرب هذا الرسول الامثال للناس؟؟
ولم أباح لهم اقتناء الاموال، ونحو ذلك ... وهو يعتقد أن كل
الناس ذوى فطر فائقة كما يقول، ولكن للأسف، وجدهم على شيء من
البلادة والنقص، وأنهم كالانعام بل هم أضل سبيلا ... واتفـق
العابدان على الذهاب الى هؤلاء الناس لهدايتهم وتنوير الطريق
لهم ... فركبوا سفينة كانت قد ضلت طريقها وهياً الله لهم
رياحا دفعتها الى جزيرة أبسال، فلما وصلوا ... اجتمع الناس من
أصحاب أبسال لدى "حى" بنصيحة من أبسال لانه عظم "حيا" عندهم
وحثهم على اتباعه ... فالتفوا حوله وشرع "حى" فى بث أسرار
الحكمة اليهم ... فظهرت لهم منه معارف تخالف شرعهم فنفروا منه

ولم يبتعدوا عنه مجاملة لصاحبهم "أبسال" ... فما زال "حسى" يحدثهم ليقنعهم فلم يستطع ... فخرج يائسا ورأى أن هـذا المجتمع سادر فى أشياء تخالف ما يريد؛ الله منهم ... وأخـذ يتصفح طبقات المجتمع فوجدهم يلهثون وراء شهواتهم وتهالكهم فى جمع حطام الدنيا حتى يأتىهم الموت . وعندئذ أيقن أنه لا تجدى معهم موعظة لكثرة جدلهم ... ولا يمكن أن يتعلموا الحكمة لتفشى الجهل فيهم، وأنهم ممن " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ... " ومع ذلك أوصاهم بملازمة شرعهم والابتعاد عن الخوض فيما لا يعنيههم ... وعليهم التأسى بسلفهم الصالح ... وحذرهم من الدنيا والتوغل فيها ... ثم كر راجعا هو وصاحبه أبسال الى جزيرة واق الواق ليعبدوا ربهما حتى يأتيهما اليقين . اهـ (١)

(١) هذا تلخيص لنص الرسالة الاصلى . انظر :

- ١ - نص الرسالة لدى أحمد أمين .
- ٢ - نص الرسالة لدى فاروق سعد .
- ٣ - نص الرسالة لدى عبدالحليم محمود .
- ٤ - نص الرسالة لدى الدكتور محمد عزت نصر الله .

وكل هؤلاء قاموا بتحقيقها ، ودراستها ، ونشرها ، وقد نشرها من قبل ذلك الدكتوران ، جميل صليبا ، وكامل عياد ، طبسج جامعة دمشق ، ١٩٦٢م .

الفصل الثالث

قصته «حي بن يقظان» بين الفن والفكر

لابن طفيل مذهب فكري متميز استطاع أن يبرزه من خلال قصته هذه في أسلوب أدبي أخاذ يفيض حيوية . حيث عرض لنا مذهبه الفكري هذا عرضاً تجلت فيه البراعة في الاستدلال والتفرد والابتكار في البناء الفني، والمهارة في المعالجة، والفعالية في الإيحاء استطاع أن يعالج قضية شغلت بال المفكرين المسلمين قبله بقرون عدة تلك هي قضية " المعرفة " ونظر لدقة هذا الموضوع وعلوه على أفهام الكثيرين أثر في طريقة تناوله أن يعرفه على القارئ في هذا الأسلوب القصصي الممتع ... ولعل هذا ما جعلها تنتمي إلى الأدب من جانب ، وإلى الفكر من جانب آخر ، فهي أدب من حيث الشكل فكر من حيث المضمون ... ولقد وضع أمام قارئة انساناً نشأ وحده في جزيرة ليس فيها إلا نبات وحيوان ، وكائنات مادية كالارض والماء والشمس ، فلما نما جسمها ونفخ عقلا استطاع من تأمل المخلوقات التي حوله أن يستدل بعقلية المحض على وجود الله وطبائع الأشياء ... لذلك فإنه قد أحسن اختيار عنوان قصته لأنه إذا كان الانسان المعزول وحده في جزيرة منذ ولد قد استطاع بعقله يقرأ الكائنات من حوله قراءة جعلته يعمل إلى معرفة الحق سبحانه وإلى معرفة حقائق الأشياء وطبائعها فذلك لأنه لم يكن غافلاً ولا لاهياً بما يسمع ويرى ... أعنى لم يكن غافلاً ولا لاهياً عندما قرأ الذي قرأه فيما حوله ... فذلك لأنه حي بكل معننى الحياة ، ولأنه يقطن بكل وعيه وإدراكه ... فهذا هو الذي صنعته

المفكرون المسلمون الاولون حينما حاولوا التوفيق بين النقل الذى نزل به الوحي وما يدركه العقل باستدلالاته وبراهينه وتفكره فى خلق السموات والارض "ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنى عذاب النار" وهذا هو التفكير الباحث المتأمل المتعبد لله سبحانه (١) ومن هنا جاءت هذه القصة منفردة ممتعة ، فيها المقاصد العليا ، والخيالات القصصية اللطيفة وقد صاغ ذلك كله فى عبارة أدبية جزلة ٠٠٠ لذلك جاء العنصر القصصى فيها متناسقا متعادلا فى أجزاء القصة كلها بالعنصر الفكرى من غير أن يطفئ عنصر على عنصر ٠٠٠ وقد عرف ابن طفيل كيف يستبقى من الاسطورة ما يملح وما يسوغ وطرح منها ما لا ينفع ولا يجدى وادخل هنا وهناك من التعديلات ما أضفى على القصة روحا جديدة استطاعت أن توصل الى القارئ ذلك الحشد العظيم من الآراء والافكار (٢) من غير عنق ولا تكلف ولا شعور بالاملال والاثقال ٠٠٠ ومن المسلم به أن انطلاق الفنان من حادثة واقعية لتكوين موضوع عمل فنى هو من أرق مناهج العمل الفنى وأبين سبله ، وأصدق معطياته ، وأقدر تعبيراته على الايحاء وأكثر أحداثه ارتباطا بالحياة ٠٠٠ وبهذا يكون

(١) انظر جريدة الاهرام العدد ٣٦٠٩٨ عدد الثلاثاء ١٤٠٦ هـ

من مقال نشر للدكتور زكى نجيب محمود .

(٢) انظر "حى بن يقظان" ت فاروق سعد ص ٢٠ .

ابن طفيل سلك أرقى مناهج العمل الفني فيما لو ثبت انطلاقه منحادثة واقعية ، وقعت وعرفت في زمنه أو في عصر سابق له عــــن العثور على ولد مسيب أو متروك يعيش مع الحيوان في إحدى الغابات أو البراري (٣) وإذا ماعدنا نتصفح ونستقريء هذه القصة عرفنا أن القيمة الحقيقية لها تعود الى ما يميز به بناؤها من ابتكار وماتسم به معالجتها من براعة بحيث يمكن اعتبار قصة حى بن يقظان قصة نافجة نضجا فنيا تاما ، وعلى مستوى أدبي رفيع ، ليس بالنسبة لعصرها فحسب ، بل لكل زمان ومكان وعلى أساس تقييــــــــــــــــم يعتمد أحدث مقاييس النقد الادبي والادب المقارن . (٤)

وفى دراسة شاملة لهذه القصة قام بها المستشرق الاسبانى "جارشيا قومث" ذهب فيها الى أن الهيكل العام للقصة مأخوذ من قصة " الصنم والملك وابنته " وهى إحدى الاساطير التى نسجت حول شخصية الاسكندر الاكبر ، ولابد أنها كانت معروفة عند أهل الاندلس فتناولها صاحب قصة حى بن يقظان فى قالب رمزى ٠٠٠ وقد وجد ابن طفيل فى هذه الفكرة الادبية ذات الحيوية المتصلة التى تبدو حقيقة وان كانت من نسج الخيال السبيل الى عرض نظرية " المفكر المتوحد " فى كتابات ابن سينا ، وابن باجه ، وقد وجد ابن طفيل

(٣) انظر "حى بن يقظان" ت فاروق سعد ص ١٨ .

(٤) انظر "حى بن يقظان" ت فاروق سعد ص ٢٨ .

فيها كذلك وسيلة تتفق مع تفكيره اتفاقا بديعا، بل ضمت هـ هذه الحكاية نقطة ظاهرة استطاع ابن طفيل أن يفرغ فيها أفكاره ومن هنا نتج هذا التأليف الجميل بين قصة شائعة وبين الافكار العميقة ، واستطاع ابن طفيل بأسلوبه العذب الذى يفيض ابتكارا وقوة شاعرية ينتج منها أشرا من أعظم ما أطلعته العصور الوسطى . (٥)

وقد ناقش رأى "جارشيا جومث" هذا "ليون جوتيه" عندما ترجم رسالة حى بن يقطان ذاكرة ما أخذه المستشرق "بتروف" على "جارشيا جومث" وهو أنه " استبعد من بحثه كل ما يتصل بالتحقيق الفكرى ، وأنه اقتصر على دراسة أصل القالب القصصى لان تلك الطريقة قد أدت به الى التقليل من قيمة العنصر المبتكر فى رسالة حى بن يقطان بل بالأحرى به فى بعض الاحيان اذ أن العنصر الاول من عبقرية ابن طفيل فى قصته ليس القالب القصصى ، وانما مذهب الفكرى وان لم تكن الافكار التى ساقها مبتكرة ، ولقد استطاع ابن طفيل أن يستعمل أسطورة خرافية عجيبه لعرض كل ما عرفه أهل زمانه من الآراء فى العلم وماوراء الطبيعة والتصوف والتفسير ويعلق جوتيه قائلا : ان فضل ابن طفيل فى هذه الناحية خفى على "جارشيا جومث" اذ انصرف همه الى بيان المشابهة وتجليه ما أخذه

ابن طفيل من اسطورة الصنم جملة وتفصيلا ، فلم يفتن الى التحويلات
 البديعة التي أدخلها ابن طفيل على هيكل القصة ثم أخذ عليه
 قوله : ان الخيط الذى ينتظم حلقات القصة يبدو واضحا غليظا فى
 أولها وفى آخرها ويدق فى الوسط حتى يكاد يخفى ، وان بدايعة
 القصة ونهايتها أشبه بقوسين ضخمين يضمن بينهما حشدا رائعاً
 من الآراء والافكار ، لان ذلك يوحى الى القارئ فكرة ضعف رسالة
 "حى بن يقظان" من الناحية القصصية ، بينما هذا العنصر فى
 الواقع متناسق متعادل فى أجزاء القصة كلها ، وهو يختلط بالعنصر
 الذهنى من أول الكتاب الى آخره . . . (٦) هذا الى جانب التأنق
 فى الاسلوب ، والبراعة فى التعبير ، والسلاسة فى التركيبات ، ولقد
 طوع اللغة لافكاره ، فأدى المعنى فى دقة تامة باسلوب بارع (٧) .
 لذلك لا يمكن القول بأن ابن طفيل مقلد متبع ، بل هو مجسّد
 مبتدع ، ذلك أن قصة حى بن يقظان تمجد العقل وتمنحه الامتياز
 الاول ، فحى رمز للعقل . . . (٨) وقالوا : اليقظان هو الله . . .
 ولكن نرد عليهم بأن المقصود به لا يمكن تفسيره كذلك تنزيها لله

(٦) المصدر السابق ص ١٢، ١٣ .

(٧) انظر تحقيق عبدالحليم محمود ص ١٢ .

(٨) انظر "حى بن يقظان وروبنسون كروزو" دراسة مقارنة ، حسن محمود

عباس ط ١ ، ١٩٨٣م المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص ٣٣ .

سبحانه عن الولد كما قال سبحانه فى سورة الاخلاص " لم يلد ولم يولد " بل نقول : ان هذا الرمز يوحي بالمفكر النشط والمتأمل الدؤوب لما حوله ... واذا فمعنى " حى بن يقظان " العقل المفكر المتأمل .

ونحن اذ نتحدث عن مكانة هذه القصة الفنية نجد من يتـردد فى انتمائها الى القصص الفنى ، وأن هذا الانتماء لم يستقر بعسـد فهناك من يضعها فى صف الرسائل الفلسفية البحتة ، وهناك من يعدها قصة ، ولاشك أن الحق مع صاحب الرأى الاخير ، لأن ملامح القصة الفنية من أحداث وشخصيات وسرد قد تحقق فيها ... ثم أن ابـن طفيل نفسه سماها قصة فهو يقول : " فأنا واصف لك قصة حى بن يقظان وأبسال وسلامان ، اللذين سماهما الشيخ أبو على فى قصصهم عبـرة لاولى الالباب ... " (٩)

أما المستشرق "ليون جوتيه" فيعدها قصة فكرية ميتافيزيقية رومانسية وهذه القضية مأخوذة من العنوان الذى وضعه لها عندمـا ترجمها الى اللغة الفرنسية هذا فضلا عن قوله : " ان هذه القصة العلمية الميتافيزيقية يقطع بأهميتها لطف التصوير وفـن التأليف وتركيب الاجزاء والاسلوب ، وكل هذا الادب الذهنى الذى يكون جدليا حينا ورمزيا حينا آخر ...

وممن أطلق عليها تسمية قصة المستشرق الاسباني " جارثييه جومث" الذي خصها بمقال مطول قصره على الحديث عن القالب القصصى وعن الملة المشتركة بينها وبين كتاب الناقد، للكاتب الاسباني " بلتازار جراسيان" وكذلك هي فى نظر انطونيو باستور فقد قرر أنها قصة رومانسية، ودرسها على هذا الاساس . (١٠)

هذا الى جانب بعض الباحثين العرب منهم من سماها رسالة ومنهم من سماها قصة، ومنهم من يرى أنها أكثر من قصة، وكأن اطلاقه لكلمة قصة يقيدتها من آراء كثيرة ومن هؤلاء الدكتور " سامى حاوى" حيث يرى أنها رسالة فكرية ميتافيزيقية، وليست قصة رمزية رومانسية ولقد وقف أمام تساؤلات عدة حول انتمائها لفن القص أو لاسلوب الرسائل وأجاب بأنها لو كانت " حى بسن يقظان" قصة رمزية رومانسية لما كانت رسالة، ذلك أن أسلوب الرسائل يختلف عن أسلوب القصص .

ففى الرسالة تتكشف مقاصد الكاتب، وتتضح موضوعاته الأساسية وتتطور فى سلسلة مستمرة من الجدل والمناظرات، والتحليلات والتعليقات بحيث تظهر ملامح الحقيقة التى يهدف اليها الكاتب من خلال العرض وبتعبير آخر ان الرسالة ذات منهج محدد تسيير عليه فهى تحفل بالعرض وبالبسط والمناقشات بحيث تفضى

(١٠) أنظر : "حي بن يقظان ورونبسون كروزو" حسن محمود عباس، ص ٦٨ .

المقدمات الى النتائج .

أما القصة فهي تسير فى طرائق فنية تختلف كثيرا عن
الرسالة ... فالمجادلات والشرح والعرض تؤثر تأثيرا بالغا على
فنية القصة . (١١)

والواقع أن الدكتور "حاوى" بجانبه التوفيق فى هذه
المناقشات، ذلك أنه لم يضع فى اعتباره الفرق بين القصة الفنية
الخالصة والقصة الفكرية أو الذهنية ... هذا الى أنه يبدو أنه
يحاسب قصة "حى بن يقظان" التى كتبت فى القرن السادس بالمقاييس
الجديدة التى يقوم فيها فن القصة فى القرن العشرين، ولم يجعل
لفارق الزمن حسابا ...

والحق أن الدكتور "حاوى" قد شعر أخيرا أن مناقشاته حول
هذا الموضوع لاتخلو من مبالغة ... ولذلك اضطر أن يقول:

" إذا كانت شخصيات ابن طفيل قصصية، فان موضوعاته ليست كذلك

بالتأكيد " . (١٢) ونحن نقول له : ومن ادعى ذلك يادكتور "حاوى"؟

إذا هى قصة لأنها مكرسة لاداء جيد لافكار عميقة ومقصودة

أداء روائيا .

ومن البحاثه العرب أيضا الاستاذ أحمد أمين الذى يرى أنها

(١١) المصدر السابق ص ٦٨ .

(١٢) المصدر السابق ص ٦٨ .

قصة ذات جانب فكري لانها سارت كما يقول على منهج رجال الفكر —
المسلمين الذين يتميز موقفهم بمحاولة التوفيق بين العقل والنقل
أو بين الوحي الالهى ومعطيات الفكر البشرى ...

ونعود بعد هذا التفصيل حول تسميتها قصة الى ذكر الجوانب

الفنية فيها :

فمن تلك الجوانب : الحدث فى القصة حيث نراه يتتابع وفق
نظام دقيق ، أى أنه يتوخى الحصول على النتائج من أسبابها ...
ولذلك جاءت الحكمة فيها ليست معقدة لانها لاتحفل بالاحداث كثيرا
وشخصية "حى" هادئة برغم سعيها الدائب الى معرفة حقيقة الوجود
انه سعى العقل المنطلق الذى يتعامل مع الافكار ، لاسعى الشخصية
التي تتورط فى قضايا يومية على نحو ما نرى فى الحياة الاجتماعية
وشخصية "حى" ليست جزءا من الحكمة ، لان الحكمة غير معقدة ، بل
متراخية كما أن الاحداث فيها تلقائية برغم خضوعها لمبدأ السببية
وهى متعلقة بشخص البطل نفسه ، فهى لاتقوده ، بل تسير معه جنباً
الى جنب ... (١٣)

وأفكار القصة جاءت مرتبة ترتيباً منطقياً بحيث لاتأتى
الفكرة الا من فكرة سابقة عليها ... أى أن تعاقب الافكار وسيادة
الجو العام هى المظهران البارزان اللذان يطغيان على ماعداهما

وإذا كان العنصر السائد فى القصة يحدد نوعها، فان قصة " حى بن يقظان" من نوع : القصص الفكرى ٠٠٠ (١٤)

بل هى أول قصة فكرية فى أدبنا العربى ٠٠٠

لقد دأب ابن طفيل لتحقيق هدفه الى اسلوب خاص حتى يعنى مخاطبة هذا الهدف فابن طفيل وضع أمام قارئه اعتبارين أساسيين فى القصة هما البعدان اللذان ارتكزت عليهما : فهناك بعد فنى وبعد فكرى جدلى اذ يلزم ابن طفيل عندئذ التوفيق بين هذين المنهجين ٠٠٠ والذي نلمسه من خلال قراءة القصة، ومن التعرف على الدراسات التى أجريت حولها أنه " وفق فى التعام بعدى هذه القصة ، بل انه " وفق غاية التوفيق ، فكان نشره الفنى أقرب الى الشعر، وكان اسلوبه واضحا برغم دقة المعنى الذى كان يعالج ٠٠٠ وهذا الموضوع بالدرجة الاولى موضوع ذهنى استطاع أن يخرج به فى اسلوب يتسم بالقدرة على اختيار المفردات ، وانسياب اللفظة دون تعثر، والجرس الموسيقى للكلمة المفردة، والجملة ٠٠٠ وقدرة ابن طفيل هذه تنبع من سعة اطلاع وعمق ثقافة ،لانه يعرف أن طبيعة الفكر تحتاج الى الدقة فى التعبير وعدم الاستطراد، والتزام المصطلح المتداول فى هذا المجال من مجالات الكتابة. والسعى الى الوضوح بقدر ماتسمح به طبيعة الموضوع ٠ (١٥)

(١٤) انظر " حى بن يقظان وروبينسون كروزو" (ص ٨٠ ٠

(١٥) المصدر السابق ، ص ٨٠ ٠

ولانبالغ اذا قلنا أن ابن طفيل فى قصته هذه يعتبر رائدا
فى الادب العربى كيفلا، ونحن نجد فى اسلوبه " بسط المقدمات وجمال
عرضها، وحسن صياغتها تتلوها النتيجة المنطقية لما سبق من مقدمات
على طريقة أساليب المناطقة فى التحليل والتعليل، والتدرج من
صغرى القضايا الى كبرها الى النتائج المرصودة ... الى جوار
التجربة الناجحة والاستنتاج الدقيق، تبينت فيها قدرة الكاتب
على استخدام أساليب العلماء أيضا فى الاستقراء الكامل ... اضافة
الى قدرته الفذة على الاستنتاجات الواقعية، وبعدها عن التجريد
الذى يعتبر الطابع العام لهذه القصة قبل ابن طفيل . (١٦)

من ذلك نكون قد وقفنا على أصالة ابن طفيل، وطابعه القصصى
المشرق، وعرفنا خصائص اسلوبه الفنى، وقدرته على تسخير قصة
خيالية خرافية لابرار هدفه الذى يرمى اليه ... ولاننسى مقدرته
العجيبة على اثناء قصته هذه بالالفاظ والمعانى الجميلة
واخضاعها لذوقه الرفيع، وخياله الرحب، الذى أبدع من خلاله
وكون عالما عجيبا غريبا، جعل القصة تبرز فى الاوساط الادبية
العالمية، وجعل بعضهم يفضله على كل من سبقه لانه كما يقول
أحمد أمين: " يستقى معلوماته اللغوية الادبية من كتــــــــــــــــب

(١٦) ينظر فى ذلك : ملامح التجديد فى النشر الاندلسى خلال القرن
الخامس الهجرى، د. مطفى السيوفى، ط ١، عالم الكتب، بيروت

الادب والمثقفين ، فجاءت عبارته أنعم وأبلغ ... " (١٧) .
ويصدق على ذلك أيضا قول " أنخل بالانشيا " : " واستطسع
ابن طفيل بأسلوبه العذب الذى يفيض ابتكارا ، ومنطقا وقسوة
شاعرية أن يخرج أشرا من أعظم ما أطلعته العصور الوسطى ... (١٨) بل
يمكننا أن نقول ان ابن طفيل قماص عبقرى فى الجانب العلمى من
هذا الفن كما كان مبتكرا لهذا الفن رأسا لم يسبقه اليه أحد
أعنى سياقه المادة العلمية ، والمادة الميتافيزيقية فسوى
قصته ... " (١٩) .

نخلص من ذلك الى الحديث عن قضية المعرفة عند ابن طفيل :
ورحلة ابن طفيل أو "حى" هذه فى جزيرته المنعزلة ... من
الممكن أن تسمى "رحلة المعرفة" ... بل من الممكن أن تسمى
جزيرته تلك التى عاش فيها "جزيرة المعرفة" ، لان هذه القضية
الكبرى التى شغلت من قبله جهاذة الفكر هى المضمون الذهنى
الذى دارت حوله قصته .

-
- (١٧) انظر ابن طفيل لأحمد أمين ، ص ١٢ .
(١٨) الفكر الاندلسى لانجل بالانشيا ترجمة حسين مؤنس ص ١١٩ سلسلة
الالف كتاب - ١٩ - القاهرة .
(١٩) " ابن طفيل " : لعمر فروخ ، ص ١٢ .

والمعرفة عند ابن طفيل نوعان : (٢٠)

النوع الاول : معرفة عقلية وهى تلك التى تعتمد على الحواس الخمس فى تحصيلها وميدانها هذا العالم المادى المحسوس بكل ما فيه من أحياء وكائنات ، وظواهر طبيعية وقد اعتمد فى كسب معرفته فى هذا الميدان الرحب على التجارب الحسية لاعلى الملاحظة فحسب ... وقد سجل ابن طفيل فى قصته أمثلة حية تفسر مقاصده :

فهذا "حى" يبصر النار لأول مرة فى الجزيرة ... فيقترب منها ... ويمد يده اليها ... ويحاول أن يلمسها فتحرقه ... فيرد يده ويبعدها عنها ... حتى اذا بردت أعاد التجربة من جديد ... ويدفعه حب المعرفة الى تشريح الحيوانات حية وميتة ... ويتفحصها بدقة ليصل من وراء ذلك الى كشف المجهول ... وكان الكون الكبير من حوله كتاب معروض ... وهو يريد أن يقرأه ... ويفك طلاسمه ... ويحل أحاجيه ... وقد كانت وسائله لذلك تجارب حسية وملاحظات الناقدة وهكذا ... عن هذا الطريق ... استطاع "حى" أن يتوصل الى حقائق فى الرياضيات استخدمها عند الحديث عن شكل العالم ...

(٢٠) انظر فى ذلك : عمر فروج " ابن طفيل وقصة حى بن يقظان "

وحقائق فى الفلك أوصله الى أن يقرر أن هذا العالم جسم ...
وأن كل جسم متنهه ... وأن الارض كروية ... وأن الشمس أكبر من
الارض ...

وحقائق طبيعية جعلته يتحدث عن الصوت، والحجم ... والشغل
وأن لكل جسم طولاً وعرضاً ...

وحقائق جغرافية : مكنته من التحدث عن الحرارة ... والضوء
والاجسام التى تقبل الحرارة، والضوء الى غير ذلك من حقائق فى
علوم الحياة والطب والتشريح .

لقد استخدم "حى" فى جزيرته النائية المشاهدة والملاحظة
والتجربة، كوسائل معرفية حتى ان بعض الباحثين يعتبر ابن طفيل
الواضع الاصلى لاسس الملاحظة الطبيعية والتفكير العلمى ... وقصد
وصل من قيامه بتشريح الحيوانات الى نظرية القلب القائلة :

" ان القلب أعظم مافى الجسد، وأنه مسكن الروح " . (٢١)

ولقد كان تركيز ابن طفيل على هذا المنهج الذى يقوم على
ملاحظة المحسوسات واصطناع المنهج التجريبي هو الذى دفع
بعض الدارسين الى وضع تعريف لنظرية المعرفة عنده بقوله
" ان المعرفة عند ابن طفيل هى تصفح أشخاص الموجودات المحسوسة
ثم اقتناص المعنى الكلى لها ... " . (٢٢)

(٢١) عمر فروح " ابن طفيل وقصة حى بن يقظان " ص ١٣ . نقلنا عن

كامل عياد، وجميل صليبي .

(٢٢) نفس المرجع السابق .

وتجدر الاشارة هنا الى أن المعرفة التي توصل من خلالها
"حي" الى القول بوجود الله جل وعلا ... ليست من قبيل المعرفة
الحسية ... ولكنها معرفة عقلية تعتمد على الاستنتاج المنطقي
ارتكازا على البديهية الفكرية التي تقول : " ان الصنعة تدل
على وجود الصانع والاشر يدل على وجود المؤثر ... " . وليست من
قبيل المعرفة التي تصدق على عالم المحسوسات التي تخضع للتجربة
الطبيعية .

النوع الثاني من نوعي المعرفة عند ابن طفيل : معرفة حدسية
لا تعتمد على العقل أو الحس أو التفكير المنطقي ... ولكنها
تعتمد على ما يشبه الالهام انها معرفة تنفجر الى النتائج دون مقدمات
يزعم القائلون بها أنها من معطيات الثقافة النفسية ... والادراكات
القلبية .

وميدان هذه المعرفة عند "حي" أو عند ابن طفيل يقفز أيضا
الى عالم الغيب ، عالم ما وراء الطبيعة والحس . (٢٣)

وواضح أنها معرفة اشراقية مأخوذة عن تعاليم الافلاطونية
الحديثة التي تلتقى بتعاليم الهندوس في تراث الشرق القديم ... وهي
من ثمرات المعاناة ، والرياضيات ، والتخييلات ... ونحن نبادر

(٢٣) المصدر السابق ص ٦٠ ، وفي سعة معارف ابن طفيل ينظر المرجع

نفسه ص ٥٨ وما بعدها .

ونبين أننا نخالف ابن طفيل في شأن المعرفة التي تتمتع بعالم الغيب، لأن الانسان الذي هو من عالم الشهادة ... لا يصح لــــه نظر ما وراء هذا العالم، ولأن عالم الغيب لا يخضع لتجاربه وحسبـه وكل رأى يصطنعه في هذا الميدان ضرب من الوهم والتجديف ... ولنا وقفة معه في هذه القضية في نهاية هذا الفصل ان شاء الله .

ومن هنا أيضا ننكر على بعض الباحثين الذين يزعمون أن الاسلام لا يخالف ما ذهب اليه ابن طفيل ... أو أن ابن طفيل كان متبعا للمدرك الاسلامي ... (٢٤)

وهل كان ابن طفيل موافقا للاسلام في مقولته التي يشير فيها الى امكان تطبيق الشرع الواحد تطبيقا مختلفا في البيئات المختلفة . (٢٥)

وهل ذهب عنه أنه دين الله ثابت لا يتغير ... وهو انما جاء لتغيير البيئات لأن يتغير بتغير البيئات ... والمسلم مأمور بالتسليم لما جاء به الدين كما جاء في قوله تعالى : " وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا... " . *

ومجمل القول في قضية المعرفة لدى ابن طفيل حين تعرضها

(٢٤) المصدر السابق ص ١٢ .

وانظر الادب الاندلسي ، مصطفى الشكعة ، ص ٦٩٥ .

(٢٥) عمر فروج " حى بن يقظان " ص ١٢ - ١٣ .

(*) سورة الحشر ، آية ، رقم (٧) .

على الاسلام ووزنها بميزانه فانه يقبل منها المعرفة الحسية
الطبيعية التي تصدق على عالم المحسوسات ... بل ان ابن طفيل
قد أخذ هذا المنهج عن القرآن الكريم ... وقد تتلمذ كثيرا على
كتاب الله العزيز في هذا الميدان .

أما ما يتعلق بعالم الغيب والمعرفة الحدسية فهو مرفوض تماما
لأنه يخلط خلطا شائها معييا بين دين الله الحق ، ومخرقات الكهانة
وتهويمات الفنون ... والرؤى الشعرية .

وعلى كل حال فقد انعكست شخصية ابن طفيل المفكر والعالم
والطبيب والفلكي والرياضي على شخصية "حى" فكان في جزيرته
النائية المعزولة مفكرا عالما طبيبا فلكيا رياضيا ... كما
انعكس ذلك كله على أحداث القصة وحركة الحياة فيها .

أما المنطق الارسطي فلم يشغل نفسه به كثيرا (٢٦) ... ولسذا
فقد ورد في القصة في نهاية الايجاز ... والسبب في ذلك واضح
لأن ابن طفيل من مريدى افلاطون، والافلاطونية فيما يتعلق بمسألة
وراء الطبيعة : عالم الغيب ... أما فيما يتعلق بعالم الشهادة
فهو من مريدى مدرسة القرآن الكريم . لاسيما فيما يتعلق
بالملاحظة والتجربة في الكون والكائنات ، والتفكير في الخلق وفي الروح
كما قال تعالى (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات

(٢٦) لم يول ابن طفيل المنطق عناية لانه جاء متأخرا الى الاندلس
ولم يتعرض له ابن طفيل على أنه علم . انظر : عمر فروج ص ٥٩ .

لأولى الالباب " (٢٧) . وقوله تعالى " وفى أنفسكم أفلا تبصرون " (٢٨)
أما التفكير فى الروح فلا يمكن الوصول اليه لانه من أمر الله . قال
جل شأنه : " ويسألونك عن الروح . قل الروح من أمر ربي
وما أوتيتم من العلم الا قليلا ... " (٢٩)

بقى أن نقول ان تأثر ابن طفيل بأفلاطون وأفلوطين فى
المعرفة الحدسية الخاصة بعالم ماوراء الطبيعة هو الذى جعله يتبنى
الفكر الصوفى الذى يعتمد على الاسرار الباطنية والاشارات الخفية
والتلويحات الرمزية ... ولذلك فان لهذه القصة اسما آخر
يدل دلالة صريحة على معطياتها الفكرية ذلك الاسم هو " أسرار
الحكمة الاشراقية " .

وتجدر الاشارة هنا الى أننا نخالف الرأى الذى يقول : ان ابن
طفيل انما استعمل الاسلوب الروائى كقالب لافكاره حتى يستمر
مضامينها عن العمامة ويضن بتعاليمه عن الابتذال ... وقد يكون
هذا بعض أهدافه ... ولكن ليس هذا هو السبب ...

ان السبب الذى جعل ابن طفيل يتخذ الاسلوب القصصى
قالبا لافكاره انما يرجع الى الفنان الذى يدخل فى تكوين النسيج

(٢٧) آل عمران : ١٩٠

(٢٨) الذاريات : ٢١

(١٩) سورة الاسراء : ٨٥

الداخلى لشخصيته . . ذلك أن شخصية ابن طفيل هى شخصية فنسان
يقدر ماهى شخصية مفكر .

ان القدرتين العظيميين متكافئتان فيه . . . ولذلك خرجت
(حى بن يقظان) فى هذه الصور الرائعة العجيبة .

وليس ذلك غريبا على مفكر متأثر بأفلاطون . . . فقد كانت فلسفة
أفلاطون لاتخلو من شعر . . . كما كانت شخصيته لاتخلو من شاعريسة
بقى أن نقول أن كثيرا من الباحثين حاولوا أن يفسروا الاشارات
الرمزية التى تشتمل عليها القصة .

ولعل من أهم هؤلاء الدكتور غنيمى هلال (٣٠) الذى فعل ذلك
فى كتابه الادب المقارن . . . حيث يقول : " ان ابن طفيل لم يتكلم
الا رمزا، ولكن رمزه كان واضحا . . . " فحى بن يقظان" الاسم الرمزي
للقصة ومعناه مطابق لما مر ذكره عند ابن سينا - أى عندما قسام
بتحليل رموز ابن سينا - ف " حى " يقصد به العقل الفعــال
أو النفس الملكية، وهذا العقل حى دائما ، غــير
متغــير أبــدا

والرــحــلة الموصوفة فى الرسالة رمزية ، ترمــز
الى طلب الانسان المعارف الخالصة ويستمر فى تحليل بقية الرموز

(٣٠) كان هذا التأويل لرموز ابن سينا، فأجراه الدكتور على رموز

ابن طفيل .

فيقول : " ان سلامان مثل للنفس الناطقة وأبسال للعقل المترقى
في درجات الكمال عن طريق العرفان . . . وامرأة سلامان : مثل
للقوة البدنية الامارة بالشهوة والغضب واباء أبسال معناه : انجذاب
العقل الى عالمه . . . وأختها هي القوة العملية . . . وتلبسها
نفسها بدل أختها : تسويل النفس الامارة بالسوء ، والبرق اللامسح
هو الخطفة الالهية ، وهي جذبة الحق . (٣١)

هذا وقد سبق نصير الدين الطوسي ، الدكتور غنيمي هلال الى
تحليل رموز قصة " سلامان وأبسال " فقال : " ان سلامان : مثل
للنفس الناطقة وأبسال للعقل النظري المترقى الى أن حصل عقلا
مستفادا ، وهو درجتها في العرفان ، ان كانت تترقى الى الكمال
وامرأة سلامان : القوة البدنية الامارة بالشهوة والغضب ، كما سخرت
سائر القوى لتكون مؤتمرة لها في تحصيل مآربها الفانيــــــــــــــــة
واباؤه : انجذاب العقل الى عالمه . . . وأختها التي امتلكتها
القوة العملية المسماة العقل المطيع للعقل النظري ، وهو
النفس المعتمنة وتلبسها نفسها : هو تسويل النفس الامارة مطالبها
الخيــــــــــــــــسة " . وهذا التأويل كما نلاحظ مطابق لتأويل الدكتور
غنيمي هلال .

وذكر صاحب رسالة "حي بن يقظان ، وروبنسون كروزو" حــــــــــــــــســــــــــــــــن

محمود عباس تأويلا يخالف فيه الدكتور غنيمي هلال حيث يقول :

" وقد كان هذا التأويل منصبا على رسالة " حى بن يقظان " لابن سينا لكن المرحوم الدكتور محمد غنيمي هلال جر هذا التأويل على شخصية حى عند ابن طفيل وهو ما نختلف معه فيه ذلك أن (حى من يقظان) : رمز للمفكر الانسانى ، لا العقل المجرد ، ولا يخفى ما بين هذين التأويلين من اختلاف ، وما يترتب على هذا الاختلاف من نتائج ...

ويعلل ذلك بقوله : " فاذا أخذنا التأويل الاول نزعنا عن "حى" صفة الانسانية وأبقيناه تجريدا ذهنيا خالصا ، وبذلك نهـدم ركنا أساسيا من أركان القصة ، ليس هذا فحسب ، بل ان شخـيصة "حى" على النحو الذى تتكشف عنه فى القصة لاتسمح بهذا المنحـى فى التفسير لانها تنبض بالحياة ... ويستمر فى تأويل الرموز من واقع تخيله لها فيقول : أما شخـيصة أبسال فهي رمز للتوسط بين حالتى التفلسف والفقه الظاهرى فهي تأخذ من الفلسفة النزوع الى التأمل وأعمال الفكر ، وتأخذ من الفقه الظاهرى الايمان المطلق والتسليم الكامل ، والاعتقاد بالشرعية كما جاء بها الرسول .

وأما سلامان : فهو رمز للفقيه الظاهرى الذى لايقبل التأويل ألمتر كيف التزم ظاهر النص الدينى ، وقعد عن كل جهد عقلى قد يؤدي به الى مخالفة الجماعة ، فرضى بذلك وأرضى ، وحكم الجزيرة وعاش مع أهلها فى وثام وانسجام .

وجزيرة "حى" المهجورة : رمز لعالم الطبيعة البكر الذى وجد الانسان فيه أول مرة ، فكان عليه أن يخضع ما يستطيع من موجوداته

لعقله و ارادته كأن يدجن الحيوان مثلا ، وينتفع بالنار بعد اكتشافه
اياها ... الى غير ذلك .

وأما الجزيرة الاخرى المأهولة فهي رمز للمجتمع الانساني
بكل ما فيه وقد أراد ابن طفيل أن يكون هذا المجتمع مجتمعا
الذي عاش فيه ، فأصغى صفات كان الناس يتمفون بها في عصره
ففيهم بلادة ونقص ، وسوء رأى ، وضعف عزم ، وهم كالانعام بل هم
أضل سبيلا ... " (٣٢)

... ثم ماذا ؟

ثم يجب ألا ننسى أن قصة حي بن يقظان ، قد تأثرت في بناءها
بالقرآن الكريم . يظهر ذلك في أول حدث أراد به ابن طفيل أن يكون
كالمدخل لقصته ، وهو الإشارة الى أن قضية تخلق "حي" من تسراب
جزيرة واق الواق ، واقع في حيز الامكان ... وهذا ملحوظ فيه قصة
خلق الانسان من طين الواردة في قوله تعالى : " اذ قال ربنا
للملائكة اني خالق بشرا من طين " (٣٣)

ويأتى بعد ذلك أحداث رحلة "حي" من الحياة الاجتماعية
الآمنة الى تلك الجزيرة المنعزلة المخوفة ... فذلك ملحوظ فيه
قصة هبوط آدم عليه السلام هو وزوجه من الجنة الى شقاء

(٣٢) انظر حي بن يقظان وروبنسون كروزو ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٣٣) سورة (ص) : ٧١

الارض، ويحدثنا القرآن الكريم عن هذه القصة حيث يقول المولى
جلت قدرته : " وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها
رغدا حيثما شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا
بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين " . (٣٤)
ثم الحدث المهم وهو وضع الطفل "حى" فى تابوت واسلامه
الى النهر فذلك ملحوظ فيه قصة موسى عليه السلام ، حينما
كان طفلا . وخشيت أمه عليه من فرعون أن يقتله ، فأوحى الله اليها
بصنع التابوت، ووضع فيه والقائه فى اليم وذلك فى قوله
تعالى : " وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه
فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه مرسلا
المرسلين " . (٣٥)

وأخيرا يجيء الحديث المأساوى وهو موت الطيبة مرضعة "حى"
ثم حيرته فى مواراة جثتها وهذا ملحوظ فيه قصة ابن
آدم عليه السلام عندما قتل أحدهما أخاه ، واحتار فى مواراة سواته
ثم هيا الله له غرابا يبحث فى الارض ليدله على الطريق السليم
فى مواراة جثة أخيه . وقد حدثنا القرآن الكريم عن هذه القصة

(٣٤) سورة البقرة : ٣٦، ٣٥ .

(٣٥) سورة القصص : ٧ .

فقال : " واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ... " الآية ، السـ
قوله تعالى : " فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يـ
سواة أخيه ، قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغـ
فأوارى سواة أخى ، فأصبح من النادمين " . (٣٦)

تلك هي قصة (حى بن يقظان) الاثر الفنى الفكرى الفريد الذى أغنى به ابن طفيل المكتبة العربية ،والذى ترجم الى أغلب لغات العالم الحية،وحظى من دراسة الباحثين واهتمامهم فى تلك اللغات بأكثر مما حظى به فى لغته الام كما ونوعا،ولانغالى اذا قلنا بشأن بعض الباحثين من المستشرقين اشتهروا بما قدموه من أبحاث قيمة فى تحقيق هذا الاثر،وترجمته الى لغاتهم ،ودراسته بحىـــــــــــــــــث أصبحت تلك الدراسات مرجعا لايستغنى عنه الباحث الحديث "٠٠ (٣٧) ومن الذين أعجبوا بهذا الاثر الفنى الكاتب الاسبانى "مرتيلينو مندنيث بالايو" حيث قال : " وليس فى الآداب العربية كلها كتاب أحسن منه ابتكارا ولاأغرب ،ثم ان ثمة مدارك قليلة فى العبقرية الانسانية لها مثل قيمته الجامعة البالغة ٠٠٠ ان هذا الكتاب فى الحقيقة خيال نفسانى ومنهج للبحث معاً،ولكن فســــــــــــــــى اطار من الشعر ٠٠٠ " ٠ (٣٨) ولماذا أخذت هذه القصة هذه المكانة العالمية؟؟

نقول أخذت هذه المكانة لانها لاتمثل حياة فرد ،ولكنها تمثّل تطور الانسانية فى أدوارها المختلفة (٣٩) ٠٠٠ فهؤلاء الباحثون

(٣٧) انظر "حى بن يقظان وروبينسون كروزو" حسن محمود عباس ص ٤٧ .

(٣٨) انظر عمر فروج فى ابن طفيل وقصة "حى بن يقظان" ص ٣٤،٣٣ .

(٣٩) المصدر السابق .

قد وجدوا فيها مايشفى غليلهم ٠٠٠ وماينير سبيلهم، خاصة فى أوروبا
فلقد حظيت قصة " حى بن يقظان " باهتمام شديد لدى فلاسفتها
وخصوصا فى القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر وذلك لان القرن الثامن
عشر الاوروبى، كان يعتقد فى مقدرة الانسان الفطرى على الاهتداء
الى الفضائل، والى الاسس التى تفضل الشرائع الانسانية ٠٠٠ وقد
راجت الدعوة نفسها لدى الرومانتيكيين فى القرن التاسع عشر
ورأى هؤلاء وأولئك فى قصة " حى بن يقظان " مايشد ازر دعوتهم
اذ اهتدى "حى" فيها - كما يقولون - الى مايتجاوز الشريعة . (٤٠)
ومما يؤكد اهتمام الاوربيين بهذه القصة تلك الترجمات
المتعددة لها :

فقد ترجمت " حى بن يقظان " لابن طفيل الى العبرية عام ١٣٤١م .
ثم ترجمت الى اللاتينية : ترجمها اليها " بوكوك " عام ١٦٧١م -
بعنوان : " الفيلسوف المعلم نفسه " .
ومن اللاتينية ترجمت الى الانجليزية : ترجمها " جورج كيث "
من جماعة الكويكر لتكون مرجعا فى شعائرهم .
وممن اهتم بهذه القصة دراسة وبحثا : المستشرق الفرنسى
"ليون جوتيه" والمستشرق الاسبانى " جارثيا جومث " ٠٠٠ وقد ذكر

(٤٠) انظر : غنيمى هلال ، فى الادب المقارن ص ٢٤١ .

وانظر : ملامح التجديد فى النثر الاندلسى ، للسيوفى ص ١٢٢ .

بعضاً من آرائهم عند دراسة النواحي الفنية والفكرية للقصة .

كما أن لهذه القصة شعبية في الآداب الأوروبية وأيضاً لها تأثير في كتاباتهم الأدبية والفلسفية .

فقد ذكر الدكتور غنيمي هلال أنها : " أشرت أولاً في الكاتب الإسباني " بلتازار جراثيان " (١٦٠١ - ١٦٥٨ م) في قصته التي عنوانها " النقادة " ظهر الجزء الأول منها عام ١٦٥١ م ، والجزء الثاني عام ١٦٥٣ م والجزء الثالث عام ١٦٥٧ م والقصة بهذا مقسمة إلى ثلاثة أجزاء ؛

عنوان الجزء الأول منها : " في ربيع الطفولة " ... وعنوان الجزء الثاني " في خريف عهد الرجولة " ... وعنوان الثالث : " في شتاء الشيخوخة " . وهي نقد للعادات والتقاليد في عصر المؤلف .

وذكر الدكتور غنيمي هلال أن المستشرق الإسباني " جارثيانا جومث " وجد قصة عربية مخطوطة في الاسكوريال كانت قد صارت شعبية في عهد المؤلف وهي أساس قصة " ابن طفيل " وقصة " بلتاسار جراثيان " في وقت معاً . وهذه المخطوطة عنوانها : " قصة ذي القرنين وحكاية الصنم والملك وابنته " . وهكذا كان تأثير قصة ابن طفيل في الآداب الأوروبية تأثيراً كبيراً متنوع الدلالة وإلى اللغة الفرنسية يؤكد الدكتور غنيمي هلال اهتمام " ليون جوتيه " بها حيث قام بترجمتها إلى الفرنسية عام ١٩٣٦ م وقدم لها بدراسة عميقة طويلة .

وأشار أيضاً (ليون جوتيه) إلى أن هناك علاقة بين قصصه

ابن طفيل وقصة " روبنسون كروزو " لدانيال ديڤو، بل ان " أرنست " صاحب كتاب " تاريخ القصة الانجليزية " اعتبر قصة " حى بن يقظان " أحد المصادر المحتملة لقصة (روبنسون كروزو) وقد توصل باستور فعلا الى أن هناك شيها بين القصتين .

ويرى " ده بور " وهو سابق لباستور : أنه مهما وجد بينهما من شبه فان كروزو يمثل نمطا للرجل العملى دنيويا بينما " حى " نمطا مثاليا للحياة التأملية .

ثم ترجمت الى الروسية : ترجمها " ج كوزمين " ونشرها بطرسبرج سنة ١٩٢٠ م (٤١)

وأخيرا لابد من وثقة متأنية مع أبى بكر بن طفيل تحسّر موقفه بدقة من عقيدة الاسلام كما يفهمها سلف هذه الامة . نحن نعلم مدى حرصه على التوفيق بين العقل والنقل ونحس مدى شوقه الى الجمع بين الدين والفلسفة

فهل سلم له منهجه ؟ وهل أوصله الى شاطئ الامان ؟

أم أن هذا المنهج قد ورطه - ولو رمزا - فى مقولات قذفت به

(٤١) ينظر فى كل ذلك :

- ١ - فاروق سعد ص ٣٣ وما بعدها .
- ٢ - عمر فروج ص ٣٤ - ٤٦ .
- ٣ - عمر فروج ص ١٣٠ تحدث عن الصدى العالمى للقصة .

بعيدا عن تعاليم القرآن ؟

ومع اقرارنا الكامل بأن صاحب قصة " حى بن يقظان " قد نجح نجاحا باهرا فى معالجة تجربته الذهنية عن طريق الفن ، متفقيـن فى ذلك مع جلة الباحثين فى الشرق والغرب ... الا أن لنا تحفظات هامة نأخذها على تصويره الدينى ، لاعلى نهجه الفنى .

فنحن ابتداءً لانسلم له أن العقل البشرى يستطيع وحده أن يستبد بالمعرفة فى شئون الدين أو فى متعلقات عالم الغيب ... بـل لابد فى هذه الامور من وحى الله المتنزل بأصول العقيدة على أنبيائه ورسله ... والا ارتبط الثواب والعقاب بالعقل ، ولاصبح وحسده مدار المسئولية والجزاء ... وغنى عن البيان أن الامر ليس كذلك فى الاسلام ، وصدق الله العظيم اذ يقول : " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " . (٤٢)

حقا ... ان القرآن الكريم كرم العقل ... وخاطبه ورفع مسـن شأنه ... وأناط به التكاليف الشرعية ... ولكنه فى نفس الوقت قيد ذلك ببلوغ دعوة الله اليه ... وواضح جدا أن ذلك لايدخل فى باب النصفة والعدل ... لان عالم الغيب فوق مدركات الحواس التى هى وسائل العقل الى المعرفة ... واذا فلا بد له حالتعد من مرشد يأخذ بيده ويسدد خطوه ... ألا وهى النبوة .

أما عالم الشهادة فان العقل البشرى يستطيع بتوفيق مســــن
الله أن يستبد بالمعرفة فيه ،لانه يقع تحت مدركات الحواس التى هى
أدوات العقل التى هياها الله جل وعلا للمعرفة المادية ... وصدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذ يقول "أنتم أعلم بشؤون ديناكم" (٤٣)
حقا ان بعض رجال الفلسفة قد توصل الى مقولة (الالوهيــــة)
بعقله ... ولكن هذه المعرفة تتصف بالنقص ... وتناى عن المعرفة
الدينية التى تتصف بالكمال ذلك لان رجال الفلسفة ليس لهم
فى هذه المعرفة مزية على سائر البشر وعامة الناس ... بل هم
متساوون بهم ... لان هذه المعرفة تعتمد على المقولة البدهيــــة
" ان كل أثر لابد له من مؤثر" فذلك قوله تعالى : " ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله ... " . (٤٤)

ولذلك فان هذه المعرفة الناقصة لم تمنع الفلاسفة من القسول
بقدم العالم ولم تمنع أتباعهم أن يقولوا بالتعطيل ... كما لم
تمنع عامة البشر أن يجسدوا الله - تنزهه عن ذلك - فى الكواكب
والاشجار والاحجار، وما الى ذلك من ظواهر الوثنية .

(٤٣) رواه رواه الطحاوي في مشكل الآثار ٣/٢٩٤-٢٩٥ .

(٤٤) سورة الزمر : ٣٨

كذلك لانسلم لابن طفيل أن "الحدس" و"الذوق" من وسائل
المعرفة الى عالم الغيب ... ومهما حاول المتصوف أن يروض جسمه
وقلبه فان ذلك لن يسلمه الا الى تخرصات باطلة ... وأحلام
غائمة ... هي أقرب الى عوالم الكهنة والسحرة .
وكيف غاب عن ابن طفيل أن "الحدس" و "الذوق" أدنى من
العقل مراتب كثيرة ...؟

ان العقل له مايعتمد عليه فى المراتب المادية ...
أما "الحدس" و"الذوق" فعلام يعتمدان فى عالم المادة أو فى
عالم ماوراء المادة ؟

تلك هى الترهات والاهام والباطيل ...
عالم الغيب وراء عالم الشهادة ... فليس للعقل وللحدس
وللذوق سبيل اليه ...

ومن هنا كانت المعرفة الدينية فى الاسلام تتدرج فى ثلاث مراتب :

الوحي الالهى أولا ...

فالنبوة والرسالات ثانيا ...

ثم يجيء العقل بعد ذلك فى المرتبة الثالثة ...

وصدق الله العظيم اذ يقول : " قل انما أنا بشر مثلكم يوحى

الى انما الهكم اله واحد ... " الآية (٤٥)

ومجمل القول ان البحث فيما وراء المادة محذور في الاسلام
وليس في ذلك حجرا على العقل ... أو حيف على حرية الفكر، ولكن
في ذلك وضع للامر في نصابه ... وهاهي ذي الفلسفة الوضعية
الحديثة تتسحب صاغرة من ميدان البحث فيما وراء عالم المادة
وتحصر ميدانها في عالم الظواهر ... وصدق الله العظيم حيث يقول
"ويعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ... " الآية (٤٦)

ومن هذا المنطلق نفسه، ننكر على ابن طفيل أن يأخذ بمنهج
"التأويل" فيما هو وحى من عند الله ... يظهر ذلك في تورطه مع
الاعتزاليين من أمثال أبي الهذيل العلاف، ومن لفافة في تأويل
صفات الله، والقول بأن صفاته عين ذاته يدل على ذلك ما جاء في قصته
عن درجة المعرفة التي وصل اليها "حي بن يقظان" في الجانب الالهي
حيث يقول: " لقد علم حي بن يقظان أن صفات الله كلها راجعة
الى حقيقة ذاته، وأنه لا كثرة فيها بوجه من الوجوه، وعلم أن علمه
بذاته ليس معنى زائدا على ذاته، بل ذاته هي علمه بذاته
وعلمه بذاته هي ذاته ... " (٤٧)

وننكر على ابن طفيل أيضا زعمه " أن الدين يصلح لعامية
الناس ... وأن خاصة البشر غير ملزمين به ... غير أن

(٤٦) سورة الروم : ٧٠

(٤٧) قصة حي بن يقظان ص ١١٣ .

إذا أراد ذو الفطرة الفائقة أن يأخذوا به فلا ضير ... " (٤٨)

ومعنى ذلك أن الاسلام لاتتصف رسالاته بالشمول ...

ولاشك أن هذا منكر من القول وزور، والقول به بهتان وتجديف

ويكفى فى ذلك أنه يصطدم بقول الحق تبارك وتعالى : " وما أرسلناك

الاكافة للناس بشيرا ونذيرا... " (٤٩)

وياعجبا لابن طفيل ... لقدحاول أن يعرف الله عن طريق العقل

فعجز ... فحاول أن يعرفه عن طريق "الحدس" فتاه فى ضباب الاوهام

والاباطيل ...

أما كان الاولى به وقدنهج فى المعرفة المادية نهج القرآن

الكريم ... أن يفعل نفس الشيء فى معرفة البارئ الذى أوجد

المادة، وأنزل القرآن ...؟

لقد كان منطق الفكر القويم - فضلا عن منطق الاسلام العظيم -

يفرض عليه أن يتبع فى المعرفة الالهية منطق القرآن من غير

تأويل أو تبديل ...

(٤٨) قصة حى بن يقظان ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٤٩) سورة سبأ : ٢٨

خاتمة

الخاتمة

وبعد :

فقد تبين لى من خلال هذه الدراسة عدة نتائج بالغة الأهمية

موزعة بين مدخل هذا البحث وأبوابه الثلاثة :

فأما النتائج التى توصل اليها المدخل، فيمكن اجمالها فيما

يأتى :

أن العصبية الاقليمية فى القديم، والاقليمية العلمية

فى الحديث، كانتا وراء التعسف المنهجي الذى أدى الى تقسيم

الادب العربى الى مشرقى وأندلسى .

وأن الاقليمية العلمية وحدها، هى المسؤولة عن فرض مقولة

(الزمان) على درس الادب العربى فى المشرق، وفرض مقولة (المكان)

على درس الادب العربى فى الاندلس .

وان النهج القويم لدراسة قضايا الادب العربى فى مشرق

الارض ومغربها أن توضع فى سياقها الفنى العام من الادب العربى

كله .

وأن الادب العربى فى الاندلس امتداد عضوى للادب العربى فى

المشرق وليس مقابلا له ...

وأن التقاليد الفنية للآداب هى العامل الحاسم فى درسه

متجاوزة "فى" ذلك حدود مقولات (الجنس، والزمان، والمكان) .

وأما النتائج التي توصل اليها الباب الاول من هذه الدراسة

فيمكن اجمالها فيما يأتي :

أن قصة " التوابع والزوابع " لابي عامر أحمد بن عبدالملك بن مروان بن شهيد أول عمل أدبي في لغة العرب اتخذ عالم ماوراء الحس مسرحاً لأحداثه ...

وأنها من أجل ذلك تؤكد (مقولة) سبق " التوابع والزوابع "

زمنياً على ظهور "غفران" أبي العلاء ، وان تأخرت عنها فنيا .

وأن أبا عامر استوحى رحلته الخيالية من أسطورة (وادي عبقر)

في جاهلية العرب ... وليس من وقائع حديث " المعراج " أو كتساب

" التوهم " للمحاسبى أو (مقامات) بديع الزمان .

وان الوسائل الفنية التي استغلها ابن شهيد في رحلته

العجيبة متنوعة : منها السرد في عرض أحداث القصة ، ومنها الحوار

بين شخصياتها ، ومنها الاقنعة الرمزية الموحية بالملامح الشخصية

والفنية لشعرائها وكتابها ، ، ومنها : اللوحات المصقولة في

تصوير مشاهدتها المختلفة .

وأن خيال ابن شهيد في رحلته بأرض الجن من معدن خيال

"هومير" و"أرسطوفان" من ادباء الاغريق ، و"فرجيل" من ادبيات

اللاتين ، و"أبي العلاء" من ادباء العرب ، و"دانتي" من ادبيات

الاطليان ، و"ملتون" من ادباء الانجليز ... غير أن ذلك كان في

النوع لافي الكيف ...

وأما النتائج التي توصل اليها الباب الثاني فيمكن

أن نجملها فيما يأتي :

أن أبا محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم أول أديب عربي

اعترف بتجاربه العاطفية وأودعها كتابا مدونا، وأنه لم يتأثر في

هذا الجانب بأحد من السالفين ولم يتأثر به في هذا الجانب أيضا

أحد من الخالفين ... وأن "نظريته" في "الحب" تنبثق من نبع

اسلامى خالص، وليس الى تأثرات (أفلاطونية) أو نزعات "عذرية" .

وأن ورود (الأفلاطونية) و(العذرية) في (طوق الحمامة) جاء

من مجرد تلاقيهما مع الاسلام في فضيلة العفة ...

وأن (الحب) الذي يعتقده أبو محمد نوعان لثالث لهما :

أحدهما : حب يقوم على التوافق الروحي بعيدا عن الانجذاب

الجسدى ... وهو أرقى أنواع الحب الذى يشير اليه الحديث النبوى

الكريم " الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها

اختلف) .

ثانيهما : حب يجمع بين التوافق النفس والتوافق الجسدى

ولاحياة لمثل هذا الحب الا بأحد أمرين : اما بالزواج الذى يعمر

الكون ، ويبنى المجتمع ، وهذا هو الهدف الاول لشريعة الاسلام .

واما بالعفة ... ومن وراء العفة المعاناة ... ومس

وراء المعاناة تجارب شعورية نسبية تتسامى بصاحبها درجات فى

مراتب الفضيلة متجاوزة بذلك الوقوع فى قبح المعصية ...

ومن ثم فان مقولة المستشرق الاسبانى (ميجيل أسين بلاثيسوس) التى تخطط خلطا شائها فى تفسير نظرية (الحب) عند ابن حزم بين (العنصرية) بحسان أبى محمد من أصل اسبانى ،وبين (المسيحية) بحسان جده الاعلى نصرانيا،وبين " الافلاطونية " بحسانها من تراثهم الاوروبى ،وبين (العذرية) بحسانها من نتاج (المسيحية) و(الافلاطونية) جميعا،لهى من قبيل التعسف فى التفسير الذى لا يثبت للنظر العلمى الجاد ...

وأن اعترافات أبى محمد التى سجلها فى كتابه "طوق الحمامة" أسبق فى تاريخ الآداب من (فن الاعترافات) فى الازمان الحديثة والمعاصرة ... وأن الوسائل الفنية التى استخدمها ابن حزم فى كتابه (طوق الحمامة) متنوعة منها : الحكايات القصيرة التى ضمنها تجاربه الذاتية،ومعاناته الداخلية ... وتجارب غيره ممن خاصة ثقاته،ومنها التحليل النفسى لعاطفة "الحب" وشخصيات المحبين ،ومنها النشر المرسل الخالى من الزخرف المتمسج بالانفعالات الذى قد يتفوق فى غنائته على الشعر القريض ...

وأما النتائج التى توصل اليها الباب الثالث فيمكن بأن نجملها فيما يأتى :

أن قصة (حى بن يقظان) لأبى بكر محمد بن عبد الملك بن محمد ابن طفيل أول رواية ذهنية فى الادب العربى ،يوازن فيها بين ماهو فكر وماهو فن،موازنة دقيقة بارعة،وأن هذا المفكر الاديب

قد سجل في هذا الجنس الادبي سبقا بعيدا ...

وأن ابن طفيل لم يتأثر في بناء قصته بأحد من السابقين
ولكنه اقتصر على استعارة : أسماء أبطل قصته فحسب من الشيخ
الرئيس ابن سينا، وهو تصرف فني مشروع في الآداب العالمية .
وأن كثيرا من عناصر روايته، استمدته من القصص الحق فسمى
القرآن الكريم من أمثال : تخلق الحياة من الطين باذن الله
والرحلة البحرية للطفل الرضيع (حى) بعد وضعه في تابوت والقائه
في اليم، وقذف اليم به في الساحل، وتعلم (حى) من الغراب كيفية
مواراة ظهره (الظبية) التراب بعد موتها، وانتقال حى
من عالم الأمن والالفة الى عالم مجهول العواقب ... ملحوظ فيه
خبر هبوط آدم (صلوات الله عليه) من نعيم الجنة الى شقاء
الارض .

وأن أبا بكر استفاد نظريته في (المعرفة الحسية) من القرآن
الكريم أيضا حيث تعتمد المعرفة المادية البشرية في آيات الله
المنزلة على الضرب في الارض، والتجربة المباشرة، والملاحظة
الذكية بالنظر في الكون والنفس ... وأن هذا المفكر قد أخطأه
الصواب، وتفرقت به السبل حينما اعتمد في الطريق المفضى الى
عالم الغيب على (المعرفة الحدسية) المأخوذة عن تعاليم وثنية
يرفضها العقل والنقل جميعا ... وقد كان من المحتم عليه عقلا
ونقلا أن يلتمس ذلك في القرآن الكريم، متمثلا في الوحي والنبوة
والرسالة من غير تبديل ولاتأويل ...

وأخيرا فان هذه الروائع الثلاثة : (التوابع والزواجر)
لابن شهيد و (طوق الحمامة) لابن حزم و (حى بن يقظان) لابن طفيل
التي تقدمت لدراستها فى ميدان (التجديد) بل (الابداع) فى
(فن النشر) من الادب العربى كله ، لافى (فن النشر) من الادب العربى
فى الاندلس ، فحسب لى الحرية حقا بالدرس الفنى الخصب فى
هذا الميدان الكبير ، لأنها أعمال فنية كاملة ، وليست من قبيل
التجديدات الجزئية فى الصور والعبارات والافراض ... وانها لأكبر
دليل على عبقرية الخصوبة والاصالة والانتماء .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

قائمة المصنّاور
بِسْمِ

المصادر

القرآن الكريم ..

- ابن الأبار : أبو عبدالله محمد بن عبدالله ، أبو بكر القضاء

المتوفى سنة ٥٣٥٨ هـ .

(اعتاب الكتاب)

حققه وعلق عليه د. صالح الأشر - المطبعة الهاشمية ، دمشق

١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .

(الحلة السيرة)

تحقيق : حسين مؤنس - الشركة العربية للطباعة والنشر

الطبعة الأولى .

(التكملة لكتاب الصلة)

طبعة مدريد ١٨٨٦م .

- ابن أبي أصيبعة

(عيون الانباء فى طبقات الاطباء)

دار الفكر - بيروت - سنة ١٩٥٧م .

- ابن باجه : أبو بكر بن الصائغ)

(تدبير المتوحد)

نشره الدكتور ماجد فخرى مع رسائل أخرى لابن باجة - بيروت -

دار النهار للنشر عام ١٩٦٨م .

- ابن بسام : أبوالحسن على بن بسام الشنترينى المتوفى سنة ٥٤٢هـ

(الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة)

القسم الاول - المجلد الاول - تحقيق احسان عباس - دار الثقافة

بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

- ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (٤٩٤ - ٥٧٨هـ)

(الصلة)

الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب ١٩٦٦م .

- ابن تغرى بردى

(النجوم الزاهرة)

تحقيق محمد على مكي - لجنة احياء التراث الاسلامى - القاهرة

١٣٩٠هـ .

- ابن جلجل

(طبقات الاطباء)

تحقيق فؤاد السيد "القاهرة ١٩٥٩م" .

- ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد بن حزم

(طوق الحمامة فى الالف والالاف)

تحقيق الطاهر أحمد مكي - ط٣ - دار المعارف شوال ١٤٠٠هـ .

(طوق الحمامة)

تحقيق الاستاذ حسن كامل الصيرفى ، تقديم الاستاذ ابراهيم

الابيارى - المكتبة التجارية الكبرى بمصر - مطبعة الاستقامة

القاهرة ١٣٨٣هـ .

(طوق الحمامة)

قدم له وحققه فاروق سعد، منشورات دار مكتبة الحياة

بيروت • الطبعة الجديدة ١٩٧٢م •

(جمهرة أنساب العرب)

تحقيق وتعليق عبدالسلام محمد هارون - الطبعة الرابعة

دار المعارف •

(رسالة في الاخلاق ومداداة النفوس)

ضمن رسائل ابن حزم - تحقيق احسان عباس •

(المطلن) جزء ٧ - نشر دار الفكر •

- ابن حيان : أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن

حيان - قرطبة ٣٧٧ - ٤٦٩هـ

(المقتبس في أخبار بلد الاندلس)

حقق الجزء الثاني منه الدكتور محمود على مكي، بيروت

١٣٩٣هـ، ونشر ليفي بروفنسال قطعة من الجزء الثاني أيضا في

مجلة "الاندلس" الاسبانية المجلد ١٥، العدد الاول، ١٩٥٠م ٠٠٠٠

ونشر ملتشور أنطونيا القسم الثالث منه سنة ١٩٣٧م • وذكر

الدكتور عبدالرحمن على الحجى أن الجزء الخامس منه بالمكتبة

الملكية بالرباط ٠٠٠ ونشر الدكتور الحجى جزء ١٦ منه مختص

بخمسة سنوات من خلافة المستنصر - بيروت ١٣٨٥هـ •

- ابن الخطيب : ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب
(أعمال الاعلام فيمن بويح قبل الاحتلام)
تحقيق ليفى بروفنسال - بيروت ١٩٥٦ م .
(الاحاطة في أخبار غرناطة)
- تحقيق محمدعبدالله عنان - مكتبة الخانجي - القاهرة
الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ .
- ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد
(وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان)
تحقيق احسان عباس - دار صادر ١٩٦٨ م .
- ابن خير : أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الاموي
الاشبيلي - ٥٠٢ هـ - ٥٧٥ هـ
(فهرسة مارواه عن شيوخه)
منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - الطبعة الثانية
طبعة جديدة ومنقحة - ١٣٩٩ هـ .
- ابن دحية : ذوالنسبين ابن الخطاب عمر بن حسن
(المطرب من أشعار أهل المغرب)
تحقيق : الابيارى ، وحامد عبدالمجيد - المطبعة الاميرية
١٩٥٤ م .
- ابن سعيد : على بن موسى بن سيعد الاندلسي
(المغرب في حلى المغرب)

حققه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف - دار المعارف - الطبعة

الثالثة المنقحة / ١٩٧٧ م .

- ابن سلام الجمحي ، المتوفى سنة ٤٣١ هـ

(طبقات فحول الشعراء ٦)

مع مقدمة تحليلية للكتاب ودراسة نقدية منذ الجاهلية

الى عصر ابن سلام ، اعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث

دار النهضة العربية - بيروت ١٩٦٩ م .

(طبقات فحول الشعراء ٦)

قرأه وشرحه محمود محمد شاكر .

طبعة المدنى - القاهرة .

- ابن سينا : الشيخ الرئيس على بن سينا

(رسالة حى بن يقظان ورسالة الطير)

نظم هبة الله أحمد عبدالواحد البغدادى - تحقيق وشرح صادق

كمونة المحامى - مطبعة العائى بغداد .

- ابن شهيد : أبو عامر أحمد بن أبي عبدالملك

(ديوان ابن شهيد)

جمع وتحقيق يعقوب زكى - دار الكتاب العربى للطباعة والنشر

بالقاهرة .

(رسالة التوايح والزوايح)

تحقيق ونشر بطرس البستاني - دار صادر ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

- ابن الصيرفي :

(المختار . من شعر شعرا ٤١ الاندلس)

تحقيق وتقديم د. جميل صليبا ، والدكتور كامل عياد - طه

مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٢م

- ابن طفيل : محمد بن طفيل (أبو بكر)

(حى بن يقظان)

تحقيق وتقديم د. جميل صليبا والدكتور كامل عياد ، طه

مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٢م .

(حى بن يقظان)

تحقيق أحمد أمين - دار المعارف ١٩٦٦م - ط ٣ .

(حى بن يقظان)

تحقيق محمد عزت نصر الله - مؤسسة الرسالة - دار فلسطين

للتأليف والترجمة والنشر - بيروت .

(حى بن يقظان)

تحقيق فاروق سعد ، منشورات دار الافاق الجديدة - بيروت

الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

- ابن عبد ربه : احمد بن محمد المتوفى سنة ١٣٢٨هـ

(العقد الفريد)

تحقيق محمد سعيد العريان - دار الفكر للطباعة والنشر .

(العقد الفريد)

تحقيق وترتيب وتصحيح أحمد أمين ، أحمد الزين ، ابراهيم

الابيارى ، دار الكتاب العربى - بيروت ١٤٠٣ هـ .

- ابن داود : أبو بكر بن داود الاصبهانى

(الزهرة)

تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائى - الدكتور نورى حمودى

القيسى - مكتبة المنار - الاردن - الزرقاء ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ طبعة

جديدة مزيدة ومنقحة .

- ابن عذارى : المراكشى

(البيان المغرب)

الطبعة الاولى - دار الثقافة - بيروت ١٩٦٧ م .

- ابن الفرضى : الحافظ ابو الوليد ابن الفرضى

(تاريخ علماء الاندلس)

نشرته اللجنة المصرية للتأليف والترجمة ضمن المكتبة الاندلسية

ثم نشره السيد عزت العطار - القاهرة ١٣٧٣ هـ .

- ابن القوطية : أبو بكر محمد بن القوطية

(تاريخ افتتاح الاندلس)

تحقيق (جاينجوس) نشر ديبيرام مدريد ١٩٢٦ م .

(قرطبة ٣٦٧ هـ)

ثم حققه الدكتور عبدالله أنيس الطباع ، بيروت ١٩٥٧ م .

- ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم قتيبة الدينوري
المتوفى ٢٢٦هـ

(عيون الأخبار)

دار الكتاب العربي - بيروت .

- ابن القيم : العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية
(روضة المحبين ونزهة المشتاقين)

دار الكتاب العربي - بيروت .

- ابن منظور : جمال الدين بن محمد بن مكرم)

(لسان العرب)

طبعة دار صادر - بيروت .

- ابن النديم : محمد بن اسحق

(الفهرست)

دار الباز للنشر والتوزيع - مكة المكرمة ١٣٩٨هـ .

- أبو زيد : محمد بن أبي الخطاب القرشي

(جمهرة أشعار العرب)

تحقيق الدكتور محمد علي الهاشمي - نشر جامعة الامام محمد بن

سعود الاسلامية ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

- أبو العلاء : احمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي

(الغفران)

تحقيق عائشة بنت الشاطيء - طبعة دار المعارف بمصر .

(الغفران)

- تحقيق مفيد قميحة - دار ومكتبة الهلال - بيروت - طبعة ١
٠ ١٤٠٦ هـ

- أبو الفرج الاصفهاني

(الاجناس)

• تصور عن دار الكتب دار احياء التراث العربي

- بديع الزمان : أبو الفضل أحمد بن الحسين

(مقامات بديع الزمان الهمداني)

توفى ١٣٩٨ هـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - دار الكتب

العلمية - بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

- الثعالبي : أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل

النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ

(يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر)

تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - مطبعة حجازي - القاهرة

الطبعة الاولى في عام ١٣٦٦ هـ

- الجاحظ : أبو عثمان بن بحر

(البيان والتبيين)

• تحقيق عبدالسلام هارون - دار الفكر

- حاجي خليفة
(كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون)
منشورات مكتبة المثنى - بغداد .
- الحريري : أبو محمد القاسم بن علي
(مقامات الحريري)
شرح أبي العباس احمد بن عبدالمؤمن القيسي الشريشي
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - المؤسسة العربية الحديثة
مطبعة المدنى .
- الحصرى : أبواسحق ابراهيم بن علي الحصرى القيروانى
(زهر الآداب وثمره الالباب)
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - شرح زكى مبارك
الطبعة الرابعة - الجزء الاول ١٩٧٢م - دار الجيل - بيروت .
- الحميدى : أبو عبدالله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدى
المتوفى سنة ٤٨٨هـ
(جذوة المقتبس فى ذكرولاة الاندلس)
الدار المصرية للتأليف والترجمة - مطابع سجل العرب .
- الذهبى : الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى
٥٧٤٨هـ
(سير اعلام النبلاء)
الطبعة الثانية - مؤسسة الرسالة - بيروت .

(العبر فى خبر من عبر)

تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول - دار الكتب

العلمية - الطبعة الاولى - الجزء الاول ١٤٠٥ هـ .

- الزمخشري : جار الله أبى القاسم محمود بن عمر

(أساس البلاغة)

تحقيق عبدالرحيم محمود - دار المعرفة للطباعة والنشر

بيروت ١٣٩٩ هـ .

- السيوطى

(بغية الوعاة)

القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

- شبيب أرسلان

(الحلل السندسية فى الاخبار والآثار الاندلسية)

المطبعة الحنانية - القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ .

- صاعد الطيلى

(طبقات الامم)

نشر لويس شيخو - بيروت ١٩١٢ م .

- الصفدى : صلاح الدين خليل

(الوافى بالوفيات)

دار النشر - فرانز شتاين ، ١٣٨١ هـ .

- الضبي : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي المتوفى سنة ٥٩٩ هـ
(بغية الملتبس)

دار الكتاب العربي - بيروت - ونشره المستشرق الاسبانسي
كوديرا (سنة ١٨٨٤) .

- عبدالواحد المراكشي

(المعجب في لخير اخبار الغرب) .

تحقيق محمد سعيد العريان - لجنة احياء التراث الاسلامي
القاهرة ١٣٨٣ هـ - مطابع شركة الاعلانات الشرقية .

- الفتح بن خاقان : أبو نصر بن محمد بن عبدالله القيس المتوفى
سنة ٥٢٩ هـ

(قلائد العميان)

الطبعة الاولى بمطبعة التقدم العلمية ١٣٢٠ هـ .

(مطمح الانفس ومسرح التانس في ملح أهل الاندلس)

دراسة وتحقيق محمد على شوابكة - دار مؤسسة الرسائل
بيروت - الطبعة الاولى .

- القلقشندی

(صبح الاعشى في صناعة الانشاء) المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والنشر .

- المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد

(الكامل)

الجزء الاول تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - دار نهضة مصر .

- المسعودى

(مروج الذهب ومعادن الجوهر)

تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - ط٤ - محرم الحرام ١٣٨٤هـ

المكتبة التجارية .

- مسلم

(صحيح مسلم بشرح النووي)

دار احياء التراث العربى - بيروت .

- المقرئ : احمد بن محمد المقرئ التلمسانى المتوفى سنة ١٠٤١هـ

(نسخ الطيب من غصبة الاندلس الرطيب)

تحقيق احسان عباس - دار صادر - بيروت ١٣٨٨٠هـ / ١٩٦٨م .

- ياقوت الحموى

(معجم الادباء)

الطبعة الاخيرة - دار احياء التراث العربى - بيروت .

قَائِمًا عَلَى طَرِيقِ الْجَمْعِ الْعَرَبِيِّ

المراجع :

- ابراهيم ياسر خضر الدوري (الدكتور)
(عبدالرحمن الناصر وسياسته الخارجية والداخلية)
دار الرشيد للنشر - الجمهورية العراقية - سلسلة
دراسات ٢٢٦ .
- أبو عبدالرحمن بن عقيل
(ابن حزم خلال ألف عام)
دار الغرب الاسلامي - بيروت - الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ .
- احسان عباس (الدكتور)
(تاريخ الادب الاندلسي)
عصر سيادة قرطبة - دارالثقافة - بيروت - الطبعة السادسة .
(تاريخ الادب الاندلسي)
عصر الطوائف والمرابطين - دار الثقافة - بيروت ط ٦ .
(رسائل ابن حزم)
- جزء ١ - المؤسسة العربية للطباعة والنشر - الطبعة الاولى
١٤٠١ هـ .
(دراسات في الادب الاندلسي)
بحوث أعدها بالاشتراك مع الدكتورة ووداد القاضي والدكتور
ألبيير مطلق - الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس - الطبعة
الثانية ١٣٩٨ هـ .

- أحمد أمين (الاستاذ)
(ظهر الاسلام)
الجزء الثالث - دار الكتاب العربي - بيروت - طبعة ٥٠
- أحمد حسن الزيات (الاستاذ)
(تاريخ الادب العربي)
دار الثقافة بيروت
- أحمد الاسكندري وزميله
(الوسيط في الادب العربي)
مطبعة مخيمر- القاهرة
- أحمد ضيف (الاستاذ)
(بلاغة العرب في الاندلس)
الطبعة الاولى - مطبعة مصر - شركة مساهمة ١٣٤٢هـ
- أحمد عبدالمقصود هيكل (الدكتور)
(الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة)
طبعة دار المعارف الطبعة السابعة ١٩٧٩م
- أحمد بن ناصر الحمد (الدكتور)
(ابن حزم وموقفه من الالهيات (عرض ونقد)) جامعة ام القسرى
مركز البحث العلمى - ط١ - ١٤٠٦هـ
- أحمد مختار العبادى (الدكتور)
(في تاريخ المغرب والاندلس)
مؤسسة الثقافة الجامعية - الاسكندرية

- أنيس المقدسى
(تطور الاساليب النثرية فى الادب العربى)
• دار العلم للملايين - بيروت - طه - ١٩٧٤م
- بدير متولى حميد
(قضايا أندلسية)
• دار المعرفة ومطبعتها - القاهرة ١٩٦٤م
- بطرس البستاني
(آداب العرب فى الاندلس وعصر الانبعاث)
الطبعة السادسة - دار المكشوف ودار الثقافة ١٩٦٨م
- جبرائيل جبور (الدكتور)
(ابن عبد ربه وعقده)
منشورات دار الافاق الجديدة - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٩م
- جودة الركامى (الدكتور)
(فى الادب الاندلسى)
دار المعارف بمصر، ط٣ • ١٩٦٦م
- حازم خضر (الدكتور)
(النشر الاندلسى فى عصر الطوائف والمرابطين)
منشورات وزارة الثقافة والاعلام - الجمهورية العراقية - سلسلة
دراسات ٢٤٤ - دار الرشيد للنشر •

(ابن شهيد الاندلس - حياته وأدبه)

منشورات وزارة الثقافة والاعلام الجمهورية العراقية

دايرة الشؤون الثقافية والنشر ١٩٨٤م .

- حسن العدل (الاستاذ)

(آدبيات اللغة العربية)

القاهرة .

- حسن محمود عباس (الدكتور)

(حى بن يقظان وروبينسون كروزو)

المؤسسة العربية للدراسات والنشر - طبعة ١

- حسين مؤنس (الدكتور)

(فجر الاندلس)

الدار السعودية للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة .

(شيوخ العصر فى الاندلس)

الدار المصرية للتأليف والترجمة وتوزيع مكتبة مصر

بالفجالة ١٩٦٥م .

- حسين نصار

(نشأة الكتابة العربية وتطورها)

القاهرة .

- حنا فاخورى

(تاريخ الادب العربى)

المطبعة البولسية الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة .

- حكمة على الاوس (الدكتور)
(فصول فى الادب الاندلسى فى القرنين الثانى والثالث للهجرة)
مكتبة المعارف - الرباط - الطبعة الرابعة .
وكذلك مطبعة الخانجى بالقاهرة - الطبعة الثالثة .
- الرافعى : مصطفى صادق
(تاريخ آداب العرب)
دار الكتاب العربى - بيروت - الجزء الثالث .
- زكريا ابراهيم
(ابن حزم المفكر الظاهرى الموسوعى)
اعلام العرب (٥٦) الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- زكى مبارك (الدكتور)
(النثر الفنى فى القرن الرابع)
دار الجيل - بيروت ١٩٧٥ م .
- الزركلى : خير الدين
(الأعلام)
- دار العلم للملايين - بيروت لبنان - الطبعة الخامسة ١٩٨٠ م .
- سامى مكى العائى (الدكتور)
(دراسات فى الادب الاندلسى)
الجامعة المستنصرية - بغداد - ١٣٩٨ هـ .
- السباعى : بيومى
(تاريخ الادب العربى)
القاهرة .

- سعد اسماعيل شلبي (الدكتور)
(دراسات أدبية فى الشعر الاندلسى)
دار مصر للطبع والنشر - القجالة القاهرة .
- السيد عبدالعزيز سالم
(قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس)
دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٢م .
- شوقى ضيف (الدكتور)
(الفن ومذاهبه فى الشعر العربى)
دار المعارف - القاهرة - الطبعة العاشرة .
(الفن ومذاهبه فى النثر العربى)
دار المعارف - القاهرة الطبعة الثامنة .
(تاريخ الادب العربى الجزء الثانى)
دار المعارف - القاهرة .
- الطاهر : أحمد مكى (الدكتور)
(دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة)
دار المعارف - الطبعة الثالثة ذو الحجة ١٤٠١هـ .
(دراسات أندلسية فى الادب والتاريخ والفلسفة)
دار المعارف ، القاهرة .

- طه الحاجرى (الدكتور)
- (ابن حزم صورة أندلسية)
- دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٢م
- طه حسين
- (قادة الفكر)
- دار العلم للملايين - بيروت ط ٢ - ١٩٨٠م
- عائشة عبدالرحمن الشاطيء
- (جديد فى رسالة الغفران)
- دار الكتاب العربى - بيروت - الطبعة الاولى ١٣٩٢هـ
- عباس محمود العقاد
- (اثر العرب فى الحضارة الاوروبية)
- دار المعارف طبعة ١
- عبدالبصير عبدالله حسين (الدكتور)
- (محاضرات فى الادب الاندلس)
- بالآلة الكاتبة
- عبدالحليم عويس (الدكتور)
- (ابن حزم وجهوده فى البحث التاريخى)
- عبدالحليم محمود (الدكتور)
- (فلسفة ابن طفيل)
- دار الكتاب اللبنانى - بيروت ط ٣

- عبد الرازق حميدة (الدكتور)

(شياطين الشعرا)

- عبدالرحيم على الحجى (الدكتور)

(التاريخ الاندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة)

دار الاصلاح - الطبعة الاولى المصورة ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .

- عبدالعزيز عتيق (الدكتور)

(الادب العربى فى الاندلس)

دار النهضة - بيروت .

- عبدالكريم التواتى

(مأساة انهيار الوجود العربى فى الاندلس)

مكتبة الرشاد - الدار البيضاء - ط ١ .

- عبدالكريم خليفة

(ابن حزم الاندلسى ، حياته وأدبه)

دار العربية للطباعة والنشر - بيروت - لبنان . ونشر مكتبة

الاقصى - المملكة الاردنية - عمان - مطابع معتوق اخوان .

- عبداللطيف شرارة

(ابن حزم رائد الفكر العلمى)

م المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .

- عبدالله العلايلى (الدكتور)

(المعرى ذلك المجهول)

الاهلية للنشر والتوزيع - طبعة جديدة مزينة ومنقحة ١٩٨١م .

- عبدالله علوان

(بحوث اسلامية ،مسؤولية التربية الجنسية من وجهة نظر الاسلام)

دار السلام للطباعة والنشر - ط١ - ١٣٩٩هـ .

- عز الدين اسماعيل

(الادب وفنونه)

القاهرة .

- على حسن الخربوطلى

(غروب الخلافة الاموية)

مؤسسة المطبوعات الحديثة .

- عمر رضا كحالة

(معجم المؤلفين)

دار احياء التراث - بيروت .

- عمر فروح (الدكتور)

(ابن حزم الكبير) دار لبنان للطباعة والنشر - بيروت - ط ١ - ١٤٠٠هـ

(تاريخ الادب العربي)

جزء ٤ - دار العلم للملايين - بيروت .

(تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون)

بيروت - دار العلم للملايين ١٣٩٢هـ .

(٢٤٥)

(ابن طفيل وقصته حى بن يقظان)

دار لبنان - بيروت - ١٤٠٢ هـ .

- محمد أبو زهرة

(ابن حزم حياته وعصره)

الطبعة الثانية - مطبعة احمد على مخيمر .

- محمد رجب البيومى (الدكتور)

(الادب الاندلسى بين التأثير والتأثر)

المجلس العلمى - جامعة الامام محمد بن سعود .

- محمد رضوان الداية (الدكتور)

(تاريخ النقد فى الاندلس)

مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

- محمد سيد احمد المسير

(المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى وموقف الاسلام منه)

مؤسسة علوم القرآن - دمشق - بيروت - مكتبة دار التراث -

المدينة المنورة ط٢ - ١٤٠٤ هـ .

- محمد عاطف عراقى (الدكتور)

(الميتافيزيقيا فى فلسفة ابن طفيل)

دار المعارف - الطبعة الثانية .

- محمد حسن عبدالله (الدكتور)

(الحب فى التراث العربى)

سلسلة عالم المعرفة - الكويت صفر ١٤٠١ هـ .

- محمد عبد الله عنان
(نهاية العرب وسقوط الاندلس، وتاريخ العرب المتنصرين)
مطبعة لجنة التأليف والنشر - الطبعة الثالثة - القاهرة •
(دولة الاسلام فى الاندلس)
العصر الاول - لجنة التأليف - القاهرة ١٣٦٢ هـ •
- محمد عبد المنعم خفاجى (الدكتور)
(قصة الادب فى الاندلس)
مطبعة المعارف ببيروت ١٩٦٢ م •
- محمد عبد الوهاب خلاف (الدكتور)
(قرطبة الاسلامية فى القرن الحادى عشر الميلادى - الخامس
الهجرى)
الدار التونسية للنشر •
- محمد غنيمى هلال (الدكتور)
(الادب المقارن)
دار العودة والثقافة ، الطبعة الخامسة •
(النقد الادبى الحديث)
دار العودة والثقافة - بيروت ١٩٧٣/٧/١ م •
- محمد فؤاد عبد الباقي
(المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم)
المكتبة الاسلامية - استانبول ١٩٨٤ م •

- محمد مندور (الدكتور)
(الادب وفنونه)
نشر معهد الدراسات العربية العالية - القاهرة .
(الادب ومذاهبه)
دار نهضة مصر بالفجالة - الطبعة الثالثة .
- مصطفى السيوفى (الدكتور)
(ملاحم التجديد فى النثر الاندلسى خلال القرن الخامس الهجرى)
عالم الكتب - الطبعة الاولى - ١٩٨٥/١٤٠٥ م .
- مصطفى الشكعة (الدكتور)
(الادب الاندلسى - موضوعاته وفنونه)
دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٥ م .
(الادب فى موكب الحضارة الاسلامية)
الجزء الاول - دار الكتاب اللبنانى - بيروت - الطبعة الثانية .
- مصطفى عبدالواحد (الدكتور)
(دراسة الحب فى الادب العربى)
دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م .
- مصطفى عليان (الدكتور)
(تيارات النقد فى الاندلس فى القرن الخامس)
الطبعة الاولى - مؤسسة الرسالة .
- مصطفى ناصف
(الدراسة الادبية)
مطبعة الدار للقومية - القاهرة .

(٣٤٨)

— نبيه حجاب (الدكتور)

(بلاغة الكتاب في العمر الحديث)

• القاهرة

قَائِمَةُ السُّلُوكِ السَّامِيَةِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المترجمات :

- آنخل بالانشيا

(تاريخ الفكر الاندلسي)

• ترجمة الدكتور حسين مؤنس - النهضة المصرية ١٩٥٥م

- اميل آسبن بلاثيوس

(ابن حزم القرطبي)

• أوستين وارين ، ورينيه ويلك .

(نظرية الادب)

ترجمة محيي الدين صبحي - المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب

والعلوم الاجتماعية - مطبعة خالد الطرابيشي ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م

- كراتشكوفسكى

(الشعر العربى فى الاندلس)

• ترجمة محمد منير مرسى ، تقديم محمد هيكل ، عالم الكتب ١٩٧١م

- جارثيا جومث

(الشعر الاندلسي)

• ترجمة الدكتور حسين مؤنس سلسلة الالف كتاب ادارة الثقافة

العامية بوزارة التربية والتعليم .

(مع شعراء الاندلس والمنتخبين)

• ترجمة د. ظاهر مكي - دار المعارف/ ١٩٧٧م القاهرة .

- ده بور

(تاريخ الفلسفة في الاسلام)

• ترجمة محمد عبدالهادي ابو ريده - القاهرة ١٣٥٧هـ .

- رينهارت دوزي

(ملوك الطوائف)

• ترجمة كامل كيلاني في ١٩٢٣م .

- زيغريد هونكة

(شمس العرب تسطع على الغرب)

أثر الحضارة العربية في أوروبا - نقله الى العربية عن

الالمانية : فاروق بيضون ، وكمال دسوقي . راجعه : مسارون

عيسى الخوري - المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ط ٣ .

- فؤاد سزكين

(تاريخ التراث العربي)

المجلد الثاني - الجزء الخامس ، نقله الى العربية الدكتور

عرفة مصطفى - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

- فون شاك - مستشرق فرنسي

(الفن العربي في اسبانيا وصقلية)

• ترجمة طاهر مكي - دار المعارف ١٩٧٨ م .

- كارل بروكلمان

(تاريخ الادب العربي)

• نقله الى العربية عبدالحليم النجار ، طه ، دار المعارف .

(تاريخ الشعوب الاسلامية)

• ترجمة منير بعلبكي وزميله ١٩٥٤ م - دار العلم للملايين .

- لاستانلى لين بول

(العرب في اسبانيا)

• ترجمة على الجارم - دار المعارف - القاهرة ١٩٤٧ م .

- لانسون وماييه

(النقد المنهجي عند العرب)

• ترجمة الدكتور محمد مندور - دار نهضة مصر للطبع والنشر

الغجالة - القاهرة .

- ليفى بروفنسال

(الاسلام في المغرب والاندلس)

• ترجمة الدكتور محمد عبدالعزيز سالم ، ومحمد صلاح الديسني

حلمى - نهضة مصر سنة ١٩٥٧ م .

• وكذلك ترجمة د. عبدالهادى شعيرة - المطبعة الاميرية ١٩٥١ م .

- ليفى بروفنسال

(الشرق الاسلامى والحضارة العربية الاندلسية)

• ترجمة ألفريد البستانى تطوان سنة ١٩٥١ م .

(سلسلة محاضرات عامة فى ادب الاندلس وتاريخها)

ألقاها عام ١٩٤٧ م ترجمها الى العربية محمد عبدالهـسـادى

• شعيرة - المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٥١ م .

- يوسف أشباخ

(تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين)

• ترجمة عبدالله عنان - القاهرة ١٩٥٨ م .

- مانويل مورينوجومث

(الفن الاسلامى فى اسبانيا)

• ترجمة كامل كيلانى ١٩٣٣ م .

- نيكل - مستشرق انجليزى

(مختارات من الشعر الاندلسى) نشر عمر فروح - بيروت ١٩٤٩ م .

دَوَائِرُ الْعِلْمِ وَالزُّمَرِ

دوائر المعارف :

(دائرة المعارف الاسلامية)

الترجمة العربية - طبعة دار الشعب - مادة ابن طفيل .

(دائرة المعارف البستانية)

فؤاد أفرام البستاني - مادة ابن طفيل .

الدوريات :

- الاندلس : مجلة الاندلس المجلد ١٦ سنة ١٩٥١م .

- الاهرام : العدد ٣٦٠٩٨ الثلاثاء محرم ١٤٠٦هـ - مقال للدكتور

زكى نجيب محمود .

- الاهرام : فى ٧/١١/١٤٠٦هـ الموافق ٣/٧/١٩٨٦م - مقال عن طفيل

يحاكى القرده فى تصرفاتها .

- الدوحة القطرية لعام ١٩٨٥ - ١٩٨٦م .

- الحوار : مجلة تصدر فى بيروت - العدد الثانى - كانون الثانى

١٩٦٣م .

- الفيصل : مجلة تصدر فى المملكة العربية السعودية - السنة

الاولى عدد ١٠ مقال للدكتور محمد بن سعد الشويعر .

- محاضرات كلية اللغة العربية - جامعة ام القرى لعام ١٤٠٣ هـ /

١٤٠٤هـ (مقال للدكتور عبد الحكيم حسان بعنوان " تأشير

القصص العربى ") .

مكتوبى الرساله
بيروت

محتوى الرسائل

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١٢ - ٤	١ - مقدمة.....
٥٦ - ١٢	٢ - مدخل : (الأدب العربي فى الأندلس بين الاتباع والابتداع).....
١٢	- مقولة العاصم بن عباد.....
١٧	- دعوى ابن الربيب.....
١٨	- رد أبى المغيرة ابن حزم.....
٢٧ - ٢٠	- رد أبى محمد ابن حزم.....
٢٧	- تدليل ابن سعيد على رسالة ابن حزم.....
٢٨	- افتتاح ابن المعلم.....
٣٤ - ٢٨	- رد الشقندى.....
٣٥	- خصومة ابن بسام.....
٣٧ - ٣٦	- مفاخرة الفتح ابن خاقان.....
٣٧	- العمية الاقليمية.....
٤١	- نظرية (هيوليت تين).....
٤٩	- الاقليمية العلمية.....
٥١	- الادب المشرق والادب الأندلسى.....
٥٤	- بل أدب عربى واحد.....
	٣ - <u>البناب الأول :-</u>
	(رحلة ابن شهيد فى أرض الجن) أو (رسالة التوابع والزوابع).....
٨٣ - ٥٩	الفصل الأول : (ابن شهيد بين أدباء الجن ونقادهم).....
٥٩	- تمهيد.....
٦٥	- أبو عامر وتابعه (زهير بن غير).....
٧٠ - ٦٦	- شياطين الشعراء :
	(عتيبة بن نوفل - عنتر بن العجلان - أبو الخطار -
	عتاب بن حنبا - أبو الطبع : طوق بن مالك - حسين
	الدنان - حارث بن المفلس).....

- ٧٥ - ٧٠ توابع الكتاب -
 (ابو عيينة : عتبه بن أرقم - أبو هبيرة - أنف
 السناقة - زبدة الحقب - أبو الآداب) .
- ٧٧ - ٧٥ نقاد الجن :
 (شمردل السحابي - فاتك بن المعقب - فرعون بن الجون)
- ٨٢ - ٧٧ أدباء حيوان الجن :
 (البغل العاشق - دكين الحمار - بغل أبي عيسى -
 الاوزة النحوية) .
- الفصل الثاني : (البناء الفني لقصة التواضع والزواجر)
 ١٢٢ - ٨٥
- الوسائل الفنية المستخدمة في القصة
 ٩٣ - ٨٩ - ٨٥
- المصادر الملهممة بالقصة
 ٨٩
- دواعي تأليف القصة
 ٩٠
- الرموز الأدبية ودلالاتها على مذاهب أصحابها الفنية
 ٩٣
- خيال ابن شهيد
 ١٠٥
- بين " التواضع والزواجر " و " رسالة الغفران "
 ١٢٢ - ١٠٩
- الفصل الثالث : (قيم نقديه لابن شهيد)
 ١٣٥ - ١٢٤
- الادب المتجدد
 ١٢٤
- اختلاف الذوق الادبي باختلاف العصور
 ١٢٥
- علاقة التكوين النفسي بالتكوين الجسدي وأثر ذلك في
 الادب
 ١٢٦
- الموهبة والمعرفة
 ١٢٧
- السرقات الادبية
 ١٣١
- اللفظ والمعنى
 ١٣٢ - ١٢٩
- وحدة العمل الادبي
 ١٣٢
- آراء عامة تتعلق بالمفاصلة بين الادباء
 ١٣٤

٤ - الباب الثانى :-

(اعترافات ابن حزم العاطفية) أو (طوق الحمامة) .

- ١٥٩ - ١٢٨ (الحب قبل " طوق الحمامة " وبعده) .
- ١٥٣ - ١٤٢ - مؤلفات قبل طوق الحمامة
- ١٥٥ - ١٥٣ - مؤلفات بعد طوق الحمامة
- ١٥٨ - ١٥٥ - أبرز الذين تناولوا الحب من الغرب
- الفصل الثانى : (تجارب ابن حزم الذاتية، وتحليلة النفسى
- ٢١٨ - ١٦١ لعاطفة الحب، وشخصيات المحبين)
- ١٧١ - ١٦١ - تجارب ابن حزم الشخصية
- ١٩٩ - ١٧١ - ملحوظات ذكية لابن حزم فى " الحب "
- ١٧١ - تحليلة النفسى لعاطفة الحب
- ١٧٣ - تحليلة النفسى لعاطفة المحبين
- ٢١٨ - ١٩٩ - تجارب يرويها عن غيره من الثقات
- الفصل الثالث : (الملامح الفنية والفكرية فى " طوق الحمامة " .
- ٢٢٠ - ٢٤٩ - أسباب وضع الكتاب وتاريخه
- ٢٢٠ - ملامح مشتركة بين " طوق الحمامة " وغيره
- ٢٣٢ - ملامح ينفرد بها " طوق الحمامة " عن غيره
- ٢٣٣ - أثر السالفين فى طوق الحمامة
- ٢٢١ - اثر " طوق الحمامة " فى الخالفين
- ٢٣٤ - مفهوم نظرية " الحب " عند ابن حزم
- ٢٣٦ - ٢٣٥ - مناقشة آراء المستشرقين حول الحب عند ابن حزم
- ٢٤٢ - الوسائل الفنية فى " طوق الحمامة "
- ٢٤٥ - خصائص اسلوب ابن حزم بوجه عام

٥ - الباب الثالث :-

(اعترافات الفكر بين رياض الفن أو " قصة حي بن يقظان"
لابن طفيل) .

- ٢٦٥ - ٢٥٢ الفصل الأول : (قصة حي بن يقظان ونظائرها).....
- ٢٥٧ - نظائر سبقت قصة (حي بن يقظان).....
- ٢٦١ - نظائر كتبت بعدها.....
- ٢٦٢ - نظائر واقعية.....
..... تاريخية.....
..... ومعاصرة.....
- موازنة بين (حي بن يقظان) لابن سينا ، و " حي
٢٦٤ بن يقظان " لابن طفيل
- ٢٦٤ - خيال ابن طفيل
- ٢٦٧ - ٢٨٠ الفصل الثاني : (حي بن يقظان في جزيرة المجهول).....
- ٢٦٨ - الرحلة البحرية للطفل الرضيع (حي) في التابوت.....
- ٢٦٨ - " حي " على شاطئ المجهول
- ٢٦٩ - الظبية الظفر
- ٢٦٩ - ٢٧٥ (حي) وتجاربه في الكون والحياة.....
- ٢٧٤ - حياة التأمل
- ٢٧٥ - لقاء "حي" مع " أبسال ".....
- رحلة " حي " في رفقة " أبسال " الى جزيرة
٢٧٩ " سلامان "
- ٢٨٢ - ٢١٤ الفصل الثالث : (قصة حي بن يقظان بين الفكر والفن).....
- ٢٨٢ - ما هو فن ، ومو هو فكر في رائعة ابن طفيل
- ٢٩١ - خصائص أسلوب ابن طفيل وأصالته الفنية.....

- ٢٩٤ - " المعرفة " الحسبة " فى القصة (منهجها ومصدرها).....
- ٢٩٦ - " المعرفة " الحدسية " فى القصة (منهجها ومصدرها).....
- ٢٩٧ - موقف الاسلام من المعرفة الحدسية.....
- ٣٠٠ - تحليل رموز القصة.....
- ٣٠٣ - العناصر القرآنية فى بناء القصة.....
- ٣٠٦ - مدى القصة فى الآداب العالمية.....
- ٣٠٩ - موقف ابن طفيل من عقيدة الاسلام.....
- ٣١٦ - الخاتمة.....
- ٣٢٣ - ٣٥٢ - المصادر والمراجع.....
- ٣٥٦ - ٨ - محتوى الرسالة.....
